

سید جموند فروزوید

علم نفس الحياة

ترجمة: سوسن جميل



مكتبة فريق (متميزون).

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:



كلمه مهمه:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

علم نفس الحياة

سيجموند فرويد

ترجمة: سوسن جميل

عن الكتاب..

يبدو أن المفردات المألوفة في اللغة الأم ضمن نطاق الدلالة الطبيعية غير قابلة للنسيان؛ إلا أن ذلك يختلف تماماً عند الحديث عن مفردات اللغة الأجنبية، يمكن القول إن هناك ميلاً لنسيان كل أقسام الكلام باللغة الأخرى، وأن الدرجة الأولى من الإرباك الوظيفي تظهر في عدم انتظام الكلمات الأجنبية المتاحة، وذلك بناءً على الحالة الصحية بشكل عام، ومدى التعب الذي يشعر به الفرد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



الفصل الأول: نسيان الأسماء

لقد نشرت في المجلة الشهرية للطب النفسي، والعصبي لعام 1898 مقالة بعنوان «الآلية النفسية للنسيان»، وسألخص محتواها هنا كنقطة بداية للتفرع في مناقشة هذا الموضوع، عَمِلْتُ في تلك المقالة على إخضاع الحالة المتكررة «لعدم القدرة المؤقتة على تذكر الأسماء» للتحليل النفسي، وذلك باستخدام مثال معبر من ملاحظاتي الذاتية، وتوصلت إلى استنتاج أن هذه الحالة الشائعة ضئيلة الأهمية في الواقع العملي تشير إلى فشل الوظيفة النفسية؛ أي وظيفة الذاكرة مما يُسلط الضوء على أمور تتجاوز مجرد تقييم الظاهرة نفسها.

إن لم أكن مخطئاً، عند طرح سؤال على أي عالم نفس، ومطالبته بشرح أسباب فشل المرء في تذكر الأسماء التي يعتقد بأنه يعرفها في كثير من الأحيان، فإنه سيكتفي بالإشارة إلى سهولة نسيان الأسماء مقارنةً بنسيان بقية الأمور التي تحتويها الذاكرة، وسيقدم أسباباً معقولة لشرح الوضع الاستثنائي للأسماء، لكنّه لن يشك بوجود عوامل أخرى إضافية ترتبط بهذا الأمر.

لقد دفعتني ملاحظتي لبعض التفاصيل، التي قد لا تكون موجودة في كل الحالات لكنّها ظاهرة بوضوح في بعضها، إلى إجراء دراسة شاملة لظاهرة النسيان المؤقتة للأسماء حيث لا ينسى الشخص الأسماء فقط بل يتذكرها بشكل خاطئ، فبينما يحاول أن يتذكر الأسماء التي استعصى عليه تذكرها، يتبادر إلى ذهنه أسماء أخرى بديلة، وبالرغم من معرفته بعدم صحتها، إلا أنها تُجبره على استخدامها، يمكن القول بأن العملية التي من شأنها إيجاد الاسم الذي يبحث عنه بشكل صحيح، قد تعرضت للإزاحة، إنّ جاز التعبير، مما يؤدي إلى استبدال خاطئ، تقوم وجهة نظري على أن هذه الإزاحة من الناحية النفسية ليست اعتباطية بشكل كلي، ولكنّها تتبع مسارات منتظمة قابلة للتنبؤ؛ بتعبير آخر، تفترض نظريتي أن الاسم أو الأسماء البديلة تتعلق بالاسم المطلوب بطريقة معينة يمكن تتبعها، وإن تمكنت من إثبات هذه العلاقة سأتمكن من تسليط الضوء على العملية العقلية التي تجعل الإنسان ينسى الأسماء.

ضمن المثال الذي اخترت تحليله في عام 1898، كنت أحاول عبثاً أن أتذكر اسم السيد العجوز الذي رسم اللوحات الجدارية الرائعة (الأشياء الأربعة الأخيرة)¹ في كاتدرائية أورفيتو، وبدلاً من الاسم الذي أردت تذكره (سينوريلي)، تبادل ذهني أسماء رسامين آخرين «بوتيتشيلي، وبولترافيو»، فرُفضتهما فوراً بحُزم لمعرفةتي بأنها أسماء خاطئة، وعرفت الاسم الصحيح دون تردد حين حصلت عليه من مصدر آخر، بناءً على دراستي للتأثيرات، والروابط التي أزاحت قدرتي على تذكر الاسم بهذه الطريقة - حيث نقلتني من «سينوريلي» إلى «بوتيتشيلي وبولترافيو» - خرجت بالاستنتاجات الآتية:

1. يجب ألا نبحث عن سبب نسيان الاسم «سينوريلي» في أي سمة خاصة به أو في الطبيعة النفسية للسياق الذي حدث فيه النسيان، لقد كان الاسم الذي نسيته مألوفاً بالنسبة لي تماماً مثل الاسم البديل «بوتيتشيلي»، وأكثر شيوعاً من الاسم الآخر «بولترافيو» حيث لم أستطع قول أي شيء عن صاحب الاسم الأخير سوى أنه ينتمي إلى المدرسة الفنية ميلانيس - Milanese ، أما بالنسبة للظروف التي نسيته فيها الاسم، بدت لي غير مؤثرة، ولم تسلط أي ضوء على الأمر حيث كنت أسافر بعربة من راغوزا في دالماتيا إلى وجهتي في الهرسك مع شخص غريب، وبدأنا الحديث في الطريق عن الزيارات التي قمنا بها لإيطاليا، وسألته عما إذا كان قد زار كاتدرائية أورفيتو، وشاهد اللوحات الجدارية الشهيرة هناك.

2. لا يمكن شرح نسياني للاسم، إلا بالإشارة إلى الموضوع الذي كنا نناقشه مباشرةً قبل أن أ طرح هذا السؤال الذي يمكن اعتباره حالة إرباك للموضوع الجديد تسبب بها الموضوع السابق، قبل أن أسأله عن ذهابه إلى كاتدرائية أورفيتو، كنا نتحدث عن عادات الأتراك الذين يعيشون في البوسنة، والهرسك، وأخبرته بشيء سمعته من زميل مارس مهنة الطب هناك، ولاحظ أنهم عادة ما يُظهرون ثقة كاملة بأطبائهم، وتسليم كامل للقدر، فإذا كان على الطبيب إخبارهم بأنه لا يستطيع فعل أي شيء للمريض، يجيبون: «هير (أي يا سيدي)، ماذا عسانا أن نقول؟ نعلم بأنه لو كان بوسعه العيش، كنت ستمكن من إنقاذه»، ظهرت ضمن هذه الملاحظات أسماء الأماكن البوسنة، والهرسك، وكلمة (هير - Herr)، مما أدى إلى سلسلة من الارتباطات بين «سينوريلي»، و «بوتيتشيلي»، و «بولترافيو».

3. أعتقد أن سلسلة الأفكار التي انطلقت من عادات الأتراك في البوسنة، وما إلى ذلك قد تسببت بالإرباك لفكرتي التالية لأنني وجهت انتباهي لفكرة أخرى قبل أن تصل هذه السلسلة إلى نهايتها، أتذكر أنني كنت على وشك سرد قصة أخرى مرتبطة ارتباطاً وثيقاً في ذهني بالفكرة الأولى، وتتعلق بإعطاء الأتراك في البوسنة قيمة عالية جداً للمتعة الجنسية حيث يشعرون باليأس إن كان هناك ما يضعف قدراتهم الجنسية بطريقة تتناقض مع استسلامهم في مواجهة الموت، لقد قال أحد المرضى لزميلي ذات مرة: «هير (أي يا سيدي)، كما تعلم لا تستحق الحياة أن تُعاش بدون كل ذلك»، لكنني امتنعت عن ذكر هذا الأمر عن الأتراك؛ لأنني اعتقدت بأنه ليس موضوعاً مناسباً للحديث مع شخص غريب، وصرفت انتباهي عن مواصلة تسلسل تلك الأفكار وفقاً للخط الذي كان سيؤدي إلى موضوع «الموت والجنس» في ذهني، كنت متأثراً في تلك الفترة ببعض الأخبار التي سمعتها قبل أسابيع قليلة خلال زيارة قصيرة إلى ترافوي حيث انتحر مريض كنت قد بذلت جهدي للاهتمام به بسبب اضطراب جنسي غير قابل للشفاء، يمكنني الجزم بأنني لم أتذكر بوعي هذا الحدث المحزن أو أي شيء مرتبط به في تلك الرحلة إلى الهرسك، إلا أن التشابه بين اسمي «ترافوي»، و«بولترافيو» يُجبرني على افتراض أن تلك الذكرى خطرت ببالي في ذلك الوقت بالرغم من صَرف انتباهي عن ذلك بقصد.

4. لم يعد بإمكانني اعتبار نسياني لاسم «سينوريلي» مجرد صدفة، وعليّ إدراك تأثير الدوافع في ذلك الحدث، لقد كان لديّ دوافع لمقاطعة نفسي، لأنني كنتُ على وشك نقل أفكار (حول عادات الأتراك، وما إلى ذلك) إلى رفيقي في السفر، وبالتالي منعتني تلك الدوافع من التفكير بالأفكار المرتبطة بهذه الفكرة في عقلي الواعي مما كان سيؤدي إلى الأخبار التي سمعتها في ترافوي، لقد أردت إذن أن أنسى شيئاً؛ فقامت بكبت شيء ما، لم أُرِد في الواقع نسيان اسم رسام التحفة الفنية في أورفيتو، بل أردت نسيان موضوع آخر ارتبط باسم الرسام، وبالتالي فشل عقلي في فعله الإرادي في العثور على هدفه، ونسيت فكرة معينة دون قصد بينما أردت نسيان الأخرى عن قصد، كان امتناعي عن التذكر موجهاً ضد محتوى فكرة معينة، فظهرت عدم قدرتي على التذكّر في سياق آخر، كانت هذه الحالة ستكون أبسط لو كان سياق امتناعي عن التذكر هو نفس سياق عدم قدرتي على التذكر، إلا أن الأسماء البديلة لم تعد غير مبررة كما كانت قبل توضيح السياق، حيث أنها كتسوية تذكروني بما أردت نسيانه،

وما أردت تذكره على حد سواء، مما يدل على أن نسياني المتعمد لم يكن ناجحًا تمامًا، ولا فاشلاً تمامًا.

5. يمكن وصف الطريقة التي ربطتُ بها بين الاسم الذي كنت أبحث عنه، والموضوع الذي تعرّض للكبت (الموت، والجنس مع ذكر أسماء البوسنة، والهرسك، وترافوي) بأنها مذهلة جداً، أحاول في الرسم البياني أدناه المأخوذ من مقالتني عام 1898 توضيح هذا الارتباط

لقد انقسم اسم «سينوريلي» إلى قسمين: يتكرر أحد المقطعين (يلي) بدون تغيير في الاسم البديل، بينما يرتبط المقطع الآخر (إذا ترجمنا «سينور» إلى «هير») بالعديد من الروابط المختلفة مع الأسماء التي تنتمي إلى الموضوع المكبوت، إلا أنه بسبب تلك الروابط يتعذر تذكره، لقد حدث الاستبدال كما لو كان هناك إزاحة للمعنى عبر الأسماء المرتبطة بالموضوع «الهرسك والبوسنة» مع تجاهل المعنى، والرسم الصوتي للمقاطع، وعليه؛ تعامل العقل مع الأسماء ضمن هذه العملية كأنها أحرف مكتوبة للجملة التي ستتحوّل إلى لغز مصوّر، لم يخطر بذهني الوعي أي فهم أو استيعاب لطريقة حلول الأسماء البديلة محل اسم «سينوريلي»، يبدو مستحيلًا في بادئ الأمر تتبع أي رابط مشتق من تكرار نفس المقاطع أو بالأحرى مجموعة من الأحرف بين الموضوع الذي ظهر فيه اسم «سينوريلي»، والموضوع الذي تعرّض للكبت قبل التطرق إليه.

تُجدر الإشارة إلى أن التفسير الذي قدمته أعلاه لا يُبطل الظروف التي يفترض علماء النفس أنها تؤثر على التذكّر الصحيح، والنسيان، الأمر الذي يجب أن ندرسه في روابط، وميول معينة، ضمن بعض الحالات فقط، يمكن إضافة الدوافع إلى العوامل المعروفة المؤدية لنسيان الاسم، وبالتالي شرح آلية الذاكرة الكاذبة، تعتبر الميول في الحالة التي ندرسها هنا ضرورية للسماح للأفكار المكبوتة بأن ترتبط بالاسم المطلوب، ومن ثم كبت هذا الاسم أيضًا، قد لا يحدث الأمر نفسه مع اسم آخر ضمن الظروف الملائمة أكثر لتذكره، قد يحاول الأمر المكبوت دائمًا الظهور في مكان آخر، لكنّه سينجح بذلك فقط حين يجد ظروف مناسبة، قد ينجح الكبت في حالات أخرى دون التسبب بأي اضطراب في الوظائف أو لنقل بدقة دون ظهور أي أعراض.

تشتمل شروط نسيان الأسماء، وتذكرها بشكل غير صحيح على ما يلي:

1 - ميل معين لنسيان هذا الاسم،

2 - حدوث عملية كبت قبل وقت قصير،

3 - وجود إمكانية إنشاء رابط خارجي بين الاسم المعني، والأمر المكبوت مؤخرًا، ما من ضرورة لاعتبار الشرط الأخير هاماً جداً نظراً لسهولة إنشاء ارتباط أو آخر حتى أنه يمكن العثور على ارتباط ما في معظم الحالات.

يظهر هنا سؤال آخر أكثر عمقاً:

هل هذا الارتباط الخارجي كافياً حقاً لجعل الأمر المكبوت يمنع تذكر الاسم المطلوب؟ وهل يجب بالضرورة وجود ارتباط وثيق بين الموضوعين؟ قد يميل المرء للوهلة الأولى إلى رفض هذا الشرط الأخير، واعتبار القرب الزمني للموضوع بمحتوى مختلف تماماً أمراً كافياً، إلا أنه بالتدقيق في الأمر، يصبح إيجاد ارتباط العنصرين (العنصر المكبوت والعنصر الجديد) بالمحتوى أمراً متكرراً بشكل متزايد بالرغم من ارتباطهما برابطة خارجية، يمكن بالفعل إثبات وجود هذا الارتباط في مثال «سينوريلي».

تعتمد قيمة المعرفة المكتسبة من تحليل مثال «سينوريلي» على رغبة المرء في شرح الحالة باعتبارها نموذجية أو مثال منعزل، لذا لا يسعني سوى الإشارة إلى شيوع، وتكرار حالة نسيان الاسم، وتذكره بشكل خاطئ بالطريقة التي أشرت إليها في حالة «سينوريلي» حيث تمكنت من تفسير هذه الظاهرة على أنها مدفوعة بالكبت بالطريقة الموضحة أعلاه في كل مرة تقريباً لاحظت فيها هذه الظاهرة في نفسي، أضيف نقطة أخرى تدعم احتمال كون هذا التحليل نموذجياً، أعتقد من حيث المبدأ بأنه ما من سبب للتمييز بين الحالات التي تُنسى فيها الأسماء، ويتذكرها المرء بشكل خاطئ، والحالات التي لا يتبادر فيها إلى الذهن أي أسماء بديلة حيث تظهر هذه الأسماء البديلة تلقائياً في عدد

من الحالات، وتظهر بشكل غير عفوي في الحالات الأخرى عبر التركيز الشديد، وترتبط بالروابط ذاتها بين العنصر المكبوت، والاسم المطلوب كما لو أنها ظهرت تلقائياً في بادئ الأمر، يبدو أن هناك عاملين رئيسيين في ظهور الأسماء البديلة في العقل الواعي:

يتمثل الأول بجهود التركيز، ويتمثل الثاني بالسياق الداخلي المرتبط بالحالة النفسية، ويمكنني ربط العامل الثاني بسهولة أو صعوبة إنشاء الارتباط الخارجي الضروري بين العنصرين، يمكن تصنيف العديد من الحالات التي يُنسى فيها الاسم دون تذكر اسم بديل مع الحالات التي يظهر فيها اسم بديل، كما هو موضح في آلية مثال «سينوريلى»، بالرغم من ذلك، لن أتجرأ على الادعاء بأن جميع حالات نسيان الأسماء يمكن تصنيفها تحت هذا العنوان، فهناك بلا شك حالات تُنسى فيها الأسماء لأسباب أبسط بكثير، لذا، يمكننا تحديد الحقائق بحذر كافٍ إذا قلنا إن الأسماء تُنسى لأسباب بسيطة أحياناً، ولأسباب يُحفظها الكبت أحياناً أخرى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



الفصل الثاني: نسيان الكلمات الأجنبية

يبدو أن المفردات المألوفة في اللغة الأم ضمن نطاق الدلالة الطبيعية غير قابلة للنسيان، إلا أن ذلك يختلف تماماً عند الحديث عن مفردات اللغة الأجنبية، يمكن القول بأن هناك ميل لنسيان كل أقسام الكلام باللغة الأخرى، وأن الدرجة الأولى من الإرباك الوظيفي تظهر في عدم انتظام الكلمات الأجنبية المتاحة، وذلك بناءً على الحالة الصحية بشكل عام، ومدى التعب الذي يشعر به الفرد، يجري هذا النوع من النسيان في عدد من الحالات بنفس الآلية المكتشفة في نسيان اسم «سونرولي»، سأقتبس هنا تحليلاً واحداً للدلالة على هذه الحقيقة لأهمية هذا التحليل البالغة في إظهار بعض السمات القيمة فيما يتعلق بنسيان كلمة ما في اقتباس من اللغة اللاتينية، تجدر الإشارة إلى أن هذه الكلمة ليست اسم في هذه الحالة، سأصف الحادثة البسيطة بوضوح، وبشيء من التفصيل.

تواصلت الصيف الماضي أثناء عطلتي مع صديق شاب من معارفي تلقى تعليمًا أكاديميًا، وأدركتُ سريعاً أنه على دراية بالعديد من أبحاثي النفسية المنشورة، لم أعد أذكر كيف تطرقنا إلى الموضوع، لكننا تحدثنا عن المكانة الاجتماعية للعرق الذي ننتمي إليه، وأشار كونه رجلاً طموحاً، إلى شعوره بالأسف حيال جيله غير القادر على تنمية مواهبه، وإشباع احتياجاته على حد تعبيره، ثم اختتم ملاحظاته الحماسية بتلك المقولة الشهيرة لفيرجيل التي تحت فيها ديدو² البائسة الأجيال القادمة على الانتقام لها من أينياس؛ أو بالأحرى هذا ما كان يريد أن يختتم به الحديث؛ لكنه لم يستطيع إكمال الاقتباس، وسعى لإخفاء فجوة واضحة في ذاكرته بإعادة ترتيب الكلمات، فقال: - عسى أن يولد الانتقام من عظامنا - Exoriar(e) ex nostris ossibus ultor.

قال بعد ذلك بشيء من الانزعاج: - من فضلك لا تبتسم بسخرية كما لو أنك تستمتع بمعاناتي - يمكنك مساعدتي بدلاً من ذلك، هناك أمر خاطئ بهذه العبارة أليس كذلك؟ ما العبارة الصحيحة إذن؟

فأجبت به بأنني سأكون سعيداً بإخباره، واقتبست العبارة الصحيحة: - عسى أن يولد شخص مُنتقم من عظامنا - Exoriar (e) aliquis nostris ex ossibus ultor.

فأجاب: - يا له من غباء أن أنسى كلمة كهذه، لكنك تقول دائماً أن المرء لا ينسى الأشياء دون سبب، هل يمكنك إخباري كيف نسيت الضمير (- aliquis أليكوس) الذي يدل على الأشخاص؟

قبلت التحدي على الفور، راعباً بأن أضيف هذا المثال إلى مجموعتي، وقلت:

- يمكننا الوصول إلى جذور ذلك في الحال إن أخبرتني بكل ما يخطر لك عندما تركز على الكلمة التي نسيتها، بصدق دون الأخذ بالحسبان أي نية معينة، ودون إطلاق أي أحكام نقدية³.

- حسناً، أفكر في الفكرة السخيفة المتمثلة في تقسيم الكلمة إلى جزأين: (أ - a)، و (ليكوس - liquis)

- ما الذي يوحي به ذلك بالنسبة لك؟

- ليس لدي أدنى فكرة.

- إذن ما الذي يخطر ببالك أيضاً في هذه الأثناء؟

- حسناً ما يحدث أن الكلمات الألمانية الآتية تخطر ببالي كالآتي:

Reliquien (ريليكفين أي الآثار) - Liquidation (ليكوديشن أي التصفية) - Flüssigkeit (فلوسيكجايت أي السيولة) - fluid (فلويد أي السوائل)

هل يدلك ذلك على شيء؟

- لا ليس بعد، لكن تابع.

تابع بضحكة ساخرة:

- حسنًا أفكر في سيمون ترينتو التي رأيت آثارها قبل عامين في كنيسة تلك المدينة، وأفكر في الاتهامات المتعلقة بتضحيات الطقوس الدينية الموجهة ضد اليهود هذه الأيام، وأفكر في عمل كلاينبول الذي يرى جميع الضحايا المزعمين على أنهم تجسيد للمخلص، ونسخ جديدة منه إن جاز التعبير.

- إن هذه الفكرة ترتبط بشكل ما بالموضوع الذي كنا نناقشه قبل أن تنسى الكلمة اللاتينية.

- أنت مُحق، أفكر بعد ذلك بمقال قرأته مؤخرًا في إحدى الصحف الإيطالية تحت عنوان: (آراء القديس أغسطينوس في المرأة) ما رأيك بذلك؟

- ما زلت أنتظر أن أرى الرابط.

- حسنًا، لقد توصلت الآن إلى شيء لا علاقة له بالتأكيد بموضوعنا.

- لا تنسى أنني قد طلبت منك الامتناع عن إطلاق أي أحكام نقدية.

- حسنًا، أعرف ذلك، أتذكر رجلًا عجوزًا حسن المظهر قابلته في رحلاتي الأسبوع الماضي، وكان شخص حقيقي (Original - أورجينال) يشبه الطيور الجارحة، واسمه بينيديكت هل لهذا أي فائدة؟

- حسنًا، لدينا الآن على الأقل سلسلة كاملة من القديسين، وآباء الكنيسة: القديس سمعان، والقديس أغسطينوس، والقديس بنديكتوس، وأعتقد أن أحد آباء الكنيسة كان يدعى أوريجانوس، كما أن ثلاثة من هذه الأسماء هي الأسماء الأولى مثل بول، وجزء من لقب كلاينبول.

- أفكر بعد ذلك في القديس جانواريوس، ومعجزة دمه - لكنني أتخيل أن كل ذلك مجرد ارتباط ميكانيكي.

- لا تهتم بذلك؛ يرتبط كل من القديس جانواريوس والقديس أغسطينوس بالتقويم، هل يمكنك أن تذكرني بمعجزة دم القديس؟

- نعم بالتأكيد، لابد أنك تعرف ذلك! تشير المعجزة إلى قارورة من دم القديس جانواريوس يُحتفظ بها في أحد كنائس نابولي حيث يسهل (Liquefies - ليكويفايز) هذا الدم بأعجوبة في بعض أيام العيد، يهتم الناس بهذه المعجزة بشدة، وينزعجون جداً في حال تأخر حدوثها كما حدث في السابق تحت الاحتلال الفرنسي حيث قام القائد العام آنذاك - أم أنني مخطئ بذلك؟ هل كان غاريبالدي؟ - حسناً، لقد تحدث إلى القس على انفراد، وأشار إلى الجنود المنتشرين أمام الكنيسة بطريقة ذات معنى، وأضاف أنه يتأمل حدوث المعجزة في وقت قريب، ومن ثم حدث

- حسناً، أكمل؛ لماذا تتردد؟

- لقد فكرت للتو في شيء ما، لكنه أمر خاص جداً لا أستطيع إخبارك به، لا أرى على أي حال أي صلة بهذا الأمر، لذا ما من حاجة لذكره.

- دعني أجد الروابط، والصلات بنفسي، لا أستطيع إجبارك على إخباري بأمر ما إن كنت لا ترغب بذلك، ولكن لا يمكنك مطالبتني بهذه الحالة أن أخبرك كيف نسيّت كلمة (aliquis أليكوس).

- حقاً، لا تعتقد ذلك؟ حسناً سأخبرك بالأمر، لقد فكرت فجأة في فتاة قد يكون في جعبتها أخباراً غير سارة أبداً بالنسبة لي، ولها.

- تقصد أن الدورة الشهرية فاتتها؟

- كيف خمنت ذلك بحق السماء؟

- ليس الأمر بهذه الصعوبة، فقد أعطيتني الكثير من المعلومات الأساسية، تذكر تقويم القديسين، وسيلان الدم في يوم معين، والاضطراب عند فشل حدوث المعجزة، والتهديد العلني لوجوب حدوث

المعجزة، وإلا ... الحقيقة أنك استخدمت معجزة القديس جانواريس في إشارة عبقرية إلى الدورة الشهرية للفتاة.

- لم يكن لدي أدنى فكرة، هل تعتقد حقاً أنني لم أستطع تذكر هذه الكلمة الصغيرة (aliquis - اليكوس)، لمجرد أنني أنتظر الأخبار بفارغ الصبر؟

- أنا متأكد من ذلك، لاحظ الطريقة التي فصلت بها الكلمة إلى جزأين: (آ - a) و (اليكوس - liquis)، ومن ثم ذكرت ارتباطها بالكلمات (الآثار، التصفية، السوائل)، هل عليّ أيضاً أن أشرح كيف يرتبط القديس سيمون، الطفل الشهيد الذي ذكرت بك به كلمة الآثار، بهذا السياق؟

- أفضل ألا تفعل ذلك، آمل ألا تأخذ أفكارى هذه على محمل الجد - إن كنت بالفعل أمتلك هذه الأفكار، سأعترف مقابل ذلك بأن الفتاة التي ذكرتها إيطالية، وقد ذهبتُ معها إلى نابولي، لكن ألا يمكن أن يكون كل ذلك محض صدفة؟

- يجب أن أترك الأمر لتقديرك الخاص لتقرر ما إذا كان يمكنك تفسير كل هذه الروابط بافتراض المصادفة، لكن يمكنني إخبارك بأن أي حالة مماثلة ستقودك إلى «مصادفات»⁴ مذهلة بنفس القدر إن كنت مهتماً بتحليلها.

أدين لرفيقي بالسفر على هذا المثال بالشكر، وأذكر هنا عدة أسباب تجعلني أقدر هذا التحليل البسيط، وإعطائه قيمة عالية، لقد استطعت بهذا المثال الاعتماد على مصدر أمثلة مختلف غير متاح بشكل عام حيث أكون غالباً مضطراً لاستنباط تلك الأمثلة عن الاضطراب النفسي في أداء الحياة اليومية التي أجمعها في هذا العمل من ملاحظاتي الذاتية، أحاول عادةً تجنب المحتوى النفسي الثري الذي يقدمه مرضاي المصابين بالعصاب حتى لا أوجه نقداً محتملاً بأن الظواهر المعنية نتيجة للعصاب، وتعبيراً عنه، لذا يُعدّ تقديم شخص آخر يتمتع بصحة عقلية جيدة نفسه كمثال للتحليل أمراً جوهرياً بالنسبة لأهدافي، يتمتع هذا المثال بقيمة عالية بالنسبة لي حيث يُسلط الضوء على حالة نسيان كلمة دون

استبدالها بكلمة أخرى بالذاكرة، مما يؤكد نظريتي أعلاه بأن ظهور ذكريات بديلة غير صحيحة أو عدم ظهورها لا يشكل أي أساس لتمييز جوهري⁵.

تكمّن القيمة الأساسية لمثال نسيان كلمة (- aliquis أليكوس) في اختلافها عن مثال نسيان اسم «سينوريلي - Signorelli» حيث يتضمن هذا الأخير تأثير علمية تذكر الاسم بسلسلة الأفكار التي بدأتها ثم قطعنها، ولم يكن لها علاقة واضحة بالموضوع الجديد الذي يحتوي على اسم «سينوريلي - Signorelli» سوى رابط التواصل الزمني بين الموضوع المكبوت، والاسم المنسي، لكن كان ذلك كافياً لربط الاثنين برابطة خارجية⁶، أما في مثال نسيان كلمة (- aliquis أليكوس) لم يكن هناك أي موضوع مكبوت يشغل العقل الواعي لدى صديقي قبل نسيان الكلمة مباشرة ليظهر فيما بعد على هيئة إرباك، لقد نشأ الإرباك في تذكر العبارة كاملة من الموضوع الذي تتطرق إليه مما أدى إلى معارضة غير واعية للأمنية التي تعبر عنها العبارة، يمكن إعادة بناء العملية على النحو الآتي: كان المتحدث يُعرب عن أسفه لحقيقة تقييد حقوق الجيل الحالي من شعبه، ويتنبأ بظهور جيلاً جديداً سينتقم من مضطهديه مثل ديدو تماماً مما يعني رغبته في التنازل، ثم يخطر بباله في نفس اللحظة فكرة متناقضة: «هل حقاً ترغب بالأطفال؟ لا بالتأكيد، سيكون صعباً في هذه المرحلة أن تتلقى أخبار حول ذريتك مع شخص تعرفه بالفعل، لا، أنت لا تريد أطفال مهما كان ذلك مفيداً في مسألة الانتقام» يظهر هذا التناقض عبر إنشاء رابط خارجي بين أحد عناصره المفاهيمية، وعنصر الرغبة المرفوضة بطريقة واضحة جلية عبر ما يبدو أنه رابط مصطنع، ومُلتف، يكمن تشابه هذا المثال مع مثال «سينوريلي - Signorelli» في حقيقة أن التناقض ينشأ من مصادر مكبوتة وينطلق من الأفكار التي من شأنها صرف الانتباه، إذن هناك الكثير من الاعتبارات المتعلقة بالاختلافات، والروابط الداخلية بين هذين المثالين النموذجيين لنسيان الاسم، لقد عرفنا في هذا المثال آلية ثانية للنسيان: إرباك الفكرة بسبب تناقض داخلي ينشأ من فكرة مكبوتة، تبدو هذه العملية أكثر سهولة في الفهم، وسنراها عدة مرات في سياق هذا الكتاب.



الفصل الثالث: نسيان الأسماء، وتسلسل الكلمات

إن دراسة الحالات التي وصفتها للتو، وتُفسر طريقة نسيان سلسلة من الكلمات في اقتباس بلغة أجنبية، تجعل المرء فضولياً حول درجة اختلاف حالة نسيان تسلسل الكلمات في اللغة الأم، وما إذا كان يتطلب بعض التفسيرات المختلفة اختلافاً جوهرياً، لا يتفاجأ المرء عادةً عندما يكتشف عدم قدرته على تذكر سلسلة من الكلمات بشكل غير دقيق أو قصيدة حفظها في الماضي بعد مرور فترة زمنية معينة مما يجعله يجري تغييرات، ويترك فجوات؛ سيكون إجراء تحليل دقيق على بعض أمثلة هذا النوع من التذكر غير الدقيق مفيداً جداً حيث لا يؤثر هذا النسيان على الأمور التي يتعلمها المرء في سياق متماسك بطريقة موحدة، ولكن يبدو أنه يمحو أجزاء معينة منها في العقل.

أخبرني زميل في حديث بيننا حول اعتقاده بأن حالة نسيان القصائد باللغة الأم ناتجة عن نفس الدوافع التي ينتج عنها حالة نسيان أجزاء من سلسلة كلمات بلغة أجنبية، وقدم نفسه كمثال للدراسة، طلبت منه أن يخبرني بالقصيدة التي يود أن تكون موضوع الاختبار فاختار قصيدة غوته (عروس كورنثوس - Braut von orinth)، وقال إنه مولع بهذه القصيدة، ويعتقد بأنه يحفظها عن ظهر قلب أو يحفظ منها عدة أبيات على الأقل، عندما بدأ في إلقاء هذه القصيدة، تعرّض للحظة من عدم اليقين بصورة مذهشة حقيقةً، فسأل: «هل تقول الأبيات: من كورنثوس إلى أثينا جاءوا، أم إلى كورنثوس من أثينا جاءوا» لقد ترددت لبعض الوقت من جهتي؛ لكنني أشرت بعد ذلك بابتسامة إلى أن مسار قصيدة «عروس كورنثوس» لم يترك أدنى شك حول الاتجاه الذي يسير فيه الشباب، أكمل بعد ذلك إلقاؤه للأبيات الأولى بسلاسة أو على الأقل دون أي خطأ ملحوظ، بعد السطر الأول من المقطع الثاني، بدا أن زميلي كان يبحث عن الكلمات في عقله، لكنه سرعان ما تابع، وألقى:

ولكن هل سيظل موضع ترحيب

الآن، حيث يأتي كل يوم بشيء جديد؟

فهو لا يزال وثيقاً، وأقاربه

وهم مسيحيون - ومعمدون.

كنت أستمع له، وأشعر بوجود خطأ ما، وبعد نهاية السطر الثاني اتفقنا على أنه هناك بعض التشويه، نظرًا لعدم قدرتنا على التفكير في ماهية هذا التشويه، سارعنا إلى المكتبة للبحث عن قصيدة جوته، وتفاجأنا بأن صياغة السطر الثاني من هذا المقطع لم تكن مشابهة لما اقتبس زميلي بل كانت مرفوضة من ذاكرته إن جاز التعبير، واستبدلت بشيء مختلف تمامًا، كانت الصيغة الصحيحة للأبيات كالآتي:

ولكن هل سيظل موضع ترحيب

إن لم يشتَرِ لأحبائه الهدايا الباهظة؟

تأتي كلمة (Getauft - أي مُعمّد) على قافية كلمة (erkauft - أي يشتري)، وأرى الأمر غريباً أن الأفكار المجتمعة لكلمات (الوثني)، و (المسيحي)، و (المعمد) لم تساعد على تذكر النص، سألت زميلي:

- هل يمكنك أن تشرح كيف نسيت سطر كامل في قصيدة تقول إنك تحفظها جيداً، وهل لديك أي فكرة أين عثرت على ذلك السطر البديل؟

كان قادراً في الواقع على تفسير ذلك بالرغم من عدم رغبته الواضحة في تقديم هذا التفسير، فقال:

- أشعر بأن السطر - يأتي كل يوم بشيء جديد - مألوف بالنسبة لدي؛ لا بد أنني استخدمت هذه الكلمات مؤخراً فيما يتعلق بعملتي فإنه يزدهر في الوقت الحالي، وأنا سعيد بذلك، لكن كيف وصلت هذه الجملة إلى القصيدة؟ أعتقد في الحقيقة بأنني لا أستطيع إيجاد رابط أو صلة معينة، يتمثل السبب الذي يجعلني لم أهتم بشكل واضح بسطر - إن لم يشتَرِ الهدايا الباهظة؟ - في أنني تعاملت مع فتاة طلبت منها الزواج مؤخراً، ورفضتني، ولكنني الآن أفكر بعرض ذلك عليها مجدداً نظراً للتحسن

الكبير في وضعي المالي، لا أستطيع أن أخبرك بالمزيد، ولكن إن قبلتني هذه المرة لن يكون جيداً بالنسبة لي أن أتذكر وجود نوعاً من الحسابات في كلتا الحالتين.

بدا ذلك معقولاً بالنسبة لي دون الحاجة إلى معرفة المزيد من التفاصيل حول الظروف المحيطة، لكنني تابعت بطرح سؤال آخر:

- لكن كيف وصلت لحالة أدخلت فيها نفسك، وعلاقاتك الخاصة في نص «عروس كورنثوس»؟ هل هناك أي اختلافات في المعتقد الديني فيما يتعلق بحالتك - اختلافات من النوع الذي ظهر جلياً في القصيدة؟

عندما يظهر إيمان جديد،

يُقتلع الحب، والثبات

مثل الأعشاب الضارة.

لم يكن تخميني صحيحاً، لكن كان أمراً لافتاً كيف ساهم هذا السؤال المعارض في تنوير زميلي، وبالتالي تمكّن من إعطائي إجابة أعتقد بأنه لم يكن يعلمها بنفسه حتى اللحظة، عندها نظر إليّ بتعبير مضطرب، ومتردد إلى حد ما، وتمتم بأبيات لاحقة من القصيدة بصوت منخفض:

أنظر إليها عن كثب!

فغداً ستغدو رمادية⁷

ثم أضاف بإيجاز:

- إن السيدة أكبر مني بقليل.

فقطعت تحليلنا هنا لتجنيبه المزيد من الإحراج، لقد بدا لي التفسير مناسباً؛ بالرغم من أنني فوجئت بلا شك بالعثور على ما يربط زلة الذاكرة غير المؤذية بأصولها المرتبطة بهذه المشاعر الحميمية، والمؤلمة في الموضوع الذي كنت أدرسه بعيداً عن القصيدة.

أقتبس هنا مثلاً آخر لحالة نسيان كلمات من قصيدة معروفة يقدمها كارل غوستاف يونغ⁸، كان رجل على وشك إلقاء قصيدة هاين المعروفة (وحدها تقف شجرة التنوب - Ein Fichtenbaum steht einsam) ثم علق على نحو يأس عند البيت الذي يقول (إنها تشعر بالنعاس - Ihn schläfert) بعد أن نسي تماماً الكلمات التالية (بغطاء أبيض - mit Weißer Decke)، لقد بدا لي غريباً أن ينسى أي شخص مثل هذا السطر الشهير، وطلبت منه أن يخبرني بالأفكار التي تخطر بباله حول عبارة (بغطاء أبيض - mit Weißer Decke)، فأشار إلى سلسلة الأفكار الآتية: «حسناً، هناك غطاء أبيض يوحي بوجود كفن - قطعة قماش كتانية تغطي جثة - (توقف لوهلة) - وهذا يجعلني أفكر بصديق مقرب - توفي شقيقه مؤخراً فجأة - يبدو أنه تعرض لنوبة قلبية - لقد كان رجلاً قوياً للغاية - وصديقي شجاع أيضاً - ثم خطر لي أنه قد يلقي نفس المصير - ربما لا يقوم بالتمارين الرياضية الكافية - وعندما سمعت عن الوفاة، خشيت فجأة أن يحدث لي الأمر نفسه لأن عائلتنا تميل إلى السمنة على أي حال، وتوفي جدي بنوبة قلبية؛ ولأنني أخشى أن أعاني من زيادة الوزن اتبعت نظاماً غذائياً مؤخراً، يعلق يونغ:

«إن هذا الرجل يتماهى دون وعي مع شجرة التنوب الملفوفة بكفنها الأبيض»

يختلف المثال الاتي لنسيان سلسلة من الكلمات الذي يقدمه صديقي شاندور فيرينتزي من بودابست عن المثال المذكور أعلاه حيث يشير إلى محادثة اعتيادية، وليس اقتباس لقصيدة، يشرح هذا المثال النوع غير المعتاد من الحالات التي ينسى فيها المرء شيئاً ما لمصلحته لأن بعض لحظات الخيال العابرة قد تُهدد تفكيره السليم، وبالتالي يمكن القول بأن لزلة العقل وظيفة مفيدة، بمجرد أن يعود المرء إلى الحالة المزاجية الأكثر ثباتاً، فإنه يتفق مع تلك الأفكار التي تظهر فقط في حالة الفشل - نسيان شيء ما، والعجز النفسي، اقتبس أحدهم في إحدى الحفلات عبارة:

(أن تتفهم كل شيء، يعني أن تسامح الجميع)

لقد قلتُ بأن الجزء الأول من الجملة كافياً حيث أجد أن الحديث عن العفو ينم عن عجرفة حيث يُفضل ترك المغفرة للإله، ولرجال الدين، وأشار رجل من الحضور إلى أن ملاحظتي جيدة جداً فتشجعت للحديث عن فكرة أخرى أفضل، وربما لتعزيز رأي الناقد اللطيف بي، لكن حين كنتُ على وشك تكرار هذه الفكرة نسيتها، عندها انسحبت على الفور، وكتبت الأفكار التي حجت هذه الفكرة، وتضمنت اسم صديق لي في بودابست، والشارع الذي يعيش فيه باعتباره المكان الذي كنتُ فيه، حين جاءتني الفكرة التي كنت أحاول تذكرها ثم اسم صديق آخر (ماكس) المعروف لنا باسم ماكسي مما قادني إلى كلمة (ماكسم - maxim أي حكمة)، وتذكرت أنني في المناسبة التي ذكرتها أعلاه كنتُ أفكر بتغيير حكمة معروفة، ومن الغريب أنني لم أتوصل بعد ذلك إلى حكمة معروفة، ولكن توصلت لعبارة «خلق الإله الإنسان على صورته»، ومن ثم عكستها لتصبح «خلق الإنسان الإله على صورته»، عندئذ تذكرت على الفور ما كنت أبحث عنه؛ لقد قال صديقي في شارع اندراسي في ذلك اليوم:

«لا يوجد أي إنسان غريب عني، وعندئذ قلت في إشارة إلى نتائج التحليل النفسي: عليك أن تذهب إلى أبعد من ذلك، يجب أن تعترف أنه لا يوجد حيوان غريب عنك»

عندما تذكرت في نهاية الأمر ما كنت أحاول تذكره، لم أتمكن من سرد قصتي في المكان الذي كنتُ فيه، لقد حضرت الحفلة زوجة صديقي الذي تحدثت معه عن الطبيعة الحيوانية للعقل اللاواعي، وكنت أعلم أنها لن تحب هذه الفكرة المقيتة، لقد أنقذني نسيان القصة من التعرض لعدد من الأسئلة المخرجة التي قد تطرحها عليّ، ومن مناقشة لا تؤدي إلى أي نتيجة، ولابد أن هذا كان سبب «فقدان الذاكرة المؤقت» يبدو أمراً مذهلاً أن الفكرة البديلة التي تبادرت لذهني تعلقت بمقولة تتخفف فيها مكانة الإله إلى مرتبة اختراع بشري، بينما التعليق الذي كنت أحاول تذكره يشير إلى العنصر الحيواني في الطبيعة البشرية، يتمثل القاسم المشترك بين المقولتين بفكرة خفض المكانة، يبدو جلياً أن الأمر برمته مجرد استمرار لسلسلة الأفكار حول التفهم، والعفو التي حفزتها المحادثة بشكل عام،

يعود تذكّري لما كنت أبحث عنه بهذه السرعة إلى أنني انسحبت على الفور من الحفل حين شعرت بأنني لا أستطيع سرد مثل هذه القصة، وذهبت إلى غرفة فارغة، لقد عملت منذ ذلك الحين على تحليل العديد من الحالات الأخرى لنسيان عبارة أو تذكّرها بشكل غير دقيق، وتجعلني النتائج العامة لهذه الدراسة أميل إلى الاعتقاد بأن آلية النسيان تكاد تنطبق على الإنسان بشكل عالمي، كما هو موضح في أمثلة نسيان كلمة (- aliquis أليكوس)، وقصيدة (عروس كورنثوس - Braut von orinth)، عادةً ما يكون وصف التحليل أمرًا محرّجًا حيث يؤدي دائمًا إلى مواضيع حميمة، ومؤلمة للشخص الذي يخضع للتحليل كما تبين في الحالات السابقة، لذا لن أضيف المزيد من هذه الأمثلة، تشترك كل الحالات المذكورة بغض النظر عن موضوعها بأن كل ما ينساه المرء أو يتذكره بشكل مشوه يرتبط بطريقة أو بأخرى بأفكار غير واعية تظهر من خلال النسيان.

سأعود الآن إلى موضوع نسيان الأسماء حيث لم أحلّ بشكل شامل كيفية حدوث مثل هذه الحالات أو سبب حدوثها، بما أنني أختبر هذا النوع من النسيان في بعض الأحيان فأنا أكثر استعدادًا لملاحظته بنفسي، ولست في حيرة من أمري حين يتعلق الأمر بالأمثلة، يظهر الصداع النصفي الخفيف الذي مازلت أعاني منه قبل ساعات من عدم قدرتي على تذكر الأسماء، وعندما يكون في أسوأ حالاته لا يجبرني على التوقف عن العمل لكنّه يجعلني أنسى كل الأسماء تمامًا، قد تثير الحالات المشابهة لحالتي اعتراضًا على التحليل النفسي من حيث المبدأ فبرأيهم تكمن أسباب النسيان، وخاصة نسيان الأسماء في اضطرابات الدورة الدموية، والوظيفية العامة للمخ، لذا يجب ألا أحاول إيجاد أسباب للنسيان في هذه الملاحظات أو إيجاد تفسيرات نفسية لهذه الظواهر، لا أوافقهم الرأي على الإطلاق فما يقولوه يعني الخلط بين آلية عملية النسيان التي تتشابه في كل الحالات مع الأمور التي تحفز النسيان رغم اختلافها، وعدم وجودها في بعض الأحيان، بدلاً من الخوض في هذا النقاش، سأواجه كل اعتراض بتقديم مثال.

لنفترض أنني لم أكن حذرًا بما يكفي، وخرجت للمشّي ليلاً في جزء من المدينة حيث يوجد عدد قليل من الناس، ومن ثم تعرضت للهجوم، وسُرقت ساعتِي، وحقيبتِي، فأبلغت عن السرقة في أقرب مركز شرطة، وقلت: «كنت في شارع كذا، وسلبتني عزلة المكان، والظلام ساعتِي، ومحفظتي» بالرغم

من أن طريقتي في وصف الحدث لا تخلو من الدقة، إلا أنها ستجعل الشرطة تعتقد بأنني لستُ على حق تمامًا، لذا يمكنني وصف وقائع الحدث بشكل صحيح بالقول إن مجرمين مجهولين استغلوا عزلة المكان، وسرقوا أشياءي الثمينة تحت جناح الظلام، لا يختلف الوضع الذي ننسى فيه الأسماء عن هذا المثال، فهناك قوة نفسية غير معروفة منعنتي من تذكر الأسماء الصحيحة في ذاكرتي بدافع الإرهاق، واضطراب الدورة الدموية أو التسمم، بينما قد تتسبب القوة ذاتها في فشل التذكر لدى شخص يتمتع بصحته الكاملة في حالات أخرى.

عند تحليل حالات نسيان الأسماء التي ألاحظها في نفسي، أجد دائمًا أن الاسم الذي يغيب عن ذهني مرتبط بموضوع ما يؤثر عليّ بشكل هائل، ويُحدث مشاعر قوية، ومؤلمة في كثير من الأحيان، يمكن التعبير عن هذه الظاهرة وفقًا للعبارات الرائعة لمدرسة يوجين بليولر، وكارل يونغ، وفرانز ريكلن على النحو الآتي: يلمس الاسم الذي غاب عن ذهني «عقدة شخصية» خاصة حيث أن علاقة الاسم بيّ غير متوقعة، وتُعبّر عنها روابط سطحية (معاني مزدوجة أو تشابه في الصوت)، يمكن وصفها بعلاقة هامشية بشكل عام، فيما يلي بعض الأمثلة البسيطة التي توضح طبيعة هذا الارتباط بأفضل طريقة:

1. طلب مني أحد المرضى أن أنصحه بمنتجع صحي في الريفييرا، وكنت أعرف مكانًا قريبًا جدًا من جنوة فتذكرت اسم زميل ألماني يمارس مهنة الطب هناك، إلا أنني لم أستطع تذكر اسم المكان بالرغم من يقيني بأنني أعرفه جيدًا، كان عليّ أن أطلب من المريض الانتظار، والذهاب إلى أفراد عائلتي الإناث لأسألهن: «ما اسم ذلك المكان بالقرب من جنوة حيث يملك الدكتور س، عيادته الصغيرة التي تعالجت فيها السيدة فلانة لفترة طويلة؟»، «عليك أنت من بين الجميع ألا تتسى ذلك، أن اسمه (نيرفي - Nervi)⁹»، وبصفتي طبيب أعصاب كان لدي بالفعل الكثير من الأمور التي تتعلق بالأعصاب.

2. ذكر مريض آخر منتجًا قريبًا لقضاء العطلات، وقال: «يضم المنتج فندقين شهيرين، وفندق ثالث أتذكره جيدًا لسبب ما...» ثم حاول أن يتذكر: «أعطني لحظة، وسأخبرك باسمه»، لقد شككت من جهتي بوجود هذا الفندق الثالث من الأساس فقد قضيت سابقاً سبعة إجازات صيفية في المنتجع

ذاته، ولا بد أنني أعرف أكثر منه، فسرعان ما تذكر المريض الاسم منزعاً من معارضتي له، كان اسم الفندق (هوشفارتتر - Hochwartner)، وكان عليّ أن أعترف أنني كنت مُخطئاً، وأنني نزلت في فندق قريب منه خلال الإجازات السبعة التي أمضيته في المنتجع بالرغم من أنني أنكرت وجوده، يبقى السؤال، لماذا نسيت حقيقة وجود هذا الفندق واسمه؟ أعتقد بأن السبب يكمن في الاسم المشابه لاسم زميل لي من فيينا، وبالتالي يلمس هذا الاسم عقدة «مهنية» بداخلي.

3. كنت في مرة أخرى على وشك شراء تذكرة قطار في محطة (ريشينهال - Reichenhall)، ولم أستطع تذكر اسم المحطة الكبيرة التالية بالرغم من مروري المتكرر بها، وأنها مألوفة تماماً بالنسبة لي، كان عليّ البحث عنها في الجدول الزمني للرحلات، ووجدت أن أسمها (روزنهايم - Rosenheim)، فعرفت بعد ذلك الرابط الذي جعلني أنساها، لقد كنت قبل ساعة قد ذهبت لزيارة شقيقتي روز التي تسكن بالقرب من محطة ريشينهال، مما يعني أنني زرت منزل روز¹⁰، لقد تسببت «العقدة العائلية» في غياب الاسم عن ذهني.

4. يمكنني تتبع الآثار السلبية الشديدة لـ «العقدة العائلية» عبر سلسلة كاملة من الأمثلة، لقد زارني شاب ذات يوم في عيادتي، وكان الشقيق الأصغر لإحدى المريضات لديّ، وقد التقيت به في مناسبات لا حصر لها، واعتدت مناداته باسمه الأول، كنت على وشك الحديث عن زيارته عندما اكتشفت أنني نسيت ذلك الاسم الأول بالرغم من أنه اسم مألوف بالنسبة لي، ولم أستطع تذكره بأي طريقة كانت، نزلت بعدها إلى الشارع لقراءة اللافتات فوق المباني التجارية، وتعرفت على الاسم بمجرد أن صادفته، يشير التحليل إلى أنني رأيت تشابهاً بين الزائر، وشقيقي مما كان يقودني إلى السؤال المكبوت حول ما إذا كان شقيقي سيتصرف بطريقة مماثلة أو مختلفة في نفس الحالة، لقد نشأت العلاقة الخارجية بين أفكاري عن عائلة الشاب، وأفكاري عن عائلتي نتيجةً لمصادفة أن والدتي، ووالدته تحملان الاسم الأول نفسه: (أماليا - Amalia)، تمكنت فيما بعد بالعودة للوراء من فهم الأسماء البديلة (دانيال وفرانز) التي خطرت ببالي دون تسليط الضوء على معاناتي، لقد كانت هذه الأسماء البديلة، واسم أماليا عبارة عن أسماء شخصيات في مسرحية شيلر «الصوص»، كما يشير الصحفي الفيني دانييل سبيتزر في مقالته «المشي في فيينا» إلى هذه الأسماء بطريقة فكاهية.

5. لم أستطع في مناسبة أخرى تذكر اسم المريض بسبب ارتباطات معينة تعود إلى شبابي، وأخذ تحليلي مساراً طويلاً، وغير مباشر حول الموضوع قبل تذكر الاسم الذي أريد تذكره، عبرت إحدى المريضات لديّ عن خوفها من الإصابة بالعمى مما ذكرني بشاب أصيب بالعمى نتيجة لعيار ناري، وارتبطت هذه الذكرى بتفكيري بشاب آخر أطلق النار على نفسه، وكان اسم عائلته نفس اسم المريضة الأولى بالرغم من عدم وجود صلة قرابة بينهما، بالرغم من ذلك كله، لم أتذكر الاسم إلا بعد إدراك أنني شاركت توقعات مُقلقة حول هاتين الحاليتين مع أحد أفراد عائلتي، وبالتالي هناك تيار مستمر من «المرجعية الذاتية» يمر في ذهني، لا أكون عادةً واعي لكل ذلك لكنّه يظهر جلياً حين أنسى الأسماء بهذه الطريقة، يبدو الأمر كما لو أنني مجبراً على ربط كل ما أسمعه عن الآخرين بنفسي، وكما لو أن تفهمّي، واستماعي لقصص الآخرين قد أثار عقدي الشخصية، لا يمكن أن يكون ذلك أمراً خاصاً بي، ولا بد من أنه يدلّ على الطريقة التي نتقهم فيها «الآخر»، وأفترض بأن الشيء نفسه يحدث في أذهان الآخرين كما يحدث في عقلي، ولديّ أسباب لذلك.

أذكر هنا أفضل مثال يمكنني التفكير به، ويتمثل بما أخبرني به السيد ليدرير كتجربة شخصية حيث التقى برجل نبيل يعرفه خلال شهر العسل في البندقية ف شعر بوجوب تعريفه على زوجته، إلا أنه نسي اسم الرجل، وتجاوز ذلك في اللقاء الأول بأن تتمم باسم غير واضح، عندما التقى بالرجل مرة أخرى فعل ما كان عليه فعله في البندقية، وتحدث مع الرجل على انفراد طالباً منه تذكيره باسمه الذي نسيه أسفاً، أظهرت إجابة الرجل تفهماً رائعاً للطبيعة البشرية فقال: «يمكنني أن أصدق بسهولة أنك لم تتذكر اسمي، فهو ليدرير مثلك تماماً!»، لا يسع المرء إلا أن يشعر بعدم الارتياح عندما يكتشف أن شخصاً غريباً يحمل نفس اسمه، وقد أدركت ذلك بوضوح شديد عندما اتصل بي مؤخراً السيد س. فرويد خلال ساعات الاستشارة (أشير هنا إلى رأي أحد المنتقدين الذي يرى بأن هذا الأمر على العكس تماماً مما أراه).

6. تتضح فعالية «المرجعية الذاتية» أيضاً في المثال الاتي الذي يقتبسه يونغ¹¹: «وقع السيد س. في حب سيدة لم تبادله المشاعر، وتزوجت بعد ذلك بفترة وجيزة من رجل آخر (السيد ص). بالرغم معرفة السيد س. بالسيد ص. وعمله معه في التجارة لفترة من الوقت إلا أنه كان ينسى اسم الرجل

باستمرار، وأحتاج أن يسأل الآخرين عن اسمه عدة مرات عندما أراد التواصل معه، أن الدافع وراء نسيان الاسم هنا أكثر وضوحاً من المثال السابق حيث تحكمه «المرجعية الذاتية»، يبدو أن النسيان هنا مستمد مباشرة من كراهية السيد س. لمنافسه الأكثر نجاحاً، ولم يكن يريد أن يعرف عنه شيئاً، كما قال الشاعر هاينه Heine «دعه يُمحي من الذاكرة».

7. قد يكون هناك دافع أكثر دقة لنسيان الاسم، ويمكن تسمية هذا الدافع بالاستياء «المتسامي» من حامل هذا الاسم، فعلى سبيل المثال كتبت سيدة من بودابست تدعى السيدة آي فون كيه: «لدي نظرية بسيطة، لقد لاحظت أن الأشخاص الذين يملكون موهبة الرسم ليس لديهم عمومًا أي إحساس بالموسيقى، والعكس صحيح. كنت أتحدث مع شخص ما عن نظريتي مؤخراً، وقلت: «إن ملاحظتي صحيحة، وتطبق دائماً باستثناء شخص واحد» لكن عندما حاولت أن أتذكر اسم هذا الشخص الاستثنائي، غاب عن ذهني دون أثر بالرغم من أنه أحد أقرب معارفي، عندما سمعت شخصاً ما يذكر اسمه بالصدفة بعد بضعة أيام، أدركت بالطبع أنه اسم الشخص الذي أبطل نظريتي، عبر نسياني لاسمه الذي اعرفه جيداً عن استثنائي اللاواعي منه.

8. لقد أدت المرجعية الذاتية إلى نسيان الاسم بطريقة مختلفة إلى حد ما في الحالة الآتية التي سجلها فيرينزي، سيكون تحليل هذه الحالة مفيداً بشكل خاص لأنها تسلط الضوء الأفكار البديلة (كما استبدلت اسم «سينوريلي» بأسماء «بوتيتشيلي وبولترافيو») لم تتمكن السيدة التي سمعت شيئاً عن التحليل النفسي من تذكر اسم الطبيب النفسي يونغ، وتوصلت بدلاً من ذلك إلى الأفكار الآتية: اسم كي. - وايلد - نيتشه - هاوبتمان، لم أخبرها باسم يونغ لكنني طلبت منها محاولة إيجاد رابط لكل فكرة خطرت ببالها بحرية تامة، بالنسبة لأسم كي، لقد فكرت هذه السيدة على الفور بالسيدة كي، وقالت إنها سيدة متصنعة، ولكنها جميلة بالنسبة لسنها، ولا يبدو أنها تكبر أبداً، لقد ذكرت «المرض النفسي» كشيء مشترك بين كل من وايلد ونيتشه، وقالت بسخرية: «أنتم الفرويديين ستستمرون في البحث عن أسباب الأمراض النفسية حتى تصابوا بمرض نفسي»، ثم أضافت: «أشعر بأنني لا أطيق وايلد ونيتشه ولا أفهمهما، لقد سمعت أن كلاهما شاذ جنسياً، وأن وايلد كان يتجول مع الشباب» (لقد ذكرت السيدة الاسم الصحيح في هذه الجملة «يونغ» باستخدامها الكلمة الإنجليزية (Young) التي تعني

الشباب بالرغم من أنها كانت تتحدث باللغة المجرية، لكنها لم تتذكر الاسم)، عندما تحدثت عن هاوبتمان، فكرت أولاً في هالبي ومن ثم في يوجيند (تشير الأسماء هاوبتمان، وهالبي إلى مسرحيين وتشير كلمة «يوجيند» التي تعني الشباب بالألمانية إلى إحدى مسرحيات هالبي)، عندها فقط لفتت انتباهها كلمة الشباب بالإنجليزية (يوث - Youth)، وأدركت أن الاسم الذي كانت تحاول تذكره هو (يونج - Young) تمتلك هذه السيدة في حقيقة الأمر أسباب كافية تجعلها تتجنب التفكير في أي شيء من شأنه أن يخطر ببالها حول الشباب، والعمر فقد توفي زوجها عندما كانت في التاسعة والثلاثين من عمرها، ولم يكن محتملاً أن تتزوج مرة أخرى، الأمر اللافت للنظر أن أفكارها البديلة ارتبطت بالاسم الذي كانت تبحث عنه من حيث المحتوى، والمعنى بصفة بحتة، ولم تكن هناك ارتباطات للصوت.

9. شرح شاب قصته بنفسه في مثال آخر حيث أشار إلى دوافع شديدة لنسيان الاسم، ويقول: «عندما كنت أتقدم لامتحان في الفلسفة كموضوع فرعي، سألني الممتحن عن عقيدة أبيقور Epicurus، ثم سألني إن كنت أعرف من تبنى تعاليمه في القرون اللاحقة، فأجبت باسم طالب أبيقور «بيير جاسندي» الذي سمعت ذكره في مقهى قبل يومين فقط، عندما سألني الممتحن متفاجئاً كيف عرفت هذا الاسم، أخبرته بجرأة أنني كنت مُهتمةً بجاسندي منذ فترة طويلة، نجحت في الامتحان بامتياز نتيجةً لذلك، ولكن يؤسفني أن أقول إنني فيما بعد استمرّيت في نسيان اسم جاسندي، أعتقد أن عليّ لوم ضميري، وشعوري بالذنب على فشلي في تذكر الاسم الآن، فمهما حاولت بشدة لا أتذكره في الوقت اللازم» لنتمكن من تقدير مدى شدة نفور هذا الشخص من تذكره لتلك الحادثة في امتحاناته، لا بد من الإشارة إلى مدى تقديره لدرجة الدكتوراه التي تُمثّل قيمة تعويض عظمى عن أمور أخرى في حياته.

10. فيما يلي مثال آخر على نسيان اسم بلدة، ويمكن القول بأنه أكثر تعقيداً من الحالة المذكورة أعلاه، برغم كونه مقنع، وقيم بالنسبة لأي شخص على دراية بهذا التحليل، يشير المثال إلى حالة نسيان اسم مدينة إيطالية بسبب التشابه الصوتي الشدي في اسمها مع الاسم الأول لامرأة ما حيث ربط المتحدث ذلك بعدد من الذكريات العميقة التي يغطي بعضها الشرح الآتي، لقد تعامل ساندور فرينزي من بودابست الذي لاحظ حالة النسيان هذه في نفسه مع هذه الحالة كما يُحلل المرء حلم أو فكرة عصابية،

وكان ذلك بالتأكيد النهج الصحيح، يقول: «عندما كنت اليوم في زيارة لعائلة تربطني بها علاقة صداقة، تحوّل حديثنا إلى مدن معينة في شمال إيطاليا، وقال أحدهم إنهم ما زالوا يخونون آثار النفوذ النمساوي؛ ذكرت أسماء بعض هذه المدن، وكنت أود الإشارة إلى أحدها لكن لم أستطع تذكر اسمها بالرغم من أنني أمضيت يومين ممتعين جداً فيها، وهذه حقيقة تعاكس نظرية النسيان لفرويد، بدلاً من تذكر اسم المدينة التي كنت أبحث عنها، خطر ببالي الأفكار الآتية: كابوا - بريشيا - أسد بريشيا. لقد رأيت هذا «الأسد» أمامي بوضوح كما لو كان تمثال رخامي، لكنني لاحظت على الفور أنه أقل شبهاً بنصب الحرية في بريشيا (رأيتَه فقط في الصور) من أسد رخامي آخر رأيتَه في لوسيرن على النصب التذكاري للحرس السويسري الذين سقطوا في التويلري/باريس، ولدي نسخة مصغرة منه على أرفف مكتبتني. تذكرت أخيراً أن الاسم الذي كنت أبحث عنه: «فيرونا»، كما عرفت فوراً أن فقدان الذاكرة هنا يعود لامرأة كانت تعمل سابقاً لدى العائلة التي كنت أزورها في تلك اللحظة حيث كان اسمها فيرونیکا أو باللغة الهنغارية فيرونا، وكنت أكرهها كثيراً بسبب وجهها غير الجذاب، وصوتها الأجش، والصاخب، وطريققتها المتغترسة التي لا تطاق (الأمر الذي شعرت بأنه مبرر نظراً لفترة خدمتها الطويلة)، ولا يمكنني تحمل الطريقة الاستبدادية التي تعاملت بها مع أطفال المنزل، عرفت بعد ذلك أهمية أفكاري البديلة.

لقد ربطت على الفور كلمة (كابوا) بعبارة (caput mortuum) أي رأس ميت باللاتينية، وقد كنت كثيراً ما أقارن وجه فيرونیکا برأس الموت، لا بد أن الكلمة الهنغارية (كابجي kapzsi) أي الطمع قد لعبت دوراً في إزاحة أفكاري، لقد عرفت أيضاً الارتباطات المباشرة التي تربط بين كابوا، وفيرونا كمصطلحات جغرافية، وكلمات إيطالية لها نفس الإيقاع الصوتي، وينطبق الأمر ذاته على بريشيا لكن مرة أخرى واجهت طرق متعرجة في ربط أفكاري، لقد كانت كراهيتي لفيرونیکا في الماضي كبيرة جداً لدرجة أنها تُشعرنني بالغثيان، وقد أعربت عن دهشتي في عدة مناسبات من فكرة أن يكون لديها حياة عاطفية على الإطلاق أو أن تُحب في يوم من الأيام، فقلت ذات مرة: «بالتأكيد، فإن تقبيلها يجعلك تشعر بالغثيان (تمتلك كلمة بريشريز - Brechreiz أي غثيان باللغة الألمانية نفس الصدى الصوتي لكلمة بريشيا)» لا بد أنني ربطتها أيضاً منذ فترة طويلة بأفكاري حول الحراس السويسريين القتلى، لا ترتبط بريشيا هنا في المجر مع الأسد فقط، وإنما تُذكر عادة مع وحش بري آخر حيث

يمكن القول بأن أكثر اسم مكروه في هذا البلد، وفي شمال إيطاليا على حد سواء هو اسم الجنرال هايناو المعروف باسم ضبع بريشيا، هكذا انطلقت سلسلة أفكار من الطاغية البغيض هايناو عن طريق بريشيا إلى مدينة فيرونا، وانطلقت سلسلة أخرى من الضبع المخلوق الصاحب الذي يحفر القبور (فكرة مرتبطة في ذهني بفكرة نصب جنازي) إلى رأس الموت، وصوت فيرونيكا المزعج الذي اتهمه عقلي اللاوعي بأنه كان مستبدًا بهذا المنزل في الماضي، كما كان الجنرال النمساوي بعد الكفاح الهنغاري، والإيطالي من أجل الحرية.

أما فيما يخص لوسيرن، فقد ارتبطت بأفكار الصيف الذي قضته فيرونيكا مع أصحاب عملها بجانب بحيرة لوسيرن بالقرب من تلك المدينة، وذكرني الحرس السويسري بالطريقة التي اعتادت بها استبداد الأطفال، وحتى أفراد الأسرة البالغين لأنها كانت تحب أن تعتبر نفسها في دور سيدة الحرس أو المرافقة، أسارع إلى إضافة أنني قد تغلبت منذ فترة طويلة على كراهيتي تجاه فيرونيكا، في العقل الواعي على الأقل، فقد تغيرت كثيرًا في مظهرها الخارجي، وسلوكها نحو الأفضل، ويمكنني أن أشعر بالود حقًا تجاهها عندما أقابلها (لا أقوم بذلك كثيرًا)، إلا أن عقلي اللاوعي كعادته يتمسك بالانطباعات القديمة بشكل أكثر إصرارًا، ولا يتصف بالتسامح عند استعادة الأحداث الماضية.

تشير كلمة (التويلري) إلى سيدة فرنسية مسنة عملت مرافقة حراسة لسيدات العائلة في مناسبات عديدة، وكانت تحترم، ويخشاه الجميع إلى حد ما، لقد كنت طالباً عندها لبعض الوقت لتعلم المحادثة الفرنسية، وقد ذكرتني كلمة (إليوفي - élève) أي طالب بالفرنسية أنني عندما زرت شقيق ماضي الحالي في شمال بوهيميا ضحكت على الطريقة التي أطلق بها سكان الريف المحليون على الطلاب (إليوفي élève) في كلية الزراعة هناك باسم «لوين - Lowen» («أسود - Lions» بسبب تشابه الصوت بين الكلمتين الفرنسية، والألمانية)، ربما لعبت هذه الذكرى المسلية دورًا في إزاحة أفكار من الضبع إلى الأسد.

11. يوضح المثال الآتي¹² تأثير العقد الشخصية على شخص ما في وقت معين مما يدفعه إلى نسيان اسم بعيداً تماماً عن ذلك: زار رجلان، أحدهما أكبر سناً من الآخر، مدينة صقلية معاً قبل ستة أشهر،

وجلسا يتحدثان عن ذكريات عطلتها السارة، المليئة بالأحداث، فسأل الأصغر: «ما اسم ذلك المكان الذي أمضينا فيه الليلة قبل رحلتنا الاستكشافية إلى سيلينونت؟ أعتقد أنه كان كالاتافيمي - Calatafimi، أليس كذلك؟»، فأجاب الأكبر: «لا، أنا متأكد من أنه ليس كذلك لكنني نسيت الاسم بالرغم من تذكرني لكافة تفاصيل زيارتنا للمكان بوضوح شديد، لابد أنني نسيتَه لمعرفتي بأن شخصاً آخر قد نسي اسمه، دعنا نحاول تذكر الاسم فلا شيء يتبادر إلى ذهني سوى كالتانيسيتا - Caltanissetta، وأنا متأكد من أنه ليس الاسم المنشود»، وافقه الأصغر، وقال: «أن اسم المكان يبدأ بحرف الـ (W) أو يتضمن هذا الحرف في جزء ما من الكلمة»، قال الرجل الأكبر: «ليس هناك حرف الـ (W) بالإيطالية»، فأكمل الأصغر: «حسناً، لقد قصدت حرف الـ (V) ولكن قلت حرف الـ (W) لأن هذا ما اعتدت عليه في لغتي الأم الألمانية»، لكن الأكبر لم يخطر بباله أي أمر يتعلق بحرف الـ (V)، وقال: «أعتقد أنني نسيت عدداً كبيراً من تلك الأسماء في صقلية، وحين الوقت لمحاولة تذكرهم، فمثلاً ما اسم ذلك المكان على علو شاهق، وأطلق عليه القدماء اسم إينا - Enna؟ أوه، نعم أتذكره الآن، لقد كان كاستروجيوفاني - Castrogiovanni»، تذكر الشاب الأصغر الاسم الذي نسيه في اللحظة التالية وصرخ: «كاستيلفيترانو - Castelvetro» فرحاً أن الاسم يحتوي في الواقع على حرف الـ (V) كما ادعى، لم يشعر الرجل الأكبر بأن الاسم مألوف لبعض الوقت، ولكن بمجرد تقبله للاسم حاول شرح سبب نسيانه، فقال: «يبدو ذلك بسبب أن النصف الثاني من الاسم (فيترانو - vetrano)، يشبه صوت كلمة «فيتران - veteran» أي مخضرم، أعلم أنني لا أحب التفكير في التقدم بالسن، وأن رد فعلي يتصف بالغرابة عندما أتذكر هذا الأمر، فقد أخبرت مؤخراً صديق لي أحترمه جداً بعباراة غريبة إلى حد ما، وقلت إنه «تجاوز سنوات شبابه» لأنه قال ذات مرة إنني لم أعد شاباً بالرغم من قوله ملاحظات أخرى مدهشة عني، أن وجود الصوت الأول في اسم كاستيلفيترانو في الاسم البديل كالتانيسيتا الذي خطر ببالي يُظهر أن النصف الثاني من اسم المكان لم يعجبني»، سأل الأصغر حينها: «بماذا يتعلق المقطع كالتانيسيتا نفسه؟»، فاعترف الرجل الأكبر: «لقد بدا لي دائماً مثل اسم حيوان أليف لامرأة شابة»، وأضاف بعد ذلك: «كان الاسم الذي منحته لإينا اسماً بديلاً أيضاً، وقد أدركت الآن أن اسم كاستروجيوفاني الذي وجد طريقه إلى ذهني عقلاً يوحى بكلمة جيوفاني giovane - التي تعني شاب، تماماً مثلما أوحى الاسم الذي لم

أستطع تذكره (كاستيلفيترانو) بكلمة (فيتران) أي مخضرم، اعتقد الرجل الأكبر أنه فسّر نسيانه للاسم بهذه الطريقة، لكنّه ظل يتساءل لماذا نسي الرجل الأصغر ذلك. تستحق آلية ظاهرة نسيان الأسماء، ودوافعها اهتماماً كبيراً حيث يُنسى الاسم في كثير من الحالات ليس لأنه بحد ذاته يثير هذه الدوافع بل لأن بعض التشابه في الصوت يوحي باسم آخر يكون لدى المرء سبب وجيه لنسيانه، سيظهر جلياً في الأمثلة الآتية أن هذا التطبيق الأوسع للعوامل المسببة للظاهرة يساهم في حدوثها بسهولة أكبر:

12. قدّم الدكتور إدوارد هيتسشمان المثال الآتي: «لقد أراد السيد س، إعطاء شخصاً ما اسم محل بيع الكتب جيلهوفر، وراثشبرج - Gilhofer & Ranschburg، ولكن لم يتذكر سوى اسم راثشبرج مهما حاول بجد رغم معرفته التامة بالشركة، عاد إلى المنزل فيما بعد بشعور طفيف من عدم الرضا وشعر بأهمية الأمر فطلب من شقيقه النائب أن يخبره بالنصف الأول من اسم الشركة، أخبره شقيقه بذلك على الفور، فربط اسم (جالهوف - Gallhof) باسم (جيلهوفر - Gilhofer)، كان قبل بضعة أشهر قد ذهب في نزهة يتذكرها بسرور إلى جالهوف بصحبة فتاة جذابة أعطته هدية تذكارية مكتوب عليها عبارة: (ذكرى ساعاتنا الممتعة في جالهوف)، قبل يوم من نسيانه للاسم جيلهوفر، تعرضت هذه الهدية الهشة للتلف عندما أغلق السيد س. الدرج بسرعة كبيرة، ولمعرفته بدلالة الأفعال العرضية الدّالة احتفظ بالحقيقة مع شعور معين بالذنب، لقد كان موقفه تجاه هذه الفتاة متناقضاً في ذلك الوقت؛ فقد أحبها لكنّه تردد في الانصياع لرغبتها في الزواج¹³.

13. قدّم الدكتور هانس ساكس المثال الآتي: «بينما كان يتحدث عن جنوة، ومحيطها المباشر، أراد شاب أن يذكر مكاناً يسمى (بيغلي - Pegli)، لكن كان عليه أن يفكر ملياً قبل أن يتذكر الاسم، فكّر في طريق عودته إلى المنزل بالطريقة المحرجة التي نسي بها هذا الاسم المألوف، وقاده عقله إلى كلمة (بيلي - Peli) التي تبدو مثل (بيغلي - Pegli)، كان يعلم أن هناك جزيرة في بحر الجنوب تحمل هذا الاسم وأن سكانها احتفظوا ببعض العادات الغريبة التي قرأها مؤخراً في كتاب إثنولوجي، قرر في ذلك الوقت استخدام المعلومات لفرضية خاصة به، فأذهله أن بيلي كان أيضاً مكاناً في رواية لوريس برون (أسعد وقت في حياة فان زانتينس) التي قرأها باهتمام، وسرور، كانت الأفكار التي تشغله طوال ذلك اليوم مرتبطة تقريباً برسالة تلقاها في ذلك الصباح من فتاة عزيزة جداً عليه، مما جعله

يخشى أن مواعدها معه سيُلغى، بعد أن أمضى اليوم كله في حالة مزاجية سيئة جداً، انطلق في المساء عازماً على التخلص من أفكاره المحزنة، والاستمتاع بالحفل الذي كان ذاهباً إليه قدر الإمكان حيث كان يتطلع إليه كثيراً، يبدو جلياً أن كلمة بيغلي شكّلت تهديداً خطيراً لهذا الحل الجيد حيث إنها تشبه إلى حد كبير كلمة (بيلي - Peli) التي ارتبطت بمعرفته، واهتمامته الإثنولوجية، ومثلّت «أسعد وقت» في حياة فان زانتينس، وحياته الخاصة أيضاً، وبالتالي كانت رمزاً للمخاوف، والقلق الذي شعر به طوال اليوم، تتمثل أحد سمات هذه الظاهرة بأنه لم يتمكن من تقديم هذا التفسير البسيط إلا بعد ظهور رسالة ثانية من الفتاة حولت شكوكه إلى يقين سعيد برؤيتها مرة أخرى قريباً، إذا تذكرنا خلال تفكيرنا بهذا المثال الحالة الأخرى المشابهة التي لم أستطع فيها تذكر اسم المكان نيرفي (مثال 1)، سنرى كيف يُستبدل المعنى المزدوج لكلمة مفردة بالسجع بين كلمتين.

14. عندما اندلعت الحرب مع إيطاليا في عام 1915، وجدت أنني وفقاً لملاحظتي الذاتية نسيت فجأة عدداً كبيراً من أسماء الأماكن الإيطالية التي كنت أعرفها جيداً، لقد اعتدت كالعديد من الألمانين قضاء جزء من عطلاتي على الأراضي الإيطالية، وكنت متأكداً أن نسياني لهذه الأسماء بشكل جماعي يعبر عن إحساس مُبرر بالعداء تجاه إيطاليا حلّ محلّ إعجابي القديم، وذلك في سبيل الوطن، لقد رافق هذا النسيان المباشر للأسماء نوعاً آخر غير مباشر من النسيان يمكن إرجاعه إلى نفس التأثير حيث كنتُ أميل إلى نسيان أسماء الأماكن غير الإيطالية، وعند دراسة هذه الحالات وجدت بعض التشابه الطفيف في الأصوات يربط هذه الكلمات بأسماء أماكن العدو التي أصبحت أشعر بأنها من المحرمات، كنت مثلاً أحاول تذكر اسم المدينة المورافية (بيسينز - Bisenz)، وعندما تذكرتها أخيراً علمت فوراً بأنني نسيتهَا لارتباطها بمنطقة بالزو بيسينز - Palazzo Bisenzi في مدينة أورفيتو - Orvieto حيث يقع فندق بيلا آر تي Belle Arti الذي مكثت فيه في جميع زياراتي إلى المدينة، لقد كانت ذكرياتي الأعز بطبيعة الحال تعاني معظم الضرر من تغيير موقفِي العاطفي.

سيكون مفيداً جداً الاستشهاد ببعض الأمثلة التي تذكرنا بالأغراض المختلفة التي قد تحققها زلة العقل التي تجعلنا ننسى الأسماء.

15. قدّم الدكتور أدولف جوزيف ستورفر المثال الآتي: («نسيان الأسماء لضمان نسيان فكرة»): «قيل لسيدة تعيش في بازل ذات صباح أن السيدة سلمى من برلين صديقتها أيام الشباب تقضي شهر العسل الآن، وستمر بهذه المدينة، ستتواجد هذه الصديقة من برلين في بازل ليوم واحد فقط، لذا سارعت السيدة التي كانت تعيش في بازل إلى فندق صديقتها، عندما افترقت الصديقتان قررن اللقاء مرة أخرى بعد ظهر ذلك اليوم لقضاء بقية الوقت معاً لحين تضطر السيدة من برلين إلى المغادرة، بعد ظهر ذلك اليوم، نسيت السيدة التي تعيش في بازل الموعد، لا أعرف سبب نسيانها، لكن ضمن هذا النوع من المواقف (لقاء مع صديقة من أيام الشباب متزوجة حديثاً) هناك عدة ظروف نموذجية تؤدي إلى مقاومة اللقاء الثاني، يتمثل الجانب المذهل في هذه الحالة بأن حالة نسيان أخرى عززت بشكل لا شعوري حالة نسيان أولى، كانت السيدة التي تعيش في بازل تتبادل أطراف الحديث مع أحدهم في مكان آخر خلال الوقت الذي كان ينبغي أن تكون فيه مع صديقتها من برلين، تحوّل مجرى الحديث في تلك الجلسة إلى الزواج الأخير لمغنية الأوبرا كورترز من فيينا، فأعربت السيدة من بازل عن بعض الانتقادات لهذا الزواج، ولكن عندما كانت على وشك ذكر الاسم الكامل للمغنية وجدت أنها لا تستطيع تذكر اسمها الأول مما أثار حرجها (نميل غالباً إلى ذكر الشخص باسمه الأول عندما يكون اسم عائلته أحادي المقطع)؛ شعرت السيدة التي تعيش في بازل بالانزعاج الشديد من ضعف ذاكرتها لأنها تستمتع لغناء كورترز بشكل دائم وتعرف اسمها الكامل جيداً، ثم اتخذت المحادثة منحى آخر قبل أن يتمكن أي شخص آخر من ذكر الاسم الأول المنسي؛ صادف في مساء اليوم ذاته أن تكون السيدة من بازل بصحبة بعض الأشخاص الذين كانوا معها أيضاً في جلسة بعد ظهر ذلك اليوم، وتحوّل الحديث مرة أخرى إلى زواج المغنية فقدمت الاسم الكامل «سلمى كورترز» دون أي صعوبة، وصرخت بعد ذلك مباشرة: «أوه يا إلهي، لقد تذكرت للتو أنني نسيت تماماً موعد مع صديقتي سلمى بعد ظهر اليوم»، لكن نظرة سريعة للساعة أظهرت أن صديقتها من برلين ستغادر في ذلك الوقت¹⁴.

قد لا نكون مستعدين بعد لتوضيح كافة جوانب هذا المثال المثير للاهتمام، والمعقد، لذا نجد فيما يلي حالة أبسط بالرغم من كونها لا تتعلق بالاسم المنسي، ولكن بكلمة أجنبية منسية لدافع ناشئ عن الموقف، (نلاحظ أن العملية نفسها سواء كان الأمر يتعلق بنسيان أسماء العلم أو أسماء الأشخاص أو

الكلمات الأجنبية أو تسلسل الكلمات) ضمن المثال الآتي، نسي الشاب الكلمة الإنجليزية لـ «الذهب» التي تتطابق في الواقع مع الكلمة الألمانية ليعطي لنفسه سبباً لشيء يريد القيام به.

16. قدّم الدكتور هانس ساكس المثال الآتي: التقى شاب يقيم في نُزل¹⁵ مختلط بامرأة إنجليزية، وانجذب إليها، خلال المساء بعد أول لقاء بينهما تحدث معها بلغتها الأم حيث كان مُلماً بها بشكل معقول، وأراد استخدام الكلمة الإنجليزية لكلمة (ذهب Gold -)، ولكنه لم يستطع تذكرها مهما حاول بجد، تبادر إلى ذهنه بدلاً من ذلك كلمات بديلة تعني الذهب - كلمة (أورايوم - aureum) بالفرنسية / اللاتينية وكلمة (كريسوس - chrysos) بالأغريقية - وعلقت هذه الكلمات بذهنه لدرجة أنه واجه صعوبة في رفضها بالرغم من علمه بعدم ارتباطها بالكلمة التي يريدّها، كانت الطريقة الوحيدة التي تمكن فيها من التعبير عما يريد قوله بأن أشار باللمس إلى الخاتم الذهبي الذي ترتديه السيدة، فأخبرته بأنه (ذهب - Gold)؛ فشعر بالخجل حين اكتشف أن الكلمة التي كان يبحث عنها لفترة طويلة متشابهة تماماً في اللغة الإنجليزية، والألمانية، تكمن دلالة الاتصال الجسدي المدفوع بنسيانه في الإشباع غير المؤذي لرغبته في الإمساك بها أو لمسها - إشباع يستغله العشاق بالكامل في ظروف أخرى مختلفة - وفي تسليطه الضوء على احتمالات تودده لها، لا بد أن عقل السيدة اللاواعي خمن الهدف الإيروتيكي (أي الجنسي) وراء كلمة منسية غير مؤذية خاصةً أنها تميل للسيد الذي تحاوره؛ وبالتالي قد يُشكّل تقبّلها للمسمة، والدافع وراءها نوعاً من الوسيلة للتقاهم حول احتمالات هذه المغازلة - الأمر الذي يعتبر هام جداً، وإن كان الطرفين غير واعيان لذلك.

17. أضيف هنا ملاحظة مثيرة للاهتمام حول نسيان اسم، وتذكره لاحقاً قدّمها يوهانس شتارك، وتجدر الإشارة إلى أن نسيان الاسم في هذه الحالة مرتبط بتشويه تسلسل كلمات قصيدة، كما هو الحال في مثال قصيدة عروس كورنثوس، قال المحامي، والباحث اللغوي القديم س. في معرض حديثه مع أحدهم بأنه كان على معرفة وثيقة بطالب معين أثناء دراسته في ألمانيا، وادعى أنه قادر على سرد العديد من الحكايات حول افتقار هذا الطالب إلى الذكاء، إلا أنه لم يستطع تذكر اسم الطالب وقال إنه يعتقد أن اسمه يبدأ بحرف الـ (W) ثم غير رأيه بعد ذلك، لقد ذكر أن هذا الطالب أصبح فيما بعد تاجر نبيذ، ثم روى حكاية أخرى عن اتصافه بالغباء، وتعجب من عدم قدرته على

تذكّر الاسم حيث قال: «لقد كان أحمقاً لدرجة أنني بالكاد أستطيع أن أفهم كيف تمكنتُ من إدخال بعض اللاتينية في رأسه بالتكرار المطلق»، تذكر بعد لحظة أن الاسم الذي كان يبحث عنه ينتهي بالمقطع «مان»، فسُئِلَ إن كان يمكنه التفكير باسم آخر ينتهي بنفس المقطع، فأجاب: «إردمان»، فسُئِلَ: «إذن، من هو صاحب هذا الاسم؟» فأجاب: «إنه طالب آخر كنت أعرفه في ذلك الوقت»، وأشارت ابنته إلى وجود البروفيسور إردمان أيضًا، اتضح بعد مزيد من الاستفسار أن البروفيسور إردمان كمحرر لمجلة ما قد نشر ورقة بحثية قدمها س. بشكل مختصر لأنه لم يكن موافقاً عليها بشكل كامل، وقد تعامل س. مع ذلك بسلبية (علمت لاحقاً أن الباحث س. كان مرشحاً في الماضي لمنصب أستاذ في الكلية التي يعمل فيها البروفيسور إردمان الآن، لذا قد يكون الاسم لمسه لهذا السبب أيضاً). تذكر فجأة اسم الطالب الغبي: ليندمان! لقد تذكر بالفعل أن الاسم ينتهي بالمقطع «مان»، لكن المقطع «ليند» ظل مكبوتاً لفترة أطول، عندما سُئِلَ عن الأفكار التي ربطها بـ «ليند» أي شجرة الليمون، قال في البداية أنه لم يفكر بأي شيء على الإطلاق، ولكن حين أُصرِّيتُ أن الكلمة أوحّت له نوعاً من الأفكار، قال، وهو ينظر لأعلى، ويلوح بيده بخفة: «حسناً، شجرة الليمون شجرة جميلة»، ولم يخطر بباله أي شيء آخر، صمت محاوره، وواصلنا جميعاً قراءتنا أو ما كنا نفعله قبل لحظات قليلة من الحديث، فاقبّس السيد س. بنبرة صوت مجردة الأبيات الآتية:

يقف بعظام راسخة وطيّعة على الأرض،

لكنّه لم يرتقٍ ليقارن نفسه حتى بشجرة ليمون أو كرم

أطلقت حينها صرخة انتصار، وقلت: «ها نحن ذا، إردمان خاصتك هو الرجل الذي (يقف على الأرض)، ولا يمكنه مقارنة نفسه بشجرة الليمون [ليند]، وليندمان أو الكرم هو تاجر النبيذ. بعبارة أخرى: لقد كان ليندمان الطالب الغبي الذي أصبح تاجر نبيذ أحمقاً، لكن إردمان أكثر حُماً، ولا يُقارن حتى مع ليندمان الأحمق»، يُعد إنتاج اللاوعي لهذا التعبير عن الازدراء أمراً اعتيادياً، وبدا لي أننا اكتشفنا السبب الرئيسي لنسيان السيد س. لاسم هذا الطالب، سألته بعد ذلك من أي قصيدة جاءت هذه الأبيات، فقال إنها من قصيدة جوته وأعتقد أنها بدأت بالأبيات:

عسى أن يكون الإنسان نبياً، ومتعاوناً، وصالحاً!

ثم أضاف بعد ذلك بقليل:

وإن صعد، ستلعب معه الريح.

بحثت في اليوم التالي عن قصيدة جوته، واتضح أن القضية أكثر إثارة، وتعقيداً مما كانت تبدو في البداية:

1. تقول الأبيات الأولى المقتبسة من القصيدة:

يقف بعظام راسخة وقوية..

** أما كلمة «طيعة»، فكانت ستبدو غريبة على المعنى، لكنني سأترك ذلك جانباً.

2. أما الأسطر التالية منها فنقول:

على الأرض الراسخة، والدائمة، لكنه لم يرتق ليُقارن نفسه حتى بشجرة بلوط أو كرم

** ما من ذكر لشجرة الليمون في القصيدة بأكملها! لقد تغير البلوط إلى ليمون (في العقل اللاوعي للسيد س.) لمجرد السماح بنوع من التلاعب بالكلمات بين «الأرض - الليمون - الكرمة».

3. تأتي القصيدة بعنوان (القيود البشرية)، وتُقارن القدرة المطلقة للآلهة مع القوة الضعيفة للبشر، أما القصيدة التي تبدأ بالأبيات: «عسى أن يكون الإنسان نبياً، ومفيداً، وصالحاً!» هي قصيدة أخرى، وتأتي بعد ذلك ببضع صفحات، وعنوانها (الإلهية)، وتتحدث عن أفكار الشاعر حول الآلهة، والبشر، نظراً لأننا لم نتطرق إلى الموضوع بشكل أعمق، لا يسعني سوى الشك بأن الأفكار حول الحياة، والموت، والدينية، والأبدية، ضعف الإنسان، ونهج الموت، قد لعبت دوراً في خلفية هذه الحالة¹⁶، لقد استخدمت كل التفاصيل الدقيقة لتقنية التحليل النفسي ضمن هذه الأمثلة لشرح سبب نسيان الاسم،

أُفترِح على من يرغب في اكتشاف المزيد عن ذلك قراءة مقالة (تحليل حالة النسيان) كتبها إدوارد جونز من لندن¹⁷.

18. أشار ساندر و فيرينزي إلى أن نسيان الأسماء قد يكون أحد أعراض الهستيريا عندما تحدث نتيجةً لآلية مُعينة بعيداً عن الزلة غير المقصودة، أفتبس هنا شرحه الخاص لإظهار معنى ذلك:

أعالج حالياً سيدة عجوز لا تستطيع تذكر الأسماء الأكثر شيوعاً حتى تلك التي تعرفها جيداً رغم أنها تتمتع بذاكرة جيدة حيال الأمور الأخرى، اتضح أثناء التحليل أن ذلك يوضح افتقارها إلى التعليم حيث ظهر جهلها الواضح على هيئة لوم موجه لوالديها على حرمانها من تلقي أي تعليم عالٍ، حتى أن الدافع القهري المؤلم للقيام بالأعمال المنزلية («ذهان ربة المنزل¹⁸») الذي تعاني منه مشتق جزئياً من نفس المصدر، حتى أنها قالت: «لقد جعلوني خادمة في المنزل». يمكنني أن أضيف المزيد من هذه الأمثلة لنسيان الأسماء، ومناقشتها باستفاضة، وتعمق أكبر، لكنني سأجنب ذكر النقاط التي سأنظر فيها في الفصول اللاحقة، سأسمح لنفسي هنا بتلخيص نتائج التحليل المذكور بهذا الفصل باختصار:

● تتمثل آلية نسيان الأسماء (أو بالأحرى طريقة هروب الأسماء من العقل في النسيان المؤقت) في حقيقة أن سلسلة أفكار غريبة سابقة بشكل غير واعي تتسبب بالتشويش، والإرباك لعملية تذكر الاسم المقصود، فإما يكون هناك رابط راسخ بين الاسم المنسي، والعقدة التي شوشت عملية التذكر، أو أن يكون الرابط قد نتج عن ارتباطات سطحية (خارجية) عبر مسارات ملتوية.

● لقد تبين أن العقدة ذات الطبيعة الخاصة (الشخصية أو العائلية أو المهنية) هي الأكثر تأثيراً من بين العقد الأخرى.

● إن الأسماء التي تنتمي إلى دوائر متعددة من الأفكار (أو العقد) نتيجة لبعض الغموض في معناها، غالباً ما تُنسى عندما يتعلق الأمر بسلسلة أفكار معينة لأنها تنتمي إلى عقدة مختلفة، وأقوى.

• إن الرغبة في تجنب إثارة المشاعر المؤلمة من خلال الذاكرة تُشكّل دافعاً قوياً جداً لمثل هذه الإرباك، والتشويش.

• يُمكن بشكل عام التمييز بين فئتين رئيسيتين من حالات نسيان الأسماء: تتمثل الفئة الأولى بإشارة الاسم نفسه إلى شيء مؤلم، بينما تشير الفئة الثانية إلى ارتباط الاسم باسم آخر له تأثير مماثل، وبالتالي تتعطل عملية تذكّر الأسماء بسبب الأسماء ذاتها أو بسبب ارتباطاتها المباشرة أو غير المباشرة.

تُظهر هذه الملاحظات العامة أن حالة نسيان الأسماء مؤقتاً تمثل أحد أكثر الأخطاء المُلاحظة بشكل متكرر في جميع حالات زلة العقل.

19. بالرغم من كل ذلك الشرح، ما زال وصف كافة سمات هذه الظاهرة غير ممكن، وتجدر الإشارة إلى أن نسيان الأسماء مُعدّ، فيكفي أن يذكر أحدهم في حوار بين شخصين إنه نسي اسماً ما حتى ينسى الشخص الآخر هذا الاسم، لكن عند حدوث النسيان بهذه الطريقة يكون من السهل تذكر الاسم المنسي، يُعد هذا النسيان «الجماعي» بالمعنى الدقيق للكلمة أحد ظواهر علم نفس الجماعة، ولم يُدرس هذا النوع من النسيان بشكل تحليلي بعد، ويشرح تيودور رايك بشكل تفصيلي جيد هذا الحدث المدهش في حالة واحدة فقط¹⁹.

تحول مجرى الحديث ضمن تجمّع اجتماعي صغير للأكاديميين بحضور طالبتين في الفلسفة إلى مناقشة العديد من الأسئلة المطروحة في التاريخ الثقافي، واللاهوت في أصل المسيحية، تذكرت إحدى الشابات المُشاركات في النقاش عثورها على صورة للعديد من التيارات الدينية التي أثرت على تاريخ تلك الفترة في رواية قرأتها مؤخراً باللغة الإنجليزية، وأضافت أن الرواية وصفت حياة المسيح كلها منذ ولادته حتى وفاته، لكنّها لم تستطع تذكر اسم الكتاب (بالرغم من امتلاكها صورة بصرية واضحة لغلاف الكتاب، وطريقة كتابة الاسم)، أشار ثلاثة من الرجال الحاضرين إلى معرفتهم بالرواية، وأضافوا أنهم بشكل غريب لا يتذكروا عنوانها أيضاً، خضعت الشابة وحدها من بين

الأربعة للتحليل لمعرفة سبب نسيانها العنوان، لقد كانت رواية بيّن هور للكاتب لويس والاس، كانت أفكارها البديلة الأولى تشمل: إيس هومو (Ecce homo) - هومو سوم (homo sum) - كو فاديس (quo vadis) باللاتينية، لقد أدركت الفتاة نفسها أنها نسيت الاسم لأنه يحتوي على تعبير لا ترغب أي فتاة باستخدامه خاصةً أمام الرجال (بيّن هور - Ben Hur) حيث يوحي الاسم بكلمة «Hure» أي عاهرة بالألمانية، وقد اكتسب هذا التفسير بُعدًا آخر عبر هذا التحليل المدهش، ضمن السياق الذي تطرقت إليه الفتاة في حديثها، يمكن ترجمة كلمة هومو - homo أي «الإنسان» بمعنى خطير، يستنتج ثيودور رايك أن الشابة تعاملت مع الكلمة كما لو أنها بمجرد ذكر العنوان المشبوه للكاتب أمام الرجال ستعترف برغبات رفضتها باعتبارها غير لائقة، وغير متناغمة مع شخصيتها، لقد ساوت دون وعي بين نطق اسم الكاتب بيّن هور بصوت عالٍ، وتقديم خدمات جنسية حيث تتشابه العبارة الألمانية: «أيش بين هور» أي «أنا عاهرة» مع اسم الكاتب بيّن هور، وبالتالي تشير عدم قدرتها على تذكر الاسم إلى رفضها لأي إغراء غير واعي من هذا النوع، هناك أسباب للاعتقاد بأن عدم قدرة الشباب على تذكر الاسم ناتجة عن عمليات مماثلة في اللاوعي حيث التقطت عقولهم اللاواعية السبب الحقيقي وراء نسيان تلك الفتاة للاسم، وفسرته كما هو، وبالتالي نسوه احتراماً لموقفها من الاسم، يبدو الأمر كما لو أن محاورتهم أعطتهم إشارة واضحة عبر نسيان الاسم، وقد فهموا تلك الإشارة جيداً في اللاوعي، قد يستمر نسيان الأسماء بطريقة تجعل سلسلة كاملة من الأسماء غير قابلة للتذكر حيث إن نسي المرء اسم ما، وحاول تذكره بالبحث عن أسماء أخرى، فإن هذه الأسماء الأخرى التي يبحث عنها كنقاط مرجعية ستُنسى غالباً، وتنقلت من الذاكرة أيضاً، وهكذا ينتقل النسيان من اسم إلى آخر كما لو كان يحاول إثبات وجود عقبة لا يمكن إزالتها بسهولة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



الفصل الرابع: ذكريات الطفولة والذكريات الحاجبة

تمكنت في مقال ثانٍ نُشر عام 1899 في المجلة الشهرية للطب النفسي، والعصبي من إظهار الطبيعة المُعرضة للذاكرة البشرية في مجال غير متوقع، لقد بدأت من حقيقة مذهلة تتمثل بأن ذكريات الطفولة المبكرة للمرء تبدو كأنها تتعلق بأمور تافهة، وغير هامة غالباً (وإن لم يكن دائماً)، بينما لا يبقى أي أثر لأحداث ضخمة مدهشة ذات محتوى عاطفي قوي في ذاكرة البالغين؛ يُعرف عن الذاكرة بأنها انتقائية، وتختار من بين الانطباعات التي تتلقاها، لذا قد يعتقد المرء أن الذاكرة في مرحلة الطفولة تقوم بهذا الاختيار وفقاً لمبادئ مختلفة تماماً عن تلك الموجودة في سن النضج الفكري، تُظهر الدراسة الدقيقة للذاكرة عدم ضرورة هذا الافتراض، فالذكريات المحايدة للطفولة تُدين بوجودها لعملية الإزاحة حيث يتذكر المرء مجموعة بدائل للانطباعات الأخرى الهامة التي يمكن استنباط ذكرها عن طريق التحليل النفسي رغم منع المقاومة العقلية لعملية تذكرها المباشرة، بما أن العقل يحتفظ بهذه الذكريات ليس لمحتواها الخاص، وإنما لارتباطها الوثيق بموضوع آخر مكبوت، يمكن وصف هذه الذكريات بالمصطلح الذي وضعته «الذكريات الحاجبة»

لم أقدم بأي حال من الأحوال وصفاً شاملاً لتنوع الارتباطات بين الذكريات الحاجبة، وأهميتها في المقالة المذكورة أعلاه حيث ركزت بشكل خاص في المثال الذي حللته بالتفصيل على سمة خاصة للعلاقة الزمنية بين الذاكرة الحاجبة، والموضوع الذي حجبته؛ لقد استمد العقل محتوى الذكريات الحاجبة في هذا المثال من مرحلة مبكرة جداً من الطفولة في حين حدثت عمليات التفكير التي تمثل هذه الذكريات في ذاكرة الشخص في سنوات لاحقة وضلت هذه العمليات لواعية تقريباً، لقد وصفتُ هذا النوع من الإزاحة بثلاث طرق رئيسية؛ أولاً: تُوصف بأنها رجعية، وعكسية حيث يكون إيجاد العلاقة العكسية التي يثبت فيها انطباع محايد تلقاه العقل مؤخراً كذاكرة حاجبة أكثر شيوعاً، ويأتي هذا التمييز نتيجةً لارتباطه بتجربة سابقة تُقاوم التذكر المباشر، ثانياً: يمكن وصفها بأنها ذكريات حاجبة متقدمة أو استباقية حيث يحدث الأمر الأساسي في عقل المرء في وقت لاحق للذاكرة الحاجبة، ثالثاً: قد ترتبط الذاكرة الحاجبة بالانطباع الذي تحجبه فيما يخص المحتوى، والتواصل الزمني، وبالتالي يمكن وصفها بأنها متزامنة أو عرضية.

لم أتعق ضمن مقالتي في التساؤل حول مقدار انتماء مخزون الذكريات إلى فئة الذاكرة الحاجبة أو الدور الذي تلعبه تلك الذكريات الحاجبة في عمليات التفكير العصبي المختلفة، ولن أدرسها هنا، يتمثل الهدف ببساطة في التأكيد على التشابه بين النسيان أو التذكر الخاطئ للأسماء، وبناء الذكريات الحاجبة.

تبدو الاختلافات بين الظاهرتين للوهلة الأولى أكثر وضوحًا من أي أوجه تشابه محتملة، تُنسى الأسماء في الحالة الأولى، وتُنسى الانطباعات الكاملة لتجارب حدثت بالفعل أو في العقل ضمن الحالة الثانية؛ كما تتعلق الظاهرة الأولى بفشل واضح في وظيفة الذاكرة، وتتعلق الثانية بعملية في الذاكرة تبدو مُشوَّشة، ومُربكة، يمكن القول بأن الحالة الأولى عبارة عن زلة صغيرة للعقل فالاسم المنسي نُطق بشكل صحيح مئات المرات من قبل، وسيُنطق بشكل صحيح مرة أخرى فيما بعد، أما الحالة الثانية فتُشير إلى حالة دائمة، ومتواصلة حيث يبدو أن الطفولة المحايدة ترافق الذكريات خلال جزء كبير من حياة الإنسان، يبدو أن اللغز في الحالتين ذو طبيعة مختلفة تمامًا حيث يُثار الفضول العلمي نتيجةً للأمور المنسية في الحالة الأولى، ونتيجةً للأمور التي يتذكرها المرء في الحالة الثانية؛ بالرغم من وجود الاختلافات في المحتوى النفسي، ومدة الظاهرتين، تشير الدراسة المتعمقة للسؤال إلى وجود العديد من أوجه التشابه بين الظاهرتين حيث تتضمن كل منهما فشل في الذاكرة لعدم التذكر بشكل صحيح، وإنتاج أمور أخرى بديلة تحل محل الذكرى الأساسية، عندما ينسى المرء الأسماء تبقى ذاكرته تعمل لكنها تُشكل أسماء بديلة، وعندما تُبنى الذكريات الحاجبة، يستبدل العقل الذكريات بذكريات أخرى، وانطباعات أكثر أهمية كانت قد نُسييت، هناك انطباع فكري معين بأن الذاكرة في كلتا الحالتين قد تعرضت للإرباك، والتشويش؛ ولكن بطرق مختلفة يعلم المرء في حالة نسيان الأسماء أن الأسماء البديلة غير صحيحة، أما في حالة تشكيل الذكريات الحاجبة يفاجئ المرء بوجودها ككل، بينما يُظهر التحليل النفسي أن بناء البدائل قد حدث بنفس الطريقة في كلتا الحالتين عبر الإزاحة بنوع من الروابط السطحية، يساهم اختلاف المحتوى، والمدة، والاهتمام المحوري للظاهرتين في تعزيز الإحساس بالوصول إلى شيء هام، وصحيح بشكل عام، يشير هذا الشعور بالصحة بشكل عام إلى أن فشل الذاكرة، وتوجيهها الخاطئ المتكرر يدل على تدخل عامل انحيازي حيث يميل العقل لتفضيل ذاكرة مُعينة بينما يعمل ضد الأخرى.

يبدو لي أن موضوع ذكريات الطفولة هام، ومذهل حتى أنني أود إضافة بعض الملاحظات الأخرى غير الآراء التي طرحتها حتى الآن «إلى أي مدى تعود الذكريات إلى الطفولة»؟ أعرف بعض الدراسات التي حاولت إجابة هذا السؤال مثل مقالات كاثرين هنري²⁰، وإليزابيث بوتوين²¹، أظهرت هذه المقالات اختلافات فردية كبيرة بين الأشخاص الذين خضعوا للدراسة حيث أرَّخ بعضهم ذكرياتهم الأولى بعمر ستة أشهر، بينما لم يتذكر الآخرون شيئاً قبل نهاية السنة السادسة أو حتى الثامنة من عمرهم، لكن كيف نشرح ماهية هذه الاختلافات في الاحتفاظ بذاكريات الطفولة، وما يرتبط بها؟ وما أهمية هذه الاختلافات؟ يبدو جلياً أن التراكم البسيط للمحتوى الدراسي، والبحثي المتعلق بمثل هذه الأسئلة لا يكفي؛ بل يجب تعميق دراسة المعلومات المُقدّمة بمساعدة الشخص الذي قدمها.

أعتقد أننا مستعدون لتقبّل حقيقة فقدان ذاكرة الطفولة، واختفاء السنوات الأولى لحياة الإنسان من الذاكرة، وانعدام القدرة على ملاحظة وجود عامل مُحير غامض، ينسى المرء الإنجاز الفكري العالي، والعواطف المعقدة التي يستطيع طفل في الرابعة القيام بها، بينما يجب أن تُدهشنا حقيقة أن الذاكرة اللاحقة بشكل عام احتفظت بعدد قليل جداً من هذه العمليات العقلية حيث يوجد أسباب مبررة لافتراض أن إنجازات الطفولة المنسية لم تختفِ تماماً خلال نمو الفرد دون ترك أي أثر، وإنما سيستمر تأثيرها لبقية حياته، تتمتع هذه العمليات العقلية بدرجة غير مسبوقة من الفعالية إلا أنها تُنسى؛ مما يشير إلى الطريقة الخاصة جداً لتكثيف الذاكرة (أي الذاكرة الواعية)، الأمر الذي استعصى على الإدراك حتى الآن، قد يمنحنا نسيان الأحداث في الطفولة مفتاحاً لفهم فقدان الذاكرة الذي يكمن في تشكيل جميع الأعراض العصبية بحسب آخر الاكتشافات.

تتضمن ذكريات الطفولة التي نحتفظ بها على ذكريات سهلة الفهم، وأخرى غريبة أو غير مفهومة، وليس من الصعب تصحيح بعض الأخطاء التي تؤثر على كلا النوعين، إذا أخضعنا الذكريات التي يحتفظ بها المرء للتحليل، سنرى بسهولة عدم وجود ضمان لدقتها، فمن المؤكد أن بعض الصور التي يتذكرها الشخص مزيفة أو غير مكتملة أو تعرضت للإزاحة الزمنية، والمكانية، يظهر جلياً أنه لا يمكن الاعتماد على العبارات التي أدلى بها الأشخاص الذين خضعوا للدراسات حول ذكرياتهم

الأولى، وكيف أنها تعود إلى سن الثانية مثلاً، يسهل العثور على الأسباب التي تفسر تشوّه التجربة، وإزاحتها، ولكن لا يُمكن أن يُعزى إظهار هذه الزلات ببساطة إلى الذاكرة المعيبة، لقد أثرت قوى شديدة من فترات لاحقة في حياة الشخص على قدرة تذكّر تجارب الطفولة الخاصة به، وربما تكون نفس القوى المسؤولة عن حقيقة ابتعادنا بشكل عام عن فهم سنوات الطفولة حتى الآن.

تعمل ذاكرة البالغين على أساس أنواع مختلفة من المحتوى النفسي، فبينما يتذكّر بعض الأشخاص الأمور على شكل صور مرئية، ويمتلكون ذكريات بصرية جيدة؛ بالكاد يستطيع آخرون تذكّر أضعف ذاكرة بصرية لشيء ما رأوه؛ يُطلق على الفئة الثانية من هؤلاء الأشخاص بحسب تصنيف جان مارتين شاركو: اسم « النمط السمعي»، و«النمط الحركي» على عكس الفئة الأولى التي يُشار إليها بـ «النمط البصري» تختفي هذه الاختلافات في الأحلام، فيحلم الجميع بالصور المرئية بشكل أساسي، إلا أن هذه التطوّرات تعمل بشكل عكسي على ذكريات الطفولة حيث إنها بصرية واقعية حتى لدى أولئك الذين تقتصر ذكرياتهم اللاحقة إلى العنصر البصري، وبالتالي تحافظ الذاكرة البصرية على ذاكرة الطفولة النموذجية، تشكّل ذكريات طفولتي المبكرة الذكريات البصرية الوحيدة التي أملكها، وتتضمن مشاهد إيجابية ثلاثية الأبعاد لا يمكنني مقارنتها إلا بالأداء المسرحي، وسواء كانت مشاهد الطفولة هذه دقيقة أو خاطئة يرى المرء فيها ذاته الطفولية بانتظام مكتملة بملابسه، يعد ذلك أمراً مدهشاً فحتى البالغين الذين يتمتعون بذكريات بصرية جيدة لا يتخيلون أنفسهم في ذكرياتهم حول الأحداث اللاحقة من حياتهم²²، يتعارض ذلك مع كل ما نعرفه حين نفترض أن انتباه الطفل موجه إلى نفسه، وليس بشكل كامل إلى الانطباعات الخارجية التي يتلقاها من تجاربه، لذا يجب أن نفترض أن ما يسمى بذكريات الطفولة المبكرة لا تحافظ على الذكريات الحقيقة بل نسخة معدلة منها خضعت للعديد من التأثيرات النفسية لاحقاً، وعليه، تأخذ «ذكريات الطفولة» بشكل عام بالذكريات الحاجبة، وتشبه بذلك الذكريات العرقية أو الوطنية المبكرة كما هو مسجل في الخرافات، والأساطير.

إن أي شخص درس عدداً من عقول الأفراد باستخدام أساليب التحليل النفسي سيتمكن من جمع ثروة من الأمثلة على الذكريات الحاجبة أثناء عمله، إلا أنه سيواجه صعوبة في نقل هذه الأمثلة باعتباره أمراً معقداً جداً بسبب طبيعة العلاقة بين ذكريات الطفولة، والحياة اللاحقة؛ فإذا حُددت ذاكرة الطفولة

على أنها ذكريات حاجبة سيتعين غالباً سرد قصة حياة الشخص بالكامل أولاً، نادراً ما يكون إخراج ذاكرة طفولة واحدة من سياقها ونقلها أمراً ممكناً، لكننا استطعنا فعل ذلك في المثال الآتي، احتفظ رجل يبلغ من العمر أربعة وعشرين عاماً بالذاكرة الآتية منذ أن كان في الخامسة من عمره: كان جالساً على كرسي صغير في حديقة المنزل الذي كان يقضي فيه العطلة بجوار عمته التي كانت تحاول تعليمه الحروف الأبجدية، واجه عندها صعوبة في التمييز بين حرفي الـ (m) و((n)) وطلب من عمته أن تبين له كيف يُفرق بينهما، فأشارت العمّة إلى الجزء الإضافي الذي يملكه حرف الـ (m) مقارنةً بالـ (n) المتمثل بالخط الثالث، لم يكن هناك سبب للتساؤل حول دقة هذه الذكرى من الطفولة، لكنّها اكتسبت أهميتها الحقيقية في وقت لاحق فقط عندما أصبحت تمثل رمزاً لشيء آخر أراد الصبي معرفته، فكما كان حريصاً على التمييز بين حرفي الـ (m) و((n)) في الماضي، كان يحاول لاحقاً اكتشاف الفرق بين الأولاد، والبنات، ويمكن استشعار سعادته بالحصول على المعلومات من نفس العمّة، لقد اكتشف الصبي أن هذه الاختلافات كانت ذات طبيعة متشابهة: فإن الصبي لديه جزء إضافي كامل مقارنةً بالفتيات، لقد ساهم هذا الاكتشاف في إحياء ذكراه عن تعطشه الطفولي للمعرفة.

فيما يلي مثال آخر من مرحلة الطفولة المتأخرة. كان رجل فوق الأربعين يعاني من موانع جنسية شديدة، وقد كان الأكبر بين تسعة أطفال، كان يبلغ من العمر خمسة عشر عاماً عندما وُلد أخيه التاسع الأصغر، لكنّه أصرّ على أنه لم يشهد أي حالة حمل لدى والدته، عندما تحدّث أفكاره بعدم تصديقي، تذكرّ أنه ذات مرة عندما كان في الحادية عشرة أو الثانية عشرة رأى والدته تخلع تنورتها بسرعة أمام المرأة، لقد أضاف بشكل عرضي تماماً، أنها عادت للتو من الخارج، ووجدت بشكل غير متوقع أنها بدأت في المخاض، لقد أصبح خلع (بالألمانية: أوفبيندن - Aufbinden) تنورتها ذكرى حاجبة لولادتها (بالألمانية: إنتبيندونج - Entbindung). سنجد مثل هذه «الجسور اللفظية» تستخدم مرة أخرى في حالات أخرى.

أذكر مثلاً آخر يوضح الأهمية التي يمكن أن تكتسبها ذاكرة الطفولة العشوائية من خلال الدراسة التحليلية، عندما أصبحت مهتماً ببقايا ذكريات طفولتي في السنة الثالثة والأربعين من عمري، تذكرت

مشهدًا يخطر ببالي بين الحين، والآخر على مدى فترة طويلة - منذ الأزل كما بدا لي - وكان هناك مؤشرات موثوقة على أن تاريخه يعود إلى ما قبل نهاية السنة الثالثة من حياتي، رأيت نفسي أقف أمام خزانة ملابس (اللفظ في النمسا: كاستن - Kasten)، وأبكي، وأطلب شيئًا ما، بينما كان أخي غير الشقيق الذي يكبرني بعشرين عامًا يمسك بباب الخزانة مفتوحًا، ثم دخلت والدتي فجأة جميلة، ونحيلة كما لو كانت عائدة إلى المنزل من نزهة في الخارج، لقد استخدمت هذه الكلمات لوصف المشهد ثلاثي الأبعاد، لكنني لم أستطع المضي قدمًا بالوصف، فلم يكن لدي أي فكرة عما إذا كان أخي سيفتح أو يغلق خزانة الملابس - في الترجمة العقلية الأولى للصورة إلى كلمات أسميتها شرانك - Schrank (اللفظ الأساسي باللغة الألمانية الفصيحة) - ولا أدري لماذا كنت أبكي أو ما دخل وصول والدتي بالموقف، ولم أستطع شرح ذلك الموقف لنفسي إلا كذكرى لإغظة أخي الأكبر لي، ومقاطعته من قبل والدتنا، يمكن القول بأن هذه التفسيرات الخاطئة لمشاهد الطفولة التي يتذكرها المرء عادية جدًا؛ فغالبًا ما يتذكر المرء موقفًا ما دون تركيز، ولا يعرف بالضبط أين يكمن التركيز النفسي، لقد قادتني التحليلات إلى تفسير غير متوقع تمامًا لهذه الصورة، لقد كنت أفتقد والدتي، وبدأت أشك في أنها عالقة في خزانة الملابس (شرانك أو كاستن) لذلك طلبت من أخي أن يفتحها، وحين فعل ذلك، ولم أجد والدتي بالداخل بدأت بالصراخ، والبكاء حيث كان ذلك الجزء الذي أتذكره إلى جانب ظهور والدتي بعد ذلك مباشرة مما هداً مخاوفي، وشوقي؛ لكن ما الذي جعلني كطفل أفكر في البحث عن والدتي الغائبة في خزانة الملابس؟ تتعلق بعض أحلامي من نفس الفترة بشكل غامض بمربية كانت لديّ ذكريات أخرى مُعينة عنها مثل أنها اعتادت باستمرار جعلي أعطيها الفكة التي يقدمها الناس لي كهدية، الأمر الذي يمكن أن يدعي شخص ما أنه ذاكرة حاجبة للأحداث اللاحقة، قررت هذه المرة تسهيل مهمة التفسير، وسألت والدتي المسنة الآن عن هذه العاملة، فأخبرتني الكثير بما في ذلك أن هذه الشخصية الذكية غير الشريفة قد سرقت من المنزل على نطاق واسع بينما كانت والدتي مستلقية وأصر أخي غير الشقيق على توجيه الاتهامات ضدها، ومحاسبتها قانونياً؛ لقد ساهمت هذه المعلومات كنور ساطع مفاجئ يُنير ذاكرة طفولتي في فهم هذه الذاكرة، لقد أثر عليّ الاختفاء المفاجئ للمربية بشكل عميق، ولجأت في الواقع إلى نفس الشقيق لأسأله عن مكان وجودها، ربما لأنني لاحظت أن له علاقة بإبعادها عن المنزل، لقد تهرّب مني باللعب بالكلمات كما كان يفعل عادةً،

وأخبرني بصراحة أنها كانت في السجن (بالألمانية: انجيكاستيلت - eingekastelt)، ففهمت هذه الإجابة بطريقة صبيانية بحتة بمعنى أنها في خزانة الملابس (كاستن)، ولم أ طرح المزيد من الأسئلة فلم يكن هناك المزيد لأعرفه، عندما خرجت والدتي بعد ذلك بقليل، كنتُ قلقاً من أن أخي السيئ قد حبس والدتي أيضاً تماماً مثل المربية فجعلته يفتح خزانة الملابس لي، أفهم الآن أيضاً سبب ظهور شخصية والدتي النحيلة بشكل بارز، وكأنها أُعيدت للتو في نسختي المرئية من مشهد الطفولة هذا؛ أنا أكبر من أختي التي ولدت في ذلك الوقت بعامين ونصف، وعندما كنتُ في الثالثة من عمري ترك أخي غير الشقيق منزلنا²³.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



الفصل الخامس: زلات اللسان

تبدو مفرداتنا اليومية في لغتنا الأم محصنة ضد النسيان، إلا أنها أكثر عرضة لتشويش آخر يُعرف بأنه «زلة لسان» عند ملاحظتها لدى الأشخاص الطبيعيين، تُظهر زلات اللسان انطباعاً بأنها مرحلة أولية للظاهرة المعروفة باسم (الحبسة الكلامية) التي تحدث في ظل ظروف مرضية، سأشيد هنا لمرة واحدة بعمل سابق²⁴ لـ ميرينجر وماير حول زلات اللسان، وزلات القراءة حيث درسنا الموضوع من وجهة نظر بعيدة جداً عن وجهة نظري، كان أحد المؤلفين الذي كتب الجزء الأكبر من النص عالم لغوي، وقادته اهتماماته اللغوية إلى دراسة القواعد التي تحكم زلات اللسان، وكان يأمل أن يستنتج وجود «آلية فكرية معينة [...] تُظهر فيها أصوات الكلمات أو الجمل، والكلمات بنفسها نوعاً من الروابط والعلاقات المتبادلة النموذجية»²⁵، صنّف المؤلفان في البداية أمثلة مجموعتهما من «زلات اللسان» من وجهة نظر وصفية بحثية بحسب الفئات الآتية:

- تغييرات عكسية (مثال: قول عبارة «Milo of Venus» بدلاً من «Venus of Milo»).
- توقعات أو أصوات متوقعة (مثال: العبارة الألمانية «شعرت بثقلها على صدري» باستبدال كلمة «برست - Brust أي الصدر» بكلمة «شويست - Schwest» التي لها تردد صوتي يشبه كلمة «شوير - schwer أي صعب» ويقترح أيضاً كلمة «شويستر Schwester» «أي شقيقة».
- أصداء أو رنين (مثال العبارة الألمانية: «سأطلب منك التجشؤ بصحة قائدنا» بدلاً من «شرب نخب بصحة قائدنا» باستخدام كلمة «أوفزوستوسين - aufzustossen أي التجشؤ» بدلاً من «أنستوسين - anstossen أي شرب نخب»).
- تلوّث (مثال: العبارة الألمانية «أنه يقف على مؤخرة رأسه» المستمدة من عبارة «عنيد الرأس»، ومركّبة مع عبارة «Er» «يقف على رجليه الخلفيتين»).
- الاستبدال (مثال: العبارة الألمانية «سأضع العينات في صندوق الرسائل من أجل الحاضنة»).

كما أضافا لهذه الفئات الرئيسية فئات أخرى لكنّها أقل أهمية لأهدافنا البحثية هنا، ينطبق نظام التصنيف هذا بغض النظر عما إذا التحريف أو التحويل أو التشويه أو الدمج أو أي زلة أخرى تؤثر على الأصوات المنفصلة في الكلمة أو المقاطع أو الكلمات الكاملة للجملة المقصودة.

لشرح زلات اللسان التي لاحظها، يقترح ميرينجر أن للأصوات المنطوقة قوى نفسية مختلفة، إذا أعطينا التغذية العصبية للصوت الأول في الكلمة أو الكلمة الأولى في الجملة، ستؤثر عملية التحفيز فوراً على الأصوات، والكلمات اللاحقة، وبقدر ما تكون هذه التغذية العصبية متزامنة يمكنها التأثير على بعضها البعض، يساهم تحفيز الصوت الأكثر شدة من الناحية النفسية في توقع أصوات أخرى أو ترديد صدى أصوات أخرى مما يؤثر سلباً على التغذية العصبية الأضعف، إذن تتمحور المسألة حول تحديد الأصوات الأقوى في الكلمة، يعتقد ميرينجر بأنه: «إذا رغبتنا في معرفة الصوت الأكثر شدة في الكلمة، يجب أن نراقب أنفسنا عند محاولة تذكر كلمة منسية كاسم مثلاً، وكل ما يخطر بالعقل الواعي أولاً سيكون الأكثر شدة قبل نسيانه»²⁶، بالتالي يمكن القول بأن «الأصوات ذات الأكثر شدة، وقيمة في الكلمة هي الصوت الأول لمقطع الجذر، والصوت الأول للكلمة، وحرف العلة المشدد أو حرف العلة»²⁷.

هنا لا يسعني سوى الاختلاف معه حيث من الخطأ بالتأكيد الادعاء بأن الصوت الأول للكلمة المنسية سيكون أول ما يتذكره المرء سواء كان الصوت الأولي للاسم يشكل أحد أقوى العناصر في الكلمة أم لا، بالتالي لن تنطبق القاعدة التي قدمها ميرينجر أعلاه، عند مراقبة أنفسنا أثناء محاولة تذكر اسم منسي، فإننا غالباً ما نكون مقتنعين نسبياً أنه يبدأ بحرف معين، ولكن يتبين في كثير من الأحيان عدم وجود أساس لهذا الاقتناع حتى أننا نتذكر الحرف الأول للاسم بشكل خاطئ في معظم الحالات، ضمن المثال الخاص بي حول نسيان اسم سينوريلى، نسيت الصوت الأول، والمقاطع الأكثر أهمية في الاسم البديل بينما أعاد المقطع الأضعف «إيلي» الكلمة إلى ذهني عن طريق الاسم البديل «بوتيتشيلي»، تظهر الحالة التالية كيف أن عدداً قليلاً من الأسماء البديلة فقط تشير إلى الصوت الأول للاسم المنسي: لم أستطع ذات يوم تذكر اسم البلد الصغير الذي عاصمته مونت كارلو، كانت البدائل التي فكرت بها هي: بيدمونت، ألبانيا، مونتيفيديو، كوليكو، ثم سرعان ما استبدلت ألبانيا بـ

مونتينغرو ثم أدهشني أن المقطع اللفظي مونت ظهر في جميع الأسماء البديلة باستثناء الاسم الأخير، لقد سهّل ذلك عليّ أن أشق طريقي من اسم الأمير ألبرت إلى اسم البلد الذي نسيته، وكان موناكو، أما كلمة كوليكو فتتبع بشكل أو بآخر التسلسل المقطعي، وإيقاع الاسم المنسي.

إن افتراض وجود آلية زلات اللسان مُشابهة للآلية الموضحة لدى حالات نسيان الأسماء يساهم في توجيه المرء لتقييم مثل هذه الظواهر على أساس أكثر رسوخاً، قد يحدث الاضطراب اللفظي على شكل زلة لسان لسببين رئيسيين: يتمثل السبب الأول في تأثير جزء آخر في نفس الكلمة أو مجموعة الكلمات - عبر توقّع صوت ما أو صدى صوت معين - أو نتيجةً لنسخة مختلفة ضمن الجملة أو سياقها الذي نعتزم التعبير عنه (جميع الأمثلة المذكورة أعلاه من مقال ميرينجر وماير تنتمي إلى هذه الفئة)، أما السبب الثاني فيُشير إلى حدوث الاضطراب اللفظي بطريقة مماثلة لعملية نسيان اسم سينوريلي، وذلك عبر التأثيرات خارج الكلمة أو الجملة أو السياق، والمستمدة من العناصر التي لا نعتزم التعبير عنها، ولا نعلم بظهورها إلا من خلال التشويش نفسه، يكمن العامل المشترك للآليات التي تُسبب هذين النوعين من زلات اللسان في تزامن ظهورها، ويكمن العامل الذي يُميز بينهما في موضع هذه الزلات داخل أو خارج نفس الجملة أو السياق، قد لا يبدو الاختلاف ضخماً في البداية كما هو الحال ضمن بعض الاستنتاجات المستمدة من أعراض زلات اللسان، لكن يبدو جلياً كبداية فقط أن هناك احتمال بمساهمة الزلات في الخروج باستنتاجات حول آلية معينة تربط الأصوات، والكلمات بحيث تؤثر على بعضها البعض، حيث ستكون هذه الاستنتاجات عبارة عن نتائج يأمل عالم لغوي الحصول عليها للاستفادة من دراسة هذه الظاهرة، ضمن حالة الاضطراب اللغوي عن طريق التأثيرات خارج نفس الجملة أو السياق اللغوي، يتمثل الاهتمام الأساسي في اكتشاف العناصر التي أحدثت الاضطراب، كما يجب النظر في مسألة مساهمة آلية هذا الاضطراب بحد ذاتها في تقديم أي معلومات حول قوانين البناء اللغوي التي قد نفترض أنها تعمل في هذه الحالة.

لا يمكن القول بأن ميرينجر وماير قد تغاضيا عن احتمال نشوب اضطراب الكلام من «تأثيرات عقدة نفسية» أو عناصر خارج الكلمة أو الجملة أو تسلسل الكلمات نفسها، لم يلاحظوا أن نظريتهم عن عدم التوازن النفسي للقوة بين الأصوات كافية فقط لتوضيح اضطرابات الكلام، وتوقع الأصوات،

وصداها حيث لا يمكن اختزال الاضطرابات اللفظية في اضطرابات صوتية في الكلمات المستبدلة أو التي تلوّثت بكلمات أخرى على سبيل المثال، حتى أنهما بحثوا دون تردد عن سبب زلة اللسان خارج السياق المقصود موضحين وجهة نظرهم ببعض الأمثلة الجيدة، أقتبس منهما الفقرات الآتية:

²⁸«كان السيد س. يصف أمور معينة أطلق عليها اسم «شوينرين - Schweinereien» (أي بذاءات، قذارة، مأخوذة من كلمة شوين - Schwein أي خنزير)، لكنّه في محاولة إيجاد طريقة أكثر لطفاً قال: «لكن بعد ذلك ظهرت الحقائق» مُستخدماً كلمة فورشين - Vorschwein بينما أراد أن يستخدم كلمة فورشان - Vorschein، كنتُ، وماير حاضرين فاعترف السيد س. أنه كان يفكر بالفعل في كلمة شوينرين؛ يشير تشابه الصوت بشكل كافٍ إلى الطريقة التي اختفت بها الكلمة من ذهنه فجأة من خلال كلمة أخرى التي كان يجب أن تكون فورشان - Vorschein.

²⁹«تلعب التراكيب اللفظية (المُحلّقة) أو (المتجولة) دوراً كبيراً بدرجة أكبر من غيرها في الاستبدال، وتلوّث الكلمات بكلمات أخرى، قد تكون هذه التراكيب اللغوية خفية، إلا أنها متقاربة مع الكلمة المنطوقة ويمكن إبرازها بسهولة من خلال التشابه مع الكلمات المنطوقة المقصودة مما ينتج عنه زلة أو إرباك في البناء اللفظي، غالباً ما تكون هذه التراكيب اللفظية (المُحلّقة) أو (المتجولة) صدى أو أصداء لشيء ما قيل مؤخراً».

³⁰«قد تحدث زلة اللسان عن طريق التشابه مع كلمة أخرى مماثلة تحت عتبة الوعي، ولكن ليس لدى المتحدث أي نية للتلفظ بها، ويحدث الاستبدال بنفس هذه الطريقة، أمل أن يُساهم تحليل القواعد التي وجدت في تأكيد صحتها، لكن إن جرى تحليل زلات اللسان (وكان المتحدث شخص آخر) يجب توضيح كل ما كان يفكر فيه المتحدث، أضيف هنا مثال مفيد: لقد سمعنا الأستاذ س. يقول: تلك المرأة تخيفني، لكنّه لفظ كلمة (اينلاغين - einlagen) دون حرف الـ (L)، لقد شعرت بالحيرة لأنني لم أتمكن من شرح عدم لفظه لحرف الـ (L) فتشجعت على الإشارة إلى الكلمة البديلة (einjagen) للمتحدث فأجاب على الفور: «أوه، هذا لأنني كنت أفكر بعبارة (ch wäre nicht in der Lage) أي لن أكون في وضع مناسب (—)، إلخ....».

³¹«سألت في حالة أخرى السيد رون فون شيد عن حالة حصانه المريض، فأجاب أنه قد يصمد لشهر آخر بعبارة:

«Ja, das draut...dauert vielleicht noch einen Monat» حيث لفظ الفعل «dauert» مع حرف (r) إضافي. لم أستطع أن استنتج شيئاً من الـ (r) الإضافية في كلمة (draut) لأن احتمال تسببها في ظهور الـ (r) في نهاية كلمة «dauert» ضعيف جداً، أشرت للمتحدث بذلك، فأوضح أنه كان يفكر بأنها قصة حزينة (Das ist eine traurige Geschichte)، لقد كان لدى المتحدث إجابتان في ذهنه، واختلطاً ببعضهما.

يظهر جلياً أن دراسة التراكيب اللفظية «المتجولة» الخفية غير المقصودة، وطلب معرفة أفكار المتحدث مناسبة لظروف التحليل الذي أجريه حيث أبحث عن محتوى ذهني غير واعي وأتعامل معها بنفس الطريقة، باستثناء أنني أحتاج لتتبع طريق أفكار الشخص عبر سلسلة معقدة من الارتباطات إلى أن اكتشف العنصر التخريبي.

سأنتقل بإيجاز إلى إجراء آخر وضعه ميرينجر، وفقاً للمؤلف، هناك بعض التشابه بين الكلمة في الجملة المقصودة وأي كلمة أخرى لا يُقصد نطقها، مما يسمح للكلمة الأخيرة بالدخول إلى العقل الواعي عن طريق إحداث تشويه أو بناء مختلط أو حل بنيوي متوسط (تلوث جملة بجملة) كما حدث في الأمثلة المشار إليها أعلاه.

وضحت في كتابي تفسير الأحلام³² الدور الذي يلعبه الضغط في إنشاء ما يمكن تسميته بـ «المحتوى الواضح» للحلم من أفكار الحلم الكامنة، إن التشابه في الأشياء أو الأفكار اللفظية بين عنصرين في المحتوى اللاواعي يتسبب بإنشاء فكرة مُركبة أو حل ثالث وسط؛ يُمثّل كلا المكونين في محتوى الحلم وبسبب ذلك الأصل تميل الفكرة الجديدة كثيراً إلى اتجاهين مختلفين، وعليه، يمكن القول بأن تشكيل البدائل وتلوث الكلمات بأخرى في زلات اللسان يشير للمرحلة الأولى في عملية التعرض للضغط التي تكون أكثر نشاطاً في بناء الأحلام.

ضمن مقال صغير موجه للجمهور العادي³³، ادعى ميرينجر أن هناك أهمية عملية خاصة في حالات معينة من التشويش اللفظي حيث تُستبدل الكلمة عقلياً بنقيضها، «ربما تتذكر كلمات رئيس البرلمان النمساوي عندما افتتح أحد جلسات البرلمان منذ فترة بإعلانه: «يا أعضاء هذا المجلس! وأكد وجود عدد كذا من السادة، وبموجب هذا أعلن اختتام هذه الجلسة»، وحده الفرح العام في الجلسة ما جعله يدرك ما قاله فصيح عندها خطأه، قد يُفسر الخطأ في هذه الحالة بأنه نتج عن أمنية الرئيس لو كان بالفعل يمكنه اختتام الجلسة لأنه لا يتوقع منها أي نتائج مثمرة، لذا أظهرت فكرته الأساسية تأثيرها جزئياً على الأقل بأنه جعلته يقول عكس ما كان يقصد قوله، فقال: أختتم الجلسة بدلاً من افتتح الجلسة، وتجدر الإشارة إلى أنها ظاهرة متكررة»

لقد استنتجتُ من ملاحظات عديدة، ومتنوعة أن الأضداد اللفظية غالباً ما تتبدل حيث أنها مرتبطة ببعضها البعض في الوعي اللفظي، وقريبة من بعضها البعض، ويمكن بسهولة استدعاء الكلمة الخاطئة عن طريق الخطأ، ليس سهلاً دائماً بيان سبب الخطأ ضمن حالات الكلمات المتبادلة، كما هو الحال في خطأ رئيس البرلمان النمساوي الذي يبدو جلياً أن زلة اللسان قد نشأت من معارضة الملاحظة المقصودة في ذهن المتحدث، لقد وجدت آلية مماثلة تنطبق على حالة تحليل قضية نسيان الضمير (- aliquis أليكوس) حيث عبّر المتحدث عن المعارضة الداخلية من خلال نسيان كلمة بدلاً من استبدالها بنقيضها أو عكسها، إلا أن الاختلاف يكمن بأن الكلمة الصغيرة لا تُشير إلى تناقض من النوع الذي ينشأ من أفكار مثل «اختتام» و«افتتاح»، كما أن الفعل «افتتاح» باعتباره الجزء الشائع من المفردات اليومية يدلّ على عدم النسيان في هذه الحالة.

تُظهر الأمثلة الأخيرة المقتبسة من ميرينجر وماير؛ أن اضطراب الكلام قد ينشأ بنفس القدر من تأثير الأصوات، والكلمات التي يُقصد التحدث بها أو تُوقَّع أصوات معينة أو ترديد صداها في نفس الجملة أو قد ينشأ نتيجة لتأثير الكلمات خارج الجملة المقصودة التي أظهرت نفسها بنفسها، لذا نرغب باستكشاف إمكانية تحديد أي فرق واضح بين هاتين الفئتين من زلات اللسان، وكيف يمكن التمييز بينهما، يجب عليّ في هذه المرحلة الإشارة إلى تعليقات الطبيب فيلهلم فونت الذي يناقش حالات

زلات اللسان في عمله الشامل حول تطور اللغة³⁴، بحسب فيلهلم فونت تتمثل السمة الثابتة لهذه الحالات، والحالات المشابهة في وجود بعض التأثيرات النفسية.

«لحدوث زلة اللسان يجب أن يتوفر الشرط الإيجابي المتمثل في التدفق غير المقيد للارتباطات اللفظية، والنغمية التي تثيرها الأصوات المنطوقة، يصاحب ذلك العامل السلبي المتمثل بتعليق أو إيقاف عمليات الإرادة التي تمنع هذا التدفق وتعمل على التركيز الدقيق كجزء من وظيفتها، قد يُعبر عن الارتباطات من خلال توقُّع صوت معين أو إعادة إنتاج لصوت ما نُطق مؤخراً أو في إدخال صوت مألوف جداً بين أصوات أخرى أو قد يُعبّر عنه بكلمات مختلفة تماماً لها علاقة ارتباطية بالأصوات المنطوقة، وتأثيرها عليها - يصف ذلك كله الاختلافات في الميل، وقبل كل شيء الاختلافات في نطاق الارتباطات التي تدخل العقل، وليس في طبيعتها العامة، يصعب في كثير من الحالات تحديد الفئة التي ينتمي إليها تشويش معين، وربما يكون من الأصح استنباطه من مجموعة أسباب متعددة على أساس مبدأ صعوبة الأسباب»³⁵.

أعتقد أن ملاحظات فيلهلم فونت مبررة تماماً، ومفيدة جداً، ربما يمكن التركيز بشكل أكبر من فونت على الطريقة التي يعمل بها العامل الإيجابي الذي يشجع زلات اللسان (التدفق غير المقيد للارتباطات)، والعامل السلبي (إيقاف الانتباه الذي من شأنه منع الارتباطات) بشكل منتظم، يشكّل العاملين السلبي، والإيجابي جوانب مختلفة من نفس العملية حيث ينشط التدفق غير المقيد للارتباطات من خلال إيقاف الانتباه الذي من شأنه منع الارتباطات، ويمكن القول بأن التدفق يحدث عبر هذا الإيقاف.

ضمن مجموعة أمثلة زلات اللسان التي جمعتها بنفسي، نادراً ما أجد أي حالة اضطرت فيها إلى اشتقاق الاضطراب اللفظي بشكل حصري مما يسميه فيلهلم فونت «تأثير الاتصال بالأصوات»، حيث أكتشف دائماً وجود تأثير مدمر لشيء ما خارج الكلام المقصود فيكون العنصر التخريبي إما فكرة واحدة بقيت غير واعية، وظهرت في زلة اللسان، ويمكن إدخالها إلى العقل الواعي فقط بعد تحليل شامل، أو يكون دافع نفسي أكثر عمومية موجه ضد الكلام المقصود ككل.

1) قضمت ابنتي تفاحة، وشكّلت تعابير وجهها على شكل سيء، كنت أريد اقتباس السطور الآتية:

.Der Affe gar posierlich ist. Zumal wenn er vom Apfel frisst

القرء مضحك جداً، لا سيما عندما يأكل تفاحة.

بدلاً من ذلك، بدأت القول بـ: «دير أبفي - Der Apfe أي التفاحة، يبدو ذلك كتلوث كلمة «Affe» بكلمة «Apfel» مما أنتج بنية وسطية، كما يمكن اعتباره توقع لكلمة Apfel التي كنت على وشك نطقها، لقد كنت قلت هذا الاقتباس في الحقيقة، ولم أرتكب أي خطأ في المرة الأولى، ولم تحدث زلة لساني إلا عندما كررتها لأنني اضطررت لذلك حيث كان اهتمام، وتركيز ابنتي في مكان آخر عندما اقتبست السطور لأول مرة ولم تستمع لي، يجب تضمين هذا التكرار، ونفاد صبري لقول اقتباسي من هذه الأسطر كجزء من الدافع وراء زلة لساني حيث تمثل حالة ضغط.

2) أخبرتني ابنتي: «سأكتب رسالة للسيدة شريزنجر - Schresinger»، كان اسم السيدة في الواقع شليزنجر - Schlesinger، قد ترتبط هذه الزلة في الميل إلى جعل النطق أسهل بسبب الصعوبة في نطق الحرف الـ (L) بعد تكرار حرف الـ (r)، أضيف أيضاً أن زلة لسان ابنتي جاءت بعد دقائق قليلة من قول كلمة (أبفي - Apfe) بدلاً من (أفي - Affe)، تتصف زلات اللسان بأنها شديدة العدوى مثل نسيان الأسماء بحسب ملاحظة ميرينجر وماير، إلا أنه لا يمكنني إعطاء أي سبب لهذا الميل النفسي للعدوى.

3) أخبرتني مريضة في بداية الجلسة العلاجية بالعبرة:

«Ich klappe zusammen wie ein Tassenmescher - Taschenmesser» ~ أي أنا أنطوي مثل مشرط.

ونطقت كلمة «تاشيمينيسر - Taschenmesser» بـ «تاسيمينيشر - Tassenmescher»، يمكن أن يُعزى ذلك إلى صعوبة النطق (كما هو الحال في صعوبة نطق جمل تبدأ بنفس الحرف

غسلات تغسل الغسيل الأبيض)، عندما أشرت إلى زلة لسانها ردت على الفور: «نعم، لكن هذا فقط لأنك قلت كلمة (إرنشت) اليوم»، فقد قلت لها بالفعل حين حييتها: (سنتسم بالجدية اليوم) لأنها كانت الجلسة الأخيرة قبل العطلة، واستخدمت الكلمة الألمانية (إرنست) ولفظتها (إرنشت) مازحاً، استمرت المريضة في ارتكاب المزيد من زلات اللسان؛ فأدركت أنها لم تكن تقلدني فحسب بل كان لديها سبب خاص لبقاء كلمة (إرنست - جدّي) في عقلها اللاواعي حيث يمكن أن تكون اسم (إرنست)³⁶.

4) قالت المريضة نفسها في مناسبة أخرى بأنها تعاني من نزلة برد سيئة، ولا تستطيع التنفس عبر أنفها، فاستخدمت كلمة «ناز آتمين Nase atmen - « بدلاً من كلمة «آز ناتمين Ase natmen» كتلاعب بالألفاظ، أدركت المريضة على الفور كيف حدثت زلة لسانها فشرحت: «أستقل الترام كل يوم من محطة هاسناورستراس Hasenauerstrasse، وفكرت هذا الصباح بينما كنت أنتظر الترام بأنني لو كنت امرأة فرنسية سأسمي الشارع أسناورشتراس Asenauerstrasse، لأن الفرنسيين لا ينطقوا حرف الـ (H) حين يكون أول الكلمة، ثم شرعت في سلسلة من الذكريات عن الفرنسيين الذين قابلتهم فقطعت شوطاً طويلاً حول الموضوع لتصل إلى ذكرى عن نفسها في سن الرابعة عشرة حين شاركت في دور الشخصية التي تتحدث الألمانية بركاكة (بيكار) في مسرحية صغيرة كورماركر وبيكاردي - Kurmärker und Picarde، كان في سكنها حالياً ضيف من باريس مما أثار هذه السلسلة الكاملة من الذكريات، لذا كان تبديل الأصوات نتيجةً لاضطراب بفكرة لواعية في سياق مختلف تماماً.

5) لاحظت زلة لسان أخرى بالطريقة ذاتها لدى مريضة أخرى، لقد خانتها ذاكرتها بينما كانت تخبرني عن حدث منسي منذ زمن طويل في طفولتها، لقد رفضت ذاكرتها أن تخبرها عن أي جزء من جسدها كانت قد لمست يد متطفلة، وشهوانية، زارت بعد ذلك مباشرة صديقها، وكانت تتحدث معها حول أكواخ لقضاء الإجازة الصيفية، عندما سُئلت عن موقع كوخها، قالت: (بيرجليند - Berglende) أي على خاصرة الجبل بدلاً من (بيرجليهن - Berglehne) أي على جانب الجبل.

6) عندما سألت مريضة أخرى في نهاية جلستها عن حال عمها، أجابت: لا أعرف في هذه الأيام أراه فقط في حالة تلبس (فلاغر انتي - flagranti). عندما أتت في اليوم التالي قالت: «شعرت بالخلج حقاً من نفسي لأنني أعطيتك مثل هذه الإجابة السخيفة، لا بد أنك اعتقدت بأنني شخص غير متعلم كفاية، ودائماً ما يخلط بين الكلمات الأجنبية، ما قصدت قوله إنه تجاوز حالته»، لم نكن نعرف في تلك المرحلة أين وجدت العبارة الأجنبية المستخدمة بشكل غير صحيح، لكنني توصلت في الجلسة نفسها انطلاقاً من نقاش اليوم السابق إلى ذكريات معينة شكّل الوقوع في حالة تلبس فيها أمراً محورياً، لذا، لا بد من أن زلة اللسان في اليوم السابق نتجت عن توقّع الذكرى التي لم تفكر فيها بوعي بعد.

7) حدث موقف آخر مع مريضة أخرى حيث احتجت إلى التعبير عن شكوكي عبر التحليل بأنها أثناء النقاش شعرت بالخلج من عائلتها، وألقت باللوم على والدها بأمر ما لم تكن متأكدة من ماهيته، ولم تتذكره فقالت لا بد من أنه أمر غير مرجح الحدوث، تابعت الحديث عن عائلتها: «هناك أمر واحد تقوله عنهم، إنهم ليسوا جزءاً من القطيع فهم جميعاً معروفون جيداً بالبخل (Geiz)، عفواً قصدت أن أقول الدهاء (Geist)»، عرفنا عندها الاتهام الحقيقي الذي كبحته ذاكرتها فمن الشائع جداً أن تظهر الفكرة التي يحاول المرء تجنبها في زلة لسان (مثال ميرينجر حول شوينرين)، يكمن الاختلاف الوحيد في مثال ميرينجر بأن الشخص يحاول كبخ شيء يعرفه، في حين المريضة بهذه الحالة لم تكن تعرف الفكرة التي تكبحها أو يمكن القول بأنها لم تكن تعرف أنها تخفي أي فكرة أو ما كانت هذه الفكرة.

8) يتحدث المثال الآتي عن زلة لسان ناتجة عن كبخ متعمد لفكرة ما، التقيت ذات يوم في الدولوميت بسيدتين ترتديان ملابس المشي، ورافقتهم قليلاً، وتحدثنا عن فوائد، وآلام المشي في الإجازة، فأشارت إحداهن إلى عدداً من العيوب لقضاء اليوم مشياً: «حقيقةً ليس مريحاً على الإطلاق أن تبقى تحت الشمس طوال اليوم حتى تغرق بلوزتك، وسترتك الداخلية في العرق»، ترددت قليلاً ثم تابعت: «لكن عندما تصل إلى ناخ هاوزيه (nach Hose أي سراويل داخلية باللغة الألمانية - حيث استخدمتها بدل ناخ هاوس - nach House أي المنزل) يمكنك تغيير ملابسك. أعتقد بأن زلة اللسان هذه لا تحتاج إلى الكثير من الدراسة لشرحها حيث يبدو أن السيدة بدأت بقصد تعداد ملابسها الداخلية

بالكامل «بلوزة وسترة داخلية، وسراويل داخلية»، لكنّها امتنعت عن تسمية الثوب الثالث ذوقاً؛ وعليه، ظهرت الكلمة المكبوتة هاوزيه (Hose) في الجملة التالية برغم معناها المختلف بشكل لا إرادي كتشويه لمصطلح مماثل هاوس (House).

9) قالت لي سيدة: «إذا كنت ترغب في شراء السجاد، جرب زيارة كاوفمان (Kaufmann) في منطقة ماتيويسكاسيه (Matthäusgasse)، أعتقد أنه يمكنني أن أنصحك به مطمئناً»، كررت بعد ذلك ما قالته: «أوه، إذن تعتقدين بأنه عليّ أن أجرب ماتيويس - Matthäus ... أعني كاوفمان» إنّ إعطائي اسم واحد بدلاً من آخر يأتي نتيجةً لعدم الانتباه، وقد صرفت ملاحظة السيدة في الواقع انتباهي إلى شيء آخر أهم بكثير من السجاد بالنسبة لي، لقد كان المبنى الذي عاشت فيه زوجتي قبل زواجنا في ماتيويسكاسيه، لكن مدخله الرئيسي في شارع آخر، وأدركت أنني نسيت اسم ذلك الشارع، ولم أتمكن من تذكره إلا من خلال سلسلة أفكار غير مباشرة، شكّل اسم ماتيويس اسم بديل لاسم الشارع المنسي، وأكثر ملاءمة من الاسم كاوفمان بما أن اسم ماتيويس اسم شخص حصراً، أما اسم فاوكمان ليس كذلك (ليس فقط اسم عائلة، ولكن تعني «تاجر» أيضاً)، وكان اسم الشارع الذي نسيته يحمل أيضاً اسماً شخصياً (راديتزكي - Radetzky).

10) يمكنني أيضاً تضمين الحالة الآتية ضمن «أخطاء» ستتم مناقشتها لاحقاً، لكنني سأستشهد بها هنا لوضوح العلاقات الصوتية التي تمثل الكلمة البديلة، أخبرتني مريضة حلمها: «لقد حلمت أن طفلاً قد قرر قتل نفسه بلدغة أفعى، وعندما فعل ذلك راقبت الطفل يتلوى من الألم»، طلبتُ منها أن تحدد ما حدث خلال اليوم الذي رأت به ذلك الحلم، فتذكرت على الفور أنها استمعت إلى محاضرة شعبية في ذلك المساء حول الإسعافات الأولية في حالات لدغات الأفاعي، وقيل لهم إذا تعرض شخص بالغ، وطفل للعض في نفس الوقت يجب معالجة إصابة الطفل أولاً، وتذكرت تعليمات العلاج حيث يتوقف كل ذلك على نوع الأفعى التي عضت المصاب، قاطعتها هنا بسؤال: «ألم يخبرك بالعدد القليل للأفاعي السامة في هذا البلد وما أكثر الأنواع خطورة؟» فأجابت: «نعم، لقد ذكر الأفعى الجرسية - Klapperschlange بشكل خاص»، جعلتها ضحكتي تدرك أنها زلقت في الكلام، وبدلاً من تصحيح الاسم عادت إلى الحديث: «أوه لا، بالطبع لا يوجد هنا أفاعي جرسية؛ لقد ذكر أفعى «الفابير»، هل

قلتُ الأفعى الجرسية؟»، أعتقد بأن ذلك نتج عن الخلط بين الأفكار التي أخفاها حلمها، فلا يمكن الانتحار بلدغات الأفاعي إلا أن كانت إشارة إلى كليوباترا الجميلة (Kleopatra) التهجئة الألمانية (للاسـم)، لا يمكن التغاضي عن التشابه الكبير في الصوت بين الكلمتين في اللغة الألمانية، وتزامن الحروف (KL-P-R) التي تظهر بنفس الترتيب، والشدة على حرف العلة (a) لقد أدى الارتباط القوي بين اسم الأفعى الجرسية (Klapperschlange)، واسم كليوباترا (Kleopatra) إلى إيقاف حكمها النقدي للحظة فلم تجد شيئاً غريباً في أن يُوجه المُحاضر جمهوره في فيينا حول علاج لدغات الأفعى الجرسية، تعرف هذه المريضة، كما أعرف أنا، حق المعرفة بأن الأفاعي الجرسية ليست من بين الحيوانات الأصلية في المنطقة، كما لا ينبغي لومها على ربط الأفعى الجرسية بمصر حيث أننا عادةً ما نضع كل شيء غير أوروبي، وغريب في نفس الفئة في أذهاننا، حتى كان عليّ التفكير لبرهة قبل القول بأن الأفاعي الجرسية موجودة فقط في العالم الجديد، لقد ظهر تأكيداً إضافياً على ذلك ضمن سياق تحليلها النفسي، لقد رأت في حلمها في اليوم السابق مجموعة تماثيل ستراسر لمارك أنتوني بالقرب من منزلها لأول مرة، وشكّل ذلك السبب الثاني لحلمها (تمثّل السبب الأول بمحاضرة لدغات الأفاعي)، لقد كانت تحتضن طفلاً بين ذراعيها في الجزء الأخير من الحلم مما أعاد إلى ذهنها جريتشن -Gretchen من أسطورة فاوست، ودراما جوته، وساهمت أفكار أخرى في ظهور ذكريات حول مسرحية أريا وميسالينا - Arria und Messalina للكاتب المسرحي أدولف ويلبرانت، إن ظهور العديد من الأسماء في حلمها من المسرحيات جعلني أشك بأنها اعتزت في الماضي برغبة سرية بأن تصبح ممثلة محترفة حيث تشير بداية الحلم التي قرر فيها الطفل الانتحار بلدغة أفعى إلى أنها كانت مصممة في طفولتها على أن تصبح ممثلة مشهورة يوماً ما، إن سلسلة الأفكار المؤدية إلى الموضوع في قلب حلمها مشتقة من اسم ميسالينا، حيث جعلتها بعض الحوادث الأخيرة قلقة بشأن شقيقها الوحيد الذي على وشك الزواج من امرأة غير آرية - وإن فعل ذلك سيكون زواجه ميزاليونس - mésalliance أي زواج غير مناسب بالفرنسية.

11) سأصف الآن مثلاً بسيط، ودوافعه غير واضحة لنا بشكل كافٍ لأنه يوضح آلية واضحة: إحتاج مسافر ألماني في إيطاليا إلى حزام لتأمين حقيبته التي تضررت فبحث عن الكلمة الألمانية للحزام (ريمن - Riemen) في القاموس، ووجد الكلمة الإيطالية (كوريجيو - coreggia)، وقال لنفسه:

«سأذكر ذلك بسهولة كافية إذا فكرت في الرسام كوريغيو»، عندما ذهب إلى المتجر قال: أونا ريبيرا - una ribera أي بنك، يبدو جلياً أنه لم ينجح تماماً في استبدال الكلمة الألمانية بمرادفها الإيطالي في ذهنه، لكن جهوده لم تذهب سدى، كان يعرف أن اسم رسام ما يمكن أن يذكره بالكلمة، لذا لم يتذكر اسم الرسام الذي يشبه الكلمة الإيطالية، ولكن اسم رسام آخر يشبه الكلمة الألمانية ريمن - Riemen، يمكنني أيضاً إضافة هذا المثال إلى الفصل الذي يتحدث عن نسيان الأسماء.

عندما كنت أجمع أمثلة على زلات اللسان للطبعة الأولى من هذا الكتاب، أخضعت جميع الحالات التي لاحظتها للتحليل بما يتضمن الحالات الأقل إثارة للإعجاب، لقد أصبح الناس منذ ذلك الحين يستمتعون بجمع هذه الأمثلة، وتحليلها مما منحني رفاة الاختيار بين أمثلة ضخمة في محتوى ثري.

12) قال شاب لشقيقته: لقد قطعت علاقتي بعائلة س. حتى أنني لا أمضي الوقت معهم الآن»، فأجابت: «أوه، يا لهم من ليبشافت - Lippschaft»، لكنها قصدت أن تقول سيبشافت Sippschaft أي جماعة لكن بالمعنى التحقيري للكلمة بهذا السياق، والذي يشير إلى عصابة. لقد جمعت زلة لسانها بين فكرتين: تشير الأولى إلى أن شقيقها نفسه قد أقام علاقة مغازلة مع ابنة هذه العائلة ذات مرة، بينما تشير الثانية إلى الفتاة ذاتها التي دخلت مؤخراً في علاقة حب خطيرة، وغير مشروعة.

13) لقد خاطب شاب شابة في الشارع قائلاً: «إذا سمحت لي أيتها الفتاة، أود أن بيجلايت ديجين (begleit-digen)³⁷، يبدو جلياً أنه كان يود مرافقتها (begleiten - بيجلاين أي يرافق)، لكنه خشي أن يشعرها هذا العرض بالإهانة (beleidigen - بيلاي ديجين أي الإهانة)، يُظهر التعبير عن هاتين الفكرتين المتناقضتين في كلمة واحدة - زلة لسانه - بأن نوايا الشاب الحقيقية لم تكن بريئة تماماً حتى أنها قد تبدو مهينة تماماً للفتاة، لكن بينما كان يحاول إخفاء ذلك عنها خدعة عقله اللاواعي ليكشف عن غرضه الحقيقي، وجعله يتوقع إجابتها التقليدية: «إلى أين تأخذني بحق السماء؟ كيف يمكنك أن تهينني (beleidigen). (شاركني أوتو رانك - Otto Rank هذا المثال).

فيما يلي عدد من الأمثلة المقتبسة³⁸ من مقال بعنوان «اعترافات اللاوعي» لـ وليام ستيكيل كانت قد نُشرت في صحيفة برلين اليومية بتاريخ 4 يناير 1904.

14) يكشف المثال الآتي عن جانب مقيت من تفكيري اللاواعي، سأبدأ بقول إنني كطبيب لم أهتم أبداً بالمكاسب المادية، وركزت فقط على مصلحة المريض، وهذا أمر طبيعي، كان لدي مريضة كنت أعالجها أثناء فترة نقاهتها بعد الشفاء من مرض شديد، وقضينا سوياً بعض الأيام، والليالي الصعبة معاً، لقد كنت سأشعر بالسرور إن أصبحت حالتها أفضل يوماً ما، ورسمت صورة للمتعة التي ستشعر به إن زارت مجمع كنائس الدير أبازيا - Abbazia، وقلت لها «هذا إن لم تغادر سريرك قريباً كما أتمنى»، يبدو جلياً أن كلمة (لم) نشأت من رغبة أنانية من جانب لاوعي لديّ لأتمكن من الاستمرار في علاج هذه المريضة لفترة أطول، ويمكنني القول بأنها فكرة غريبة تماماً عن عقلي الواعي، وأرفضها برعب.

15) لقد كانت زوجتي تجري مقابلة مع امرأة فرنسية لتوظيفها في فترة بعد الظهر، وبمجرد أن اتفقتا على الشروط قالت زوجتي أنها تود الاحتفاظ بالأوراق، لكن السيدة الفرنسية أرادت استعادتها، وقالت: «مازلت أبحث عن عمل في فترة ما بعد الظهر، أوه لا أستمحكم العفو، قصدت عمل في فترة الصباح»، يبدو أنها كانت تتوي البحث عن عمل في مكان آخر بشروط أفضل، وهذا بالضبط ما حدث.

16) كان عليّ أن ألقى على مسامع سيدة ما محاضرة صارمة بناءً على طلب زوجها الذي كان يستمع على الجانب الآخر من الباب، في نهاية خطبتي التي تركت انطباعاً واضحاً، قلت: «حسناً، وداعاً سيد جناديجر» بدلاً من «سيدة جناديجر»، لابد أنني بزلة اللسان تلك وضحت الحقيقة لأي شخص يعرف الظروف بأن كل ما قلته كان نيابة عن الزوج، وكان موجهاً له في حقيقة الأمر.

17) يتحدث الدكتور وليام ستيكيل عن استقباله لمريضين من مدينة ترييستي بأسماء خاطئة، فيقول «صباح الخير سيد بيلوني» للسيد أسكولي، ويقول «صباح الخير سيد أسكولي» للسيد بيلوني، كان يميل في البداية إلى عدم ربط هذا التبديل بأسمائهم بأي دافع عميق، وفسّره بأنه ناتج عن امتلاك الرجلين للعديد من الأشياء المشتركة، كان قادراً على إقناع نفسه بسهولة فيما بعد بأن هذا الخلط بين

الأسماء كان نوعاً من التباهي حيث تمكّن من خلال ذلك إخبار كل مريض إيطالي، بأنه لم يكن الشخص الوحيد الذي أتى من مدينة ترييستي في إيطاليا إلى فيينا لطلب مشورته الطبية.

18) أعلن الدكتور ستيكيل في اجتماع عام ضمن نقاش مُحتم عن طريق الخطأ: «سنتشاجر الآن في (بدلاً من سنتابع الآن إلى) النقطة رقم 4 من جدول الأعمال».

19) قال دكتور في محاضراته الافتتاحية: «أنا غير مستعد (بدلاً من غير مؤهل) إلى قول أي شيء عن مزايا الدكتور المحترم الذي سبقني».

20) قال الدكتور ستيكيل لسيدة يشتبه بإصابتها بداء بازدوف: «أنتِ تضخم الغدة الدرقية (بدلاً من إن رأسك) أطول من رأس شقيقتك».

21) أبلغ الدكتور ستيكيل عن حالة رجل يحاول وصف العلاقة بين صديقين أحدهما يهودياً، فقال: «لقد عاشا معاً مثل كاستور وبولاك (استخدم اللقب اليهودي بولاك بدلاً من اسم بولوكس، أحد أسماء ديوسكوري في الأسطورة الكلاسيكية)، لم يكن ذلك مزحة حيث فشل المتحدث في ملاحظة زلة لسانه، ولم ينتبه لذلك إلا عندما أشرت إليها.

22) ترسم زلة اللسان في بعض الأحيان صورة شخصية كاملة، لقد أخبرتني سيدة شابة كانت ترتدي بنطال في زواجها أن زوجها الذي كان مريضاً قد ذهب إلى الطبيب، وسأل عن النظام الغذائي الأفضل له، فأخبره الطبيب إن النظام الغذائي لا علاقة له بذلك، قالت الزوجة: «يمكنه أن يأكل، ويشرب ما أريد».

فيما يلي اقتبس مثالين من مقال ثيودور ريك في المجلة الدولية للتحليل النفسي العدد الثالث (1915)، تحدث هذه الأمثلة في المواقف التي يسهل فيها حدوث زلة لسان حيث يجب حجب أمور أكثر مما يجوز قوله في مثل هذه الحالات.

23) كان رجل نبيل يُعزي سيدة شابة توفي زوجها مؤخرًا، وأضاف: «ستجدين الراحة في تكريس نفسك بالكامل لأطفالك»، واستخدم كلمة فيدوين - widwen كزلة لسان لتشابهها الصوتي مع كلمة فيتي - witwe أي أرملة بدلاً من كلمة فيدمين - widmen أي تكريس، تشير الفكرة المكبوتة هنا إلى نوع آخر من الراحة: يُرجح أن تستمتع الأرملة الشابة الجميلة بالمتعة الجنسية مرة أخرى قريبًا.

24) كان نفس الرجل يتحدث إلى نفس السيدة في حفلة مسائية حول الاستعدادات الكبيرة لعيد الفصح في برلين، وسأل: «هل رأيت ما عُرض في نوافذ فيرتهايم اليوم؟ إن كل شيء فيه ديكوليت» بدلاً من ديكوريت - dekoriert أي مُزين، لم يكن الشاب قادرًا على التعبير عن إعجابه برقبة المرأة الجميلة (ديكولتاج décolletage أي رقبة) بشكل صريح، لكن ظهرت الفكرة المحرمة عندما أشار إلى زخرفة نافذة المتجر بزلة اللسان (ديكوليت) حيث تجمع الكلمتين، وتستخدم دون وعي كلمة عُرض بالمعنى مزدوج.

تتطبق الظروف ذاتها على الملاحظة التي حاول الدكتور هانس ساكس قصارى جهده لشرحها بالكامل:

25) أخبرتني سيدة أنها رأت أحد معارفها يرتدي ملابس أنيقة جدًا، وحذاءً بنياً أنيقاً بكعب مسطح (مستخدمة كلمة هالبشويه - Halbschuhe أي متعطل)، عندما سألتها أين التقته، أجابت: «أوه لقد قرع جرس بابي، ورأيت من خلال الستائر الدوارة المنسدلة، ولم أفتح الباب، ولم أعطِ أي إشارة أخرى لأنني لم أكن أريده أن يعرف أنني عدت إلى المدينة»، عرفتُ بالاستماع لها أنها كانت تخفي شيئاً ما عني، فربما لم تفتح الباب لأنها لم تكن بمفردها، وترتدي ملابس غير مناسبة لاستقبال الزوار، سألتها مع بعض السخرية: «أوه، إذن يمكنك النظر إلى نعاله (هاوسشويه - Hausschuhe) بإعجاب عبر الستائر المسدولة؟»، لقد ظهرت فكرة ردائها (هاوس كلايد - Hauskleid)، في كلمة (هالبشويه - Halbschuhe) التي امتنعتُ عن التعبير عنها، ربما حاولتُ أيضًا ألا أقول كلمة هالب - Halb أي نصف لأنها احتوت على إجابة لن أسمح لنفسي بقولها: «أنتِ تُخبريني بنصف الحقيقة فقط؛ لقد نسيتُ إخباري بأنك كنت ترتدين نصف ملابس فقط»، تشير زلة اللسان أيضًا إلى حقيقة أننا

كنا قبل ذلك مباشرة نناقش الحياة الزوجية للرجل المعني، والسعادة المنزلية (هاوسلزيش كلوك - häusliches Glück) المصطلح الذي ساعد في تحديد إراحة التفكير إلى شخصه، يجب أن أعترف أخيراً باحتمال أن جسدي لعب دوراً في جعل هذا الرجل الأنيق يقف في الشارع مرتدياً نعال حيث أنني اشتريت مؤخراً بعض الأحذية البنية ذات الكعب المنخفض، ولم تعد «جميلة بشكل ملحوظ» بأي حال من الأحوال».

تؤدي أوقات الحروب مثل الوقت الحاضر إلى ظهور عدد من زلات اللسان التي يمكن فهمها بسهولة.

(26) سُئِلَت سيدة: «ما الكتيبة التي ينتمي لها ابنك؟» أجابت: مورد رقم 42 (Morder - أي القتلة، بدلاً من كلمة مورسر Morser - أي قذائف الهاون).

(27) كتب الملازم هنريك هايمان من الخطوط الأمامية في القتال: «لقد حُرمت من قراءة كتاب رائع لأنتدب لفترة وجيزة كموظف استطلاع هاتفي، عندما رن الهاتف لاختبار عمل الخط، فرددت بالقول: «حسناً الهاتف يعمل، اخرس» بدلاً من أن أرد بـ: «حسناً الهاتف يعمل، حوّل»، يمكن تفسير الخطأ بالانزعاج من مقاطعة قراءة كتابي».³⁹

(28) قال رقيب لرجاله أن يرسلوا عناوينهم إلى أهلهم بدقة حتى لا تضيع الـ جيسبيكستوك - Gespeckstücke أي قطع لحم الخنزير المقدد بدلاً من كلمة جيباسكتكا - Gepäckstücke أي الطرود.

(29) قدّم الدكتور إل سيززر المثال الرائع الآتي، وتتمثل أهميته بخلفيته المؤسفة جداً، لقد أعاد الدكتور إنتاج ملاحظاته الخاصة أثناء تواجده في سويسرا المحايدة أثناء الحرب، وقام بتحليلها بإسهاب، أعيد تقديم تحليله هنا على لسانه مع بعض التعديلات الطفيفة: «سأبدأ بوصف حالة زلة لسان التي قدّمها البروفيسور س. في البلد ص. خلال محاضرة قدّمها الفصل الصيفي السابق حول سيكولوجيا المشاعر، أوضح أولاً أن هذه المحاضرات عُقدت في القاعة الكبرى بالجامعة، وحضرها

أسرى الحرب الفرنسيون المعتقلون، والطلاب السويسريون الناطقون بالفرنسية، وكان معظمهم مؤيدين للوفاق. تُستخدم كلمة بوشيه - boche في تلك البلد، كما هو الحال في فرنسا نفسها، بشكل عام، وحصري كمصطلح يدل على الألمان، لكن يحاول كبار موظفي الخدمة المدنية، والأساتذة، وغيرهم من الأشخاص المسؤولين تجنب هذه الكلمة المؤسفة في الإعلانات العامة، والمحاضرات لأسباب تتعلق بالحياد، كان البروفيسور س. يصف الأهمية العملية للتأثير، وينوي اقتباس مثال على الاستغلال المتعمد للتأثير من أجل إضفاء طابع ممتع للعمل البدني المُمل، وبالتالي تكثيف بنية هذه المشاعر؛ لذا روى قصة باللغة الفرنسية اقتُبست من مجلة ألمانية، وأعيد نشرها في الصحف السويسرية المحلية، تتحدث عن مدير مُعلم ألماني جعل تلاميذه يعملون في الحديقة، ولتشجيعهم على العمل بجدية أكبر، أخبرهم أن يتخيلوا أنهم كلما حفروا قطعة من الأرض يحطمون جمجمة فرنسية، كلما ذكر كلمة «الألمان» في سرد قصته، استخدم البروفيسور س. كلمة (ألماني) بشكل صحيح، وتجنب كلمة بوشيه - boche، بالرغم من ذلك، عندما وصل إلى الجزء الذي يحكي فيه جملة المدير قال العبارة الآتية بالفرنسية: «تخيل أنك تحطم جمجمة رجل فرنسي، عندما تحفر القبيح»، لقد حول كلمة موتيه - motte أي الأرض إلى كلمة موتشيه - moche أي قبيح! يمكننا رؤية البروفيسور المثالي يحاول منذ بداية قصته عدم إفساح المجال للطريقة المعتادة، وربما لإغراء نطق الكلمة المحظورة (التي حظرها صراحة مرسوم سويسري) على منبر قاعة الجامعة! ومثلما نجح في نطق عبارة «مدرس ألماني» للمرة الأخيرة بشكل صحيح، وكان يسارع نحو اختتام القصة دون إلحاق الضرر بأحد، ويتنهد داخلياً من الارتياح، فالكلمة التي كبها بجهد شديد ظهرت في تشابه صوت كلمة موتيه - motte مع الكلمة المحظورة بوشيه - boche أي الأرض، وقد حدث الضرر، إن الخوف من اللباقة السياسية، والرغبة المكبوتة في استخدام الكلمة الشائعة، والمتوقعة، ونفور الرجل الجمهوري الديمقراطي منذ ولادته من أي تقييد لحرية التعبير، يتعارض مع نيته الأساسية في تقديم المثال بشكل صحيح، كان المتحدث مدركاً للميول المتداخلة، وقد افترض أنه كان يفكر بالأمر مباشرة قبل زلة لسانه، لم يلاحظ البروفيسور س. زلة لسانه أو لم يصححها على الأقل كما يفعل الناس عادةً بشكل تلقائي، لقد تتبعت شخصياً هذه العملية التي تبدو غير ضارة بشعور حقيقي من الإثارة الداخلية، فبالرغم من أنني لم أتمكن من طرح الأسئلة التي اقترحها أسلوب التحليل النفسي على الأستاذ لأسباب

جلية، إلا أنني ما زلت أرى أن زلة لسانه تشكّل دليلاً صارخاً على دقة نظريتك في تحديد هذه زلات اللسان، والتشابهات العميقة، والعلاقات بين زلات اللسان، والنكات.

(30) لقد تعرّض الملازم أول س. النمساوي لزلة لسان وصفها عند عودته إلى الوطن حيث حدثت تحت التأثير المحبط للانطباعات في زمن الحرب: « وُضِعَ 200 ضابط في مساكن ضيقة في فيلا لعدة أشهر عندما كنت أسير حرب في إيطاليا، وتوفي أحد أفراد المجموعة خلال تلك الفترة بسبب الإنفلونزا، شكّلت هذه الحادثة انطباعاً عميقاً حول الحادثة نظراً لظروفنا في ذلك الوقت، ونقص المساعدة الطبية، وعجزنا عن احتمال الوباء، والتعامل معه، كنا قد وضعنا زميلنا الميت في غرفة بالطابق السفلي، عندما خرجت للتجول في المنزل مع صديق في المساء، اعتقد كِلانا أننا نود النظر إلى الجثة. دخلت أولاً إلى القبو، ورأيت مشهداً أثار انزعاجي بشدة حيث لم أكن مستعداً لإيجاد النعش بالقرب من الباب أو لأرى وجه الميت الذي بدا أنه يتحرك بسبب حركة ضوء الشموع في مثل هذه الأماكن الضيقة، ثم واصلنا مسيرتنا تحت تأثير هذه الصورة، وصلنا بعدها إلى مكان مُطلّ على الحديقة المغمورة بضوء القمر، والمرج الأخضر المضاء بسطوع مع مشحات من الضباب وراءه، فأعربتُ عن الفكرة التي أوحى لي بها هذا المنظر، والمتمثلة بتخيّل الجان يرقصون بين أشجار الصنوبر المحيطة بهذا المكان، قمنا بدفن رفيقنا الميت بعد ظهر اليوم التالي، وشعرنا بالمر، والهوان في الطريق من سجننا إلى مقبرة القرية الصغيرة القريبة حيث قرر السكّان المحليون التصرف برعونة، وطفولة، والصراخ علينا، والسخرية منا، وازدرائنا، والهتاف بأعلى أصواتهم منتهزين هذه الفرصة للتعبير صراحة عن مشاعرهم الممزوجة بين الفضول، والكراهية، لقد لازمني شعور بالاستياء، والكراهية في هذا الموقف الذي لم أستطع فيه الدفاع عن نفسي، وبالنفور من هذا السلوك القاسي، وضل هذا الشعور يفترس ذهني حتى المساء، شرعت، وصديقي بالمشي مرة أخرى في نفس الوقت كالיום السابق، واتجهنا نحو الطريق المفروش بالحصى حول الفيلا، وعندما مررنا بالشبكة أمام القبو الذي احتوى الجثة، تغلبت عليّ ذكرى الانطباع الذي تركه المشهد عليّ، عندما وصلنا إلى المكان الذي رأيت منه منظر الحديقة المقمرة، وعلى ضوء القمر نفسه، توقفت، وقلت لرفيقي: «يمكننا أن نجلس هنا في القبر (الجراب - Grab)، أوه لا أعني على العشب (غراس - Gras)، ونغرق (سينك - sink بدلاً من سينج - sing أي نغني) مقطوعة موسيقية في هذا الهواء

الطلق»، أدركت ما قلت فقط عندما حدثت زلة لساني الثانية حيث صححت نفسي في المرة الأولى دون أن أفهم سبب خطئي، بعد التفكير بالأمر، قمت بربط أفكار «الغرق» و «في القبر»، فخطرت في بالي فوراً هذه الصور: الجان يرقصون، ويحومون في ضوء القمر، رفيقنا على نعشه، ووجهه يبدو متحركاً، مشاهد مختلفة من الجنازة، شعوري بالكره، عدم قدرتنا على الحداد، ذكرى بعض الملاحظات حول ظهور الوباء، تعبير العديد من الضباط عن قلقهم، تذكرت لاحقاً أن ذلك اليوم كان ذكرى وفاة والدي، وقد وجدت هذه الذكرى مدهشة لأنني عادة ما أكون سيئاً جداً في تذكر التواريخ، عند التفكير في الأمر لاحقاً، لاحظت تطابق الظروف الخارجية مع بعضها البعض في المساءين حيث يتضمن الموقفين نفس الوقت من اليوم، ونفس الضوء، ونفس المكان، ونفس الرفيق، تذكرت عدم ارتياحي عند مناقشة القلق حول احتمال انتشار الأنفلونزا، ولكنني صممت داخلياً على عدم السماح للخوف بأن يتغلب عليّ، لقد رأيت أيضاً أهمية ترتيب كلماتي في القول إنه يمكن أن نغوص في القبر، وأدركت أن التصحيح غير المؤكد للزلة الأولى («القبر» إلى «العشب») كان السبب الوحيد في حدوث الزلة الثانية (تحويل «الغناء» إلى «غرق») مما يضمن إظهار العقدة المكبوتة إلى العلن أخيراً، سأضيف أنني في ذلك الوقت كنت أعاني من أحلام مُقلقة رأيت فيها مراراً، وتكراراً امرأة من أفراد عائلتي المقربة مريضة، وكانت ميتة في أحد الأحلام، قبل أن أتعرض للأسر سمعت أن الأنفلونزا انتشرت في المكان الذي تعيش فيه قريبتني، وقد أخبرتها بخوفي عليها، ثم ابتعدنا، ولم نتواصل منذ ذلك الحين، سمعت بعد شهور أنها أصيبت بالفعل بالوباء قبل أسبوعين من الحدث الذي وصفته!».«.

31) يساهم المثال الآتي عن زلة اللسان في تسليط الضوء على واحدة من الصراعات المؤلمة التي يتعين دائماً على الأطباء حلها، كان رجل يعاني من مرض مميت، ولم يكن تشخيصه مؤكداً بعد، فجاء إلى فيينا لانتظار النتيجة، وطلب من صديقه أيام الشباب الذي أصبح طبيب معروف بأن يتولى حالته، ووافق الطبيب أخيراً بعد تردد، كان على الرجل المريض أن يبقى في مكان تتوفر فيه المساعدة الطبية، فاقترح الطبيب الذهاب إلى مصحة هيرا، اعترض المريض، وقال: «أوه لا، هذا المصح يستقبل حالات معينة (مستشفى ولادة)»، فأجاب الطبيب: «لا، في الواقع يمكنهم أومبرينجن - umbringen (قتل)، عفواً أعني يمكنهم أونتابرينجن - unterbringen (استقبال) كل أنواع

المرضى في مصحة هيرا»، أضاف الطبيب رافضاً بشدة التفسير الواضح لزلة اللسان هذه: «أنت تعلم بالتأكيد أنني لا أشعر بالعدوانية تجاهك؟»، بعد مرور ربع ساعة، أخبر الطبيب السيدة التي وافقت على رعاية الرجل المريض على انفراد: «لا يمكنني العثور على شيء سيء جداً في حالته، وما زلت لا أعتقد أن حالته ستسوء، لكن إن حدث ذلك فأوصي بجرعة جيدة من المورفين ستجعله يرتاح»، اتضح أن الرجل المريض جعل صديقه يقطع وعداً بأن يخلصه من معاناته بالأدوية حين يتأكد أنه لا يمكنه فعل أي شيء لأجله، لذا تعهد الطبيب فعلياً بقتل (أومبرينجن - umbringen) الرجل المريض.

32) يجدر بي إدراج المثال الآتي على زلة لسان بالرغم من حدوثها منذ حوالي 20 عاماً وفقاً للسيدة التي أخبرتني بالقصة، قالت سيدة ذات مرة بصحبة آخرين بكلمات نطقها بتأثر، وعاطفية تحت ضغط جميع أنواع المشاعر المخفية: «أوه، نعم، يجب أن تكون المرأة جميلة لإرضاء الرجال، بينما يكون الأمر أسهل بكثير بالنسبة للرجل، فطالما لديه خمسة أطراف مستقيمة هذا كل ما يحتاجه!»، يقدم هذا المثال نظرة ثاقبة للآلية العميقة لحدوث زلة اللسان نتيجة للضغط أو تلوث كلمة بأخرى⁴⁰ حيث يبدو جلياً أنها دمجت تعبيرين متشابهين إلى حد ما: (طالما لديه أربعة أطراف مستقيمة، وطالما يستخدم حواسه الخمس)؛ قد تضم كلمة مستقيم العنصر المشترك بين العبارتين: ما دامت أطرافه مستقيمة/ لتكن حواسه الخمسة مستقيمة العدد (أي زوجية)، ويقال بالعامية الألمانية أيضاً (للوصول لنقطة، غض الطرف)، لا يوجد ما يمنع افتراض أن كلا التعبيرين (يعبر أحدهما عن الحواس الخمسة، والآخر عن الأرقام الزوجية) قد يندمجان في جملة واحدة حول الأطراف المستقيمة أولاً ثم الرقم المحير خمسة بدلاً من الأربعة المتوقعة، بالرغم من ذلك كله، لا يمكن أن تكون العبارتين قد اندمجتا ببساطة في حين كانت الجملة الناتجة عن زلة اللسان منطقية تماماً بحد ذاتها، ولها معنى مزدوج (اعتبار كلمة «طرف» تدل على العضو الذكري) لم تستطع المتحدث الاعتراف به صراحةً كونها امرأة، تجدر الإشارة إلى أن صياغة عبارة السيدة تجعلها مزحة ممتازة كزلة لسان مسلية بناءً على قولها ذلك بقصد أو دون قصد، لقد أظهر أسلوبها في هذه الحالة أن عبارتها غير مقصودة، ولم يكن هدفها المزاح والضحك.

قد يصل القرب بين زلة اللسان، والنكته إلى مستويات أبعد كما هو الحال في الحالة الآتية التي وصفها أوتو رانك حيث ضحكت السيدة بنفسها على زلة لسانها في نهاية الأمر:

(33) أخبرني زوج شاب بأن زوجته التي ترغب في الحفاظ على مظهرها الفتى تتردد في السماح له بممارسة الجنس بشكل متكرر، وذكر القصة الآتية التي يجدها، وزوجته مسلية حين يتذكرانها: ذات صباح بعد ليلة تجاهل فيها رغبة زوجته في الامتناع عن ممارسة الجنس، كان يحلق لحيته في غرفة نومهما، واستخدم إسفنجة مسحوق البودرة الموجود على الطاولة بجانب سرير زوجته كما كان يفعل دائماً بينما كانت زوجته لا تزال في السرير، طلبت زوجته التي تهتم ببشرتها كثيراً ألا يفعل ذلك مراراً، فصرخت الآن في حيرة من أمرها: «أوه لا، ها أنت تستخدم إسفنجة البودرة الخاصة بك على بشرتي!» انتبهت الزوجة لزلة لسانها نتيجةً لضحك زوجها (كان قصدها أن تقول «تستخدم إسفنجة البودرة الخاصة بي على بشرتك!»)، وضحكت بدورها؛ (تشير كلمة «استخدام البودرة» إلى تعبير معروف لسكان فيينا، ويعني الجماع، وتشير الإسفنجة إلى العضو الذكري).⁴¹

(34) يمكن الاشتباه بنكته مقصودة في الحالة الآتية التي قدّمها أدولف ستورفر: كان الجميع يحث السيدة س. التي كانت تعاني من مرض له أصل نفسي واضح على استشارة المحلل النفسي ص.، إلا أنها رفضت ذلك باستمرار مشيرةً إلى عدم فائدة هذا العلاج وأن الطبيب أخطأ التشخيص بقوله إن مشكلتها ناتجة عن أسباب جنسية، لقد وافقت أخيراً على أخذ هذه النصيحة، وسألت: «حسناً، متى يُقدّم الدكتور ص. استشارته»، مستخدمةً الصفة أوردينيار - ordinar أي مبتذل بدلاً من الفعل أوردينير - ordinieren أي تقديم استشارة.

تكمن العلاقة بين النكته، وزلة اللسان في حقيقة أن زلة اللسان غالباً ما تكون مجرد اختصار:

(35) تخرجت فتاة من المدرسة، والتحقّت بكلية الطب على الطريقة المعاصرة ولكنها غيرت تخصصها بعد عدة فصول دراسية من الطب إلى الكيمياء؛ وصفت سبب تغييرها بعد مرور عدة سنوات بقولها: «لم أشعر أبداً بالحساسية من التشريح بشكل عام، ولكنني عندما اضطررت إلى إزالة أظافر أصابع الجثة وجدت أنني فقدت حماسي تماماً تجاه الكيمياء».

(36) فيما يلي حالة أخرى لزلة لسان سهلة التفسير، «كان أستاذ التشريح يتحدث عن تجويف الأنف المعروف بأنه موضوع صعب جداً في علم الحشرات، عندما سأل الحضور إن كانوا فهموا شرحه، فأجابوا بـ «نعم»، علق البروفيسور المعروف بثقته المفرطة بنفسه قائلاً: «أشك بأنني أستطيع احتساب عدد الذين يفهمون هذا الموضوع حقاً بإصبع واحد حتى في مدينة يبلغ عدد سكانها الملايين مثل فيينا، أوه عفواً، أقصد على أصابع يد واحدة».

(37) قال أستاذ التشريح ذاته في مناسبة أخرى: «إن دراسة الأعضاء التناسلية الأنثوية، بالرغم من العديد من الإغراءات (فيرسوشونجن - Versuchungen)، أعتذر، أقصد العديد من التجارب (فيروشي - Versuche).....»

(38) أشكر الدكتور ألفريد روبرتسيك من فيينا على لفت انتباهي إلى حالتي زلات لسان لاحظتهما كاتب فرنسي من الماضي، أقتبسها هنا كما كتبها برانتوم في كتابه⁴²:

«أعرف سيدة مجتمع جميلة جداً، وفاضلة كانت تُناقش الحرب خلال هذه الفترة من الاضطرابات المدنية مع أحد رجال البلاط، فأخبرته: «لقد سمعت أن الملك شن هجوماً على كل الك...، أقصد على هذا الجزء من البلد.» لقد كانت تقصد كلمة كل الجسور (بون - ponts) التي تتوافق مع قافية كلمة الأعضاء التناسلية للمرأة (كون - cons) بالفرنسية، لا بد أنها كانت قد غادرت السرير للتو مع زوجها أو تفكر في حبيبها فلا تزال تحمل هذه الكلمة على طرف لسانها، وقد ألهبت الرجل المحترم بحبها».

«كانت سيدة أخرى أعرفها تتحدث مع سيدة برتبة أعلى من مرتبتها حيث أثنت عليها، وعلى جمالها، وانتهت بملاحظة: «لا سيدتي، أنا لا أقول هذه الأشياء لأغويك للزنا (أدلتر ايت - adulterate)»، لقد قصدت أن تقول لأتملق لك (أديولات - adulate)، إلا أن زلة لسانها تشير إلى أنها كانت تفكر في الزنا.

(39) لابد من وجود أمثلة أكثر حداثة للمعاني المزدوجة المتعلقة بالأمور الجنسية، والناشئة عن زلات اللسان: قالت الفتاة س. حول درسها الأول في دورة اللغة التي التحقت بها: «إنه أمر مذهل حقاً، فالمعلم شاب إنجليزي لطيف وفي الدرس الأول أشار لي — دوشي بلوزيه - durch die Bluse (أي من خلال بلوزتي)» ثم صحت نفسها: «أقصد دوشي بلومه - durch die Blume (أي من خلال الزهرة)» حرفياً ولكن المعنى العامية «تلميحات مبطنة» - بأنه يُفضل إعطائي دروس خصوصية» (قدم ستورفر هذا المثال).

ضمن طرق العلاج النفسي التي أستخدمها لمعالجة الأعراض العصبية، وتخفيفها، غالباً ما أضطر إلى تتبع موضوع سلسلة الأفكار من الملاحظات التي يذكرها المرضى كما لو كانت صدفة؛ قد يحاولون إخفاء مثل هذا الموضوع، لكنهم لا يستطيعون منع أنفسهم من الكشف عن دون قصد بطرق مختلفة، تكون زلة اللسان ضمن هذه الظروف مفيدة جداً، ويثبت ذلك في استشهادي ببعض الأمثلة التي تتصف بالغرابة لكنّها مقنعة للغاية، إن مناداة المرضى على سبيل المثال لسيدة ما كبيرة بالسن — «أمي» باستمرار دون ملاحظة زلة اللسان أو وصف امرأة مريضة لزوجها بأنه «شقيقها»، يخبرني بأنهم يُعرّفون هؤلاء الأشخاص بارتباطهم ببعضهم البعض، ويرتبونهم بطريقة تشير إلى تكرار نفس النوع من الشخصيات في حياتهم العاطفية، قدّم شاب يبلغ من العمر 20 عاماً نفسه أمامي عندما جاء للحصول على المشورة الطبية قائلاً: «لقد عالجت فلان، وأنا والده، أوه لا، أنا آسف، لقد قصدت أنني شقيقه، ويكبرني بأربع سنوات»، لقد أدركت أن الهدف من زلة لسانه يتمثل بأخباري أن مرضه، وشقيقه كان خطأ والدهم، وأنه يريد الشفاء مثل أخيه، لكن والدهم من كان بحاجة إلى علاج عاجل، ضمن حالات أخرى، يكون البناء اللفظي غير المعتاد أو الأسلوب المتكلف في التعبير كافياً للكشف عن جزء من فكرة مكبوتة في ملاحظات المريض ذات الدوافع المختلفة.

وعليه، لا أعتقد أن حالات اضطراب الكلام الواضحة أو الخفية التي تُصنف تحت «زلات لسان» ترجع إلى تأثير الاتصال الصوتي بين الكلمات، بل أعتقد بأن هذه القصصات تنبثق من أفكار بعيدة عما ينوي المتحدث قوله لكنّها كافية لشرح زلة اللسان، لا أقصد الإشارة إلى أي شك في تسبب القوانين الصوتية بتأثير الأصوات على بعضها البعض، ولكن لا يبدو لي أنها قوية بما يكفي لتعيق

الكلام الصحيح بتأثيرها فقط حيث ضمن الحالات التي درستها عن كُتب، ويمكنني القول بأنني أفهمها، وجدت أن القوانين الصوتية شكّلت آلية يستخدمها الدافع النفسي البعيد جداً بسهولة دون الالتزام بمجال تأثير تلك الروابط الصوتية.

تحدث زلة اللسان في العديد من البدائل بغض النظر عن القوانين الصوتية، أتفق تماماً مع فيلهلم فونت الذي يفترض أن الظروف التي تنتج زلات اللسان معقدة جداً، وتتجاوز مجرد التفاعل الصوتي بين الكلمات، أتقبل تماماً هذه «التأثيرات النفسية البعيدة»، كما يسميها فونت، لكنني لا أفهم لماذا لا نعترف أيضاً بأن شروط حدوث زلة اللسان عند حديث الشخص بسرعة، وتشتت انتباهه تقتصر على الأمور التي حددها ميرينجر وماير، بالرغم من ذلك، يبدو أن بعض الأمثلة التي جمعها تتضمن أمور أكثر تعقيداً، لנأخذ المثال المذكورة سابقاً⁴³، والذي يتحدث عن العبارة الألمانية: «شعرت بثقلها على صدري»، هل كان ذلك مثلاً بسيطاً على استبدال كلمة «برو - Bru» بكلمة «شويست - Schwest» حيث كان للمقطعين اللفظيين قيمة متساوية كصوت أول؟ لا يمكن إنكار أن صوت شوي - Schwe هنا قد يحل محل Bru بسبب علاقة خاصة لا تتعلق سوى بالأفكار المرتبطة بـ (شويستر - Schwester أي أخت) و(برودر - Bruder أي أخ)، أو وربما برست دي شويستر - Brust der Schwester أي صدر الأخت مما يؤدي إلى سلسلة أفكار أخرى، لقد ساهمت هذه الأفكار غير المرئية وراء الكواليس في منح القوة لكلمة «شوي - Schwe» للظهور كزلة لسان.

قد نفترض في حالات أخرى لزلة اللسان أن العامل المُربك يتمثل في امتلاك الكلمات لصوت مشابه لكلمات أخرى تحمل معاني غير لائقة، إن الهدف الوحيد من التشويه المتعمد للكلمات وتحريف العبارات المنتشر بين أصحاب العقول المبتدلة يتمثل في اعتبار الكلمات البريئة بحد ذاتها إشارة إلى مواضيع محظورة، وينتشر هذا التلاعب بالكلمات لدرجة يصعب معها ظهوره هذه الكلمات بغير قصد، وضد إرادة المتحدث؛ تشمل الأمثلة التي تنتمي إلى هذه الفئة على الكلمات الآتية:

• استبدال الكلمة الألمانية (إويسشيبتشين - Eiweisscheibchen) التي تعني شرائح صغيرة من بياض البيض بكلمة (إيشيسويششين - Eischeissweibchen) لتعني ببيض/غائط/أنثى.

• استبدال الكلمة الألمانية (بروبوز فريتز - propos Fritz) الحديث عن فريتز بكلمة (أوبوس فريتز - Apopos Fritz) لتعني الغائط/المؤخرة.

• استبدال الكلمة الألمانية (لوتس كابيتال - Lotuskapital) التي تعني عاصمة اللوتس بكلمة (لوكوس كابيتال - Lokuskapital) لتعني عاصمة المراهيض.

• تبديل حروف العلة في كلمة نعش المرمم (ألباستير بوخسه - Alabasterbuchse) للقديسة ماري المجدلية لصياغة كلمة (ألباستير باخزيه - Alabüsterbachse) كصياغة جديدة لتوحي بكلمة بوستي - Büste أي حضن.⁴⁴

إن المثال المقتبس أعلاه⁴⁵ عبارة «سأطلب منك التجشؤ بصحة قائداً» بدلاً من «شرب نخب بصحة قائداً»، يشير إلى أكثر من مجرد محاكاة ساخرة غير مقصودة تحمل الصدى الصوتي لما قصد المتحدث قوله، ولو كنتُ مكان الرجل الذي استُخدمت هذه العبارة لتكريمه، لربما فكرت في مدى حكمة الرومان حيث يسمحون للجنود العاديين خلال احتفال الإمبراطور بالانتصار بالتعبير عن تحفظاتهم الخاصة تجاه الرجل العظيم في الأغاني الساخرة، يخبرنا ميرينجر⁴⁶ أنه عند مخاطبة الرجل الأكبر سناً في تجمّع معين باللقب الفخري المؤلف (سينيكسل - Senexl) أو (ألتيس سينيكسل - altes Senexl) أي الرجل العجوز حيث تُنتج الكلمة باستخدام الكلمة اليونانية سينيكس - Senex مع إضافة الحرف النمساوي (L)، تعرّض ميرينجر نفسه لزلة لسان حيث شرب نخباً قائلاً «بروست ألتيس سينيكسل - Prost altes Senexl»، يمكننا أن نتقهم سبب هذه الزلة إذا تذكرنا مدى قرب كلمة «ألتيس - altes» أي زميل قديم مع نهاية الكلمة النمساوية المستخدمة لإهانة شخص ما عبر مناداته (ألتير إيسل - alter Esel) أي الحمار العجوز. لطالما وجدت موانع ضد عدم إظهار التبجيل لكبار السن (أو اختزالها في أفكار الطفولة، واحترام الأب).

أمل أن يلاحظ القارئ اختلاف القيمة العلمية بين التفسيرات التي ما من دليل يدعمها، وبين الأمثلة التي جمعتها بنفسه، ووضحتها بالتحليل، إلا أنني مازلت أفضل تقديم حالات زلة لسان بسيطة ظاهرياً لكنها تُثبت اشتقاقها من تشويش أو إرباك فكرة قُمعت جزئياً من خارج السياق المقصود، وسأفعل ذلك عبر شرح ملاحظة هامة قدمها ميرينجر، يقول ميرينجر أن لا أحد يحب الاعتراف بزلة اللسان حيث هناك بعض الأشخاص الأذكياء، والصادقين الذين ستتضرر مشاعرهم إذا قيل لهم إنهم ارتكبوا زلة لسان، لن أجرؤ على تطبيق هذه العبارة بشكل عالمي على الجميع بالقول «ألا أحد» يحب ذلك، ولكنني سأشير إلى أهمية العاطفة التي يشعر بها الفرد عندما يواجه من يُشير إلى زلة لسانه، وغالباً ما يكون شعور بالخزي؛ قد يتساوى هذا الشعور مع الشعور بالانزعاج من عدم القدرة على تذكر اسم منسي، والشعور بالمفاجأة من استمرار وجود ذكرى غير هامة مما يشير دائماً إلى وجود سبب ما للإرباك، والتشويش.

يعتبر التشويه المتعمد للأسماء مهيناً، وقد يعتبر كذلك حتى ضمن عدد كبير من حالات التي يظهر فيها أن هذا التشويه مجرد زلة لسان غير مقصودة، فالشخص الذي قال ذات مرة فرويدر بدلاً من فرويد وفقاً لماير⁴⁷ لأنه ذكر اسم بروير قبل ذلك بقليل وقال في مناسبة أخرى نظرية فرويبور-برويدين⁴⁸، كان زميل متخصص في علم النفس ولم يشعر بأي توافق مع هذه النظرية، سأتناول في الفصل الذي يتحدث عن زلة القلم حالة تشويه اسم لا يمكن تفسيرها بأي طريقة أخرى⁴⁹.

ضمن هذه الحالات، يتمثل العامل المُقلق في النقد الذي يُرفض فقط لأن زلة اللسان في تلك اللحظة لا تتوافق مع نية المتحدث، إلا أن الأمر في الواقع على العكس تماماً حيث أن استبدال الأسماء، واستخدام أسماء أخرى، واعتبارها زلة لسان يُشير إلى نوع من الاعتراف بأمور يجب أن تظل مخفية في الوقت الحالي لسبب أو لآخر، يتحدث ساندرو فرينزي عن تجربة مشابهة مر بها في أيام دراسته:

«خلال عامي الأول في المدرسة النحوية، كان عليّ قراءة قصيدة أمام الفصل بأكمله لأول مرة في حياتي، كنتُ مستعداً جيداً لكنني شعرت بالفزع لأن ضحك زملائي في البداية قاطع قراءتي، فوضح

المعلم ردة الفعل الغريبة للزملاء حيث كُنت قد قرأت عنوان القصيدة (من البعيد) بشكل صحيح تماماً؛ لكنني لم أقم بتسمية الشاعر الحقيقي، وقدمت نفسي كمؤلف لها، لقد كان اسم الشاعر ألكسندر (ساندور) بيتوفي فتسببت حقيقة أن اسمه الأول نفس اسمي بالارتباك، إلا أن السبب الحقيقي يشير إلى التماهيّ القلبي مع هذا الشاعر الشهير، والبطولي في ذلك الوقت، لقد شعرت بحب، واحترام عميق يُحيط بإعجابي الشديد له حتى في ذهني الواعي؛ وعليه، كان هناك عقدة طموح مؤسف وراء زلة لساني.

لقد سمعت عن حالة مماثلة من التماهي في تبديل الأسماء من قبل طبيب شاب قدّم نفسه بتردد، وبوقار إلى البروفيسور فيرتشو الشهير في عبارة: مرحباً، أنا دكتور فيرشو، استدار البروفيسور إلى الشاب متفاجئاً، وسأله: «أوه، هل اسمك فيرشو أيضاً؟»، لا أعرف كيف برر الشاب الطموح زلة اللسان هذه لنفسه، إن كان استخدم العذر الجذاب المتمثل بشعوره بانعدام الأهمية أمام الرجل الذي يحمل الاسم العظيم لدرجة أنه نسي اسمه، أو إن كان لديه الشجاعة الكافية للاعتراف بأمنيته بأن يصبح رجل عظيم مثل فيرشو يوماً ما، وكان واثقاً أن البروفيسور لن يحتقره بسبب ذلك، قد تكون إحدى الفكرتين - أو كليهما في وقت واحد - أحدثت هذا الإرباك لدى الشاب عندما قدم نفسه.

يتوجب عليّ لأسباب شخصية جداً أن أترك السؤال مفتوحاً حول إمكانية تطبيق تفسير مماثل على الحالة الآتية خلال المؤتمر الدولي في أمستردام عام 1907، كانت نظرية الهستيريا التي طرحتها موضوع النقاش، تعرّض أحد أكثر خصومي نشاطاً ضمن خطبته الشديدة ضدي لزلات لسان عديدة ووضع نفسه مكاني، والتحدث كما لو كان باسمي بشكل متكرر، فكان يقول مثلاً: «كما يعلم الجميع، لقد أظهرنا أنا وبروير ...» بينما كان يقصد أن يقول: «بروير وفرويد»، أن اسم هذا الشخص الراض لنظرياتي لا يشبه أسمى بأي شكل من الأشكال، يشير هذا المثال، والعديد من حالات تبديل الأسماء عبر زلة لسان إلى أن هذه الزلات قد تظهر دون أي تشابه صوتي لكلمة ما في حالات معينة، وقد تظهر عبر الروابط المخفية للمحتوى في حالات أخرى.

إن زلة اللسان أو استبدال ملاحظة مقصودة بعكسها ضمن أكثر الحالات أهمية تنتج عن النقد الذاتي، والمقاومة الداخلية لما يقوله المرء، قد نتقاجاً بأن صياغة العبارة تعمل ضد نية المتحدث بحيث تكشف الزلة اللغوية عن عدم صدق داخلي⁵⁰ حيث تصبح زلة اللسان وسيلة تعبير مقلدة بالرغم من تعبيرها في كثير من الأحيان، وباعتراف الجميع عن شيء غير مقصود، ويمكن القول بأنها وسيلة للكشف عن نوايا، ومشاعر الذات دون قصد، يمكن رؤية ذلك في مثال قول الرجل الذي لا يُفضل ما يُمكن وصفه بالجماع العادي في علاقاته مع النساء خلال حديثه عن فتاة مدللة تشتهر بالغنج: «إن كان لديها أي اعتراض عليّ، ستتوقف بسرعة عن كوتيجيه - Koëttieren»، لابد أنه كان يقصد كلمة كويتيجيه - koitieren أي ممارسة الجنس، وقد يُعزى هذا النوع من التعديل إلى تأثير كلمة كوكتيجيه - kokettieren أي الغنج.

أشير هنا إلى مثال آخر: «لقد شعر عمي بالإهانة الشديدة لفترة أشهر لأننا لم نزره مُطلقاً، فانتهزنا الفرصة عندما انتقلنا إلى المنزل، وذهبنا لرؤيته مرة أخرى بعد فترة طويلة، وبدا مسروراً بزيارتنا، وقال عند مغادرتنا بشعور دافئ: «حسنًا، أمل من الآن فصاعدًا أن أراكم بشكل متكرر أقل من ذي قبل» بدلاً من أكثر من ذي قبل.

تتسبب الفرص المواتية التي تقدّمها المادة اللفظية في حدوث زلات اللسان في أحيان كثيرة مع التأثير الأول للإيحاء أو التأثير الهزلي الكامل للنكته.

نأخذ الحالة الأتية التي لاحظها، وقدمها الدكتور ريتلر كمثال: قالت إحدى السيدات أو أرادت أن تقول بإعجاب لأخرى: «أتوقع أنك شذبت هذه القبعة الجديدة بنفسك؟»، لكن بدلاً من كلمة أوفغابيت - aufgeputzt أي تشذيب، قالت كلمة أوفغيباتز - aufgeputzt التي تشابه صوت كلمة باتزغايه - Patzerei أي عمل أخرج. لم تستطع السيدة الاستمرار في مدح القبعة كما أرادت لأن زلة لسانها المؤسفة قد عبّرت عن انتقادها الصامت لتشذيب القبعة على أنه «غير لائق» بشكل واضح، ولن تكون أي عبارات إعجاب تقليدية مُقنعة بعد ذلك.

يرد في المثال الآتي نقد أكثر اعتدالاً؛ ولكنه واضح لا لبس فيه: شعرت سيدة تزور أحد معارفها بنفاد صبرها، وإرهاقها بعد الاستماع إلى الملاحظات المطولة، والمملة للسيدة الأخرى، لكنها تمكنت أخيراً من إنهاء الزيارة، والتعذر للمغادرة إلا أن سيلاً آخر من الكلمات أخرها، بينما كانت السيدة ترافقها في الممر، وأصبح عليها أن تستمر بالاستماع للسيدة، وحتى في طريقها للخروج، فقاطعت السيدة أخيراً: «هل أنت في المنزل في فورزيمر - Vorzimmer (أي الممر)؟»، تنبهت السيدة إلى زلة لسانها من تعبير المرأة الأخرى المفاجئ، لقد سئمت السيدة من الوقوف في الممر لفترة طويلة، وكانت تتوي إنهاء المحادثة بالسؤال: «هل أنت في المنزل فورميتاج - Vormittag (أي في الصباح)؟»، لكنها كشفت دون قصد عن إحساسها بنفاد الصبر بسبب منعها مرة أخرى من المغادرة.

يعتبر المثال التالي الذي سجله الدكتور ماكس غراف بمثابة تحذير لنا للتفكير جيداً قبل أن نتحدث: خلال الاجتماع العام لنقابة الصحفيين في كونكورديا، ألقى عضو شاب مُعَدَم خطاباً حاداً للمعارضة، وخلال ذلك استخدم كلمة (Vorschussmitglieder - فورشوسميتجليدير) بدلاً من كلمة (Vorstandsmitglieder - فورستاندسميتجليدير) التي تعني أعضاء المجلس حيث يعني المقطع الأول في زلة لسانه (فورشوس - Vorschus) «السلفة المالية»، لقد فُوضت اللجنة لمنح القروض وكان المتحدث الشاب قد تقدم بطلب للحصول على قرض.

أظهر مثال استخدام كلمة (Vorschwein - فورشين) بدلاً من (Vorschein - فورشان) مدى سهولة زلة اللسان عندما مواجهة بعض المشاكل لقمع الكلمات غير المحتشمة ثم يبيت المتحدث مشاعره الحقيقية بهذه الطريقة: قرر مصور عدم مناداة المساعدين الذي يتصرفون بطريقة خرقاء بأي ألقاب وقحة تشير إلى الحيوانات، فقال لمتدرب يُفرغ طبق كبير وممتلئ جداً، وأوقع نصف السائل على الأرضية: «أوه، يا إلهي، أفرغ بعضاً منه أولاً»، مُستخدماً كلمة (شوبسن سي schöpsen Sie) أي أفرغ لكنّها تُشير إلى كلمة (شوبسن - Schöps) الكلمة النمساوية التي تعني «الأغنام»، بعد ذلك بفترة وجيزة، عرّضت واحدة من المساعدين عشرات الأطباق القيّمة للخطر بلا مبالاة، وكان يوبخها بشدة فسألها: «هل يجب أن تكوني (هورنفيربرانت - hornverbrannt) أي

ذات عقل متصدع، ولكن تشير هذه الكلمة إلى (هورنوكس - Hornochse) التي تعني حرفياً ثور مقرر، ولكن أحمق بالعامية.

يوضح المثال التالي حالة خطيرة من كشف المتحدث عن مشاعره، وأفكاره الخاصة دون قصد بزلة لسان حيث تبرر الظروف المصاحبة للموقف تذكر الشخص لهذه الزلة، قدم أبراهام بريل هذا المثال في المجلة المركزية للتحليل النفسي السنة الثانية⁵¹، «خرجت أنا، والدكتور فريנק في إحدى الأمسيات للسير على الأقدام وناقشنا العديد من الأمور التي أثّرت في جمعية نيويورك للتحليل النفسي، قابلنا زميلنا الدكتور س. الذي لم أراه منذ سنوات ولم أكن أعرف شيئاً عن حياته الخاصة، كنا سعداء جداً بلقائه، وذهبنا إلى مقهى بناء على اقتراحي حيث أمضينا ساعتين في محادثة مفعمة بالحماس، وبدا لي أنه يعرف الكثير عني؛ فسأل عن حال طفلي الصغير، وأخبرني أنه كان يسمع أخباري بين الحين، والآخر من صديق مشترك، وأنه قرأ عن أنشطتي في المجالات الطبية، وكانت مثيرة للاهتمام بالنسبة له، عندما سألته إن كان متزوج، قال: «لا، لماذا قد يتزوج شخص مثلي؟» عند مغادرته المقهى التفت إلي فجأة، وقال: «أتساءل ماذا ستفعل لو كنت في هذا الموقف، لقد تورطت ممرضة في حالة طلاق زوجين بعلاقتها مع الزوج حيث قاضت الزوجة زوجها، وطلبت شهادة الممرضة بصفقتها شريك للمدعى عليه الزوج، ومن ثم حصل الزوج على الطلاق⁵²»، قاطعته هنا: «تقصد أن الزوجة حصلت على الطلاق»، صحح نفسه على الفور، وقال: «نعم بالطبع، لقد حصلت الزوجة على الطلاق»، وأكمل الحديث عن الممرضة التي استاءت جداً من القضية، والفضيحة بشكل عام حتى أنها بدأت بشرب الكحول، ودخلت حالة عصبية شديدة، وأراد نصيحتي حول كيفية معاملتها، لقد طلبت منه أن يشرح زلة لسانه بعد أن صحح خطأه، وتلقيت إجابات اعتيادية تعبر عن تقاعبه: لكل شخص الحق في زلة لسان بين الحين، والآخر وهذه مجرد صدفة، وما من شيء وراء ذلك، وغيرها من العبارات، فأجبت أنه كل زلة لسان تحدث لسبب ما، وأنني أميل إلى الاعتقاد بأنه شخصياً صاحب هذه القصة حيث لم يخبرني بأنه غير متزوج، وأن زلة لسانه تشرح رغبته وأمنيته بخسارة زوجته للقضية بدلاً منه كان حينها لن يضطر إلى دفع النفقة، ويمكنه الزواج مرة أخرى هنا في نيويورك (بما يتماشى مع قوانيننا المتعلقة بالزواج) ، لقد نفى بشدة أن يكون في افتراضاتي أي شيء من الصحة، لكنّه أكّدها برد فعله الانفعالي القوي حيث أظهر علامات واضحة على الانفعال،

واتبعها بالضحك، عندما طلبت منه أن يخبرني بالحقيقة لغايات البحث العلمي، أجاب: «حسنًا، إن كنت لا تريد سماع الأكاذيب فعليك ببساطة تصديق كلامي لأنني أعزب، وتفسيرك التحليلي خاطئ تمامًا»، وأضاف أن رجلاً مثلي يدرس كل التفاصيل الدقيقة للأمور يُعتبر خطيرًا بشكل إيجابي، ثم تذكر فجأة موعدًا آخر، وغادر؛ لقد اقتنعنا أنا، والدكتور فرينك بالرغم من ذلك بأنني وجدت تفسيرًا لزلة لسانه، وقررت إثبات ذلك أو دحضه بالاستفسار حول الأمر فزرت بعد بضعة أيام أحد الجيران وهو صديق قديم للدكتور س. ، وأكد بدوره صحة افتراضاتي جميعها حيث عُقدت جلسة استماع القضية قبل بضعة أسابيع، وطلب من الممرضة الشهادة بصفتها شريك للمُدعى عليه، لقد بات الدكتور س. مقتنعًا تمامًا بأن النظرية الكامنة وراء آليات فرويد صحيحة بالكامل».

تشير الحالة الأتية التي قدّمها الدكتور أوتو رانك إلى زلة لسان أخرى تفصح صاحبها بشكل ذاتي بنفس الدرجة: لا يمتلك أحد الآباء أي مشاعر وطنية على الإطلاق، وأراد تربية أبنائه بعيداً عن هذه المشاعر غير الضرورية بالنسبة له، لقد أنبّ هذا الأب ابنه لمشاركته في مسيرة وطنية ورجح تجنيده في القضية إلى سلوك مماثل قام به عمه، وقال: «ما من سبب يجعلك تقلّده من بين كل الناس فهو أحق»، إن تعبير المفاجأة على وجوه الأبناء بسبب النبوة غير الاعتيادية التي تبنّاها الوالد جعله يدرك زلة لسانه؛ فأضاف معذراً: «بالطبع، قصدت أن أقول إنه وطني» (يتشابه لفظ الكلمتين إيديوت - idiot أي أحمق وبيترىوت - Patriot أي وطني بالألمانية، والإنجليزية).

لقد ارتكبت المرأة التي ذُكرت في محادثة يوهانس شتارك⁵³ زلة لسان يمكن تفسيرها بأنها فضحية ذاتية، يضيف شتارك تعليقاً وثيق الصلة بالموضوع بالرغم من ذهابه إلى أبعد من التفسير الفعلي. «وافقت طبيبة أسنان على فحص فم شقيقتها للتأكد من صحة التصاق اثنين من ضرسها ببعضهما (أي هل تلمس جوانب الأضراس بعضها بطريقة لا تعلق بها بقايا الطعام؟)، لقد اشتكت الشقيقة من اضطرابها إلى الانتظار طويلاً قبل الفحص، وقالت مازحة: «أجروا على القول إنها الآن تعالج سيدة أخرى، زميلة لها في طب الأسنان، تاركةً شقيقتها تنتظر»، قامت طبيبة الأسنان بفحص شقيقتها، ووجدت ثقباً صغيراً في أحد أضراسها، فقالت: «لم أكن أعرف أن الأمر بهذا السوء، لقد اعتقدت فقط أنه لن يكون لديك كونتانت - Kontant (أي أموال نقدية جاهزة)، أعني لن يكون لديك كونتاكت -

Kontakt (أي التصاق) صحيح بين أسنانك»، صرخت شقيقتها ضاحكة: «أوه، إذن جشعك جعلك تتركين أختك تنتظر وقتاً أطول من مرضاك الذين يدفعون ثمن العلاج؟» (لا ينبغي بالطبع أن أضيف أفكارى الخاصة إلى ذلك أو أن استخلص استنتاجات من زلة اللسان هذه، لكنني بمجرد سماع هذه الزلة تبادر إلى ذهني حقيقة أن هاتين الشابتين المبهجتين، والذكيتين غير متزوجتين، ولا تختلطا بالشباب كثيراً، فأتسأل إن كانتا ستتواصلان أكثر مع الشباب إن كانتا تملكان المزيد من المال)»

تشير زلة اللسان الآتية التي قدمها الدكتور ثيودور ريك⁵⁴ إلى حالة أخرى من حالات زلات اللسان التي تقضح صاحبها: كان يُفترض أن تعقد خطبة فتاة من شاب لا تحبه، فرتب والديها حفلة يحضرها الخطيبان المرتقبان على أمل التقريب بين الشابين، كانت لدى الفتاة ما يكفي من ضبط النفس حتى لا تسمح لخاطبها بالتقرب منها حتى أنه انتبه لطريقتها، ورأى عدم اهتمامها به، عندما سألتها والدتها إن كان الشاب يعجبها، أجابت بأدب: «أوه نعم، إنه حقاً ليينسويدريج - liebenswidrig (أي عدو للحب)» بدلاً من أن تقول إنه ليينسورديج - liebenswürdig (أي ساحر ويستحق الحب).

ينطبق الأمر نفسه على حالة أخرى يصفها أوتو رانك بأنها «زلة لسان هزلية»، لقد روى شاب الحكاية التالية لامرأة متزوجة تُحب القصص الجيدة، وقيل إنها قد تميل إلى الاستمتاع خارج إطار الزواج إن جاء شخص ما بهدايا مناسبة، ويسعى لعلاقة حميمة معها، كان أحد معارفه في العمل يحاول الفوز بعلاقة حميمة مع زوجة زميله المنعزلة إلى حد ما، ووافقت أخيراً على منحه نفسها مقابل هدية تبلغ ألف غولدن⁵⁵، عندما كان زوجها على وشك الرحيل اقترض زميله منه ألف غولدن، ووعدته بإعادتها إلى زوجته في اليوم التالي، أعطى الزميل هذا المبلغ للزوجة مقابل حبها بحسب زعمه، واعتقدت أن زوجها اكتشف كل شيء حين عاد إلى المنزل، وطلب الألف غولدن مما زاد الطين بلة، عندما وصل الشاب الذي يروي هذه الحكاية إلى النقطة التي أخبر فيها الزميل الذي يحاول إغواء الزوجة زميله: «سأعيد المال إلى زوجتك غداً»، قاطعته السيدة بملاحظة هامة جداً: «لكن ألم تعيدها لي بالفعل؟ أوه، أنا آسف، أقصد ألم تخبرني بهذه القصة بالفعل؟» لم يكن بوسعها الكشف عن رغبتها في تسليم نفسها للشباب الذي يروي القصة بشكل أوضح دون أن تقول ذلك بشكل صريح⁵⁶.

لقد روى فيكتور توسك حالة أخرى كمثال جيد على فضح الذات، ولكن دون أذى تحت عنوان: إيمان آبائنا:

قال السيد س.: «بما أن خطيبتى مسيحية، ولم ترغب في التحول إلى اليهودية، اضطررت إلى التحول من اليهودية إلى المسيحية من أجل الزواج، لقد غيرت ديني مع بعض التردد الداخلي؛ لكن بدالي أن الهدف يبرر اعتناقي لدين آخر لا سيما أنني لم أكن يهوديًا ملتزمًا، ولست بحاجة إلى التخلي عن أي قناعة دينية، ولم يكن لدي أي اعتقاد ديني، إلا أنني لطالما اعترفت بيهوديتي بعد ذلك، وقليل من معارفي فقط يعرفون أنني تعمدت كمسيحي، لقد تعمّد أبنائي الاثنان من هذا الزواج كمسيحيين، وأخبرتاهما عن أصلهما اليهودي عندما بلغا السن المناسب حتى لا ينقلبوا على والدهما إن تعرضوا لتأثير معادة السامية في المدرسة، قبل بضع سنوات، كنتُ أنا، وأبنائي الذي كانوا حينها في المدرسة الابتدائية نقضي عطلتنا الصيفية مع مُدرّس، وعائلته؛ أثناء تناول وجبة خفيفة مع مضيفينا الودودين، كانت سيدة المنزل التي لا تعرف شيئًا عن النسب اليهودي لضيوفها تُقدّم بعض الملاحظات المهينة، وغير اللطيفة عن اليهود، فوجب عليّ توضيح الحقائق مباشرة، وتقديم مثالًا يحتذى به لأبنائي عبر شجاعتي بالتحدث عن قناعاتي، لكنني تراجعت عن الجدل غير السار الذي عادة ما يتبع الكشف عن الحقائق، كما كنت أخشى أن نضطر إلى مغادرة مكان الإقامة المريح إن أصبح موقف مضيفينا أقل ودية، لأننا يهود مما سيُفسد عطلتنا التي كانت قصيرة على أي حال، لقد شعرت حينها أن أطفالنا قد يقولون الحقيقة بصراحة، وبحرية مع عواقب وخيمة إن استمروا في الاستماع إلى المحادثة لفترة أطول، ففكرت بأرسالهم إلى الحديقة لإخراجهم من المكان الحالي فقلت: «أذهبوا إلى الحديقة، يا جودن - Juden (أي يا يهود)»، وسرعان ما صحت نفسي، وقلت: «يا جونجن - Jungen (أي يا أولاد)». لقد مكنتني زلة لساني في هذه الحالة من التعبير عن قناعاتي بشكل آخر بعد كل شيء، ولم يتوصل مضيفونا في الواقع إلى أي استنتاجات من زلتي لأنهم اعتقدوا بأنها غير مهمة، لكنني لم أمنع نفسي من التوصل إلى الاستنتاج من زلتي بأننا لا نستطيع إنكار «إيمان آبائنا» دون عقاب خاصة إن كان المرء ابن والده، وأبنائه هم أولاده.⁵⁷

لم تكن الحالة الآتية لزلة لسان غير ضارة بأي حال من الأحوال، ولم أكن لأتحدث عنها لو لم يسجلها مسؤول المحكمة أثناء المحاكمة المعنية بنفسه: اتُهم جندي برتبة شرطي بالاقتحام، والدخول، وقال خلال شهادته في المحكمة: «عندما حدث ذلك لم يكن قد أُطلق سراحي بعد من الدييستلونج - Dienststellung (أي Diebstellung) (منصب اللص) بدلاً من أن يقول من الدييستلونج - Dienststellung (أي الخدمة العسكرية)، وأكمل: «كنت لا أزال في الجيش في ذلك الوقت»، قد تكون زلة اللسان مسلية عندما تؤكد أمر ما يُنكره المتحدث، ويُرحب بها بحفاوة الطبيب الذي يُطبق أساليب التحليل النفسي.

كنت ذات مرة أفسر حلم أحد مرضاي حيث ظهر في حلمه اسم جونر - Jauner ، وكان يعرف شخصاً بهذا الاسم لكن كان مستحيلاً اكتشاف سبب ظهور هذا الشخص في الحلم، لذا غامرتُ باقتراح أن يكون الاسم جونر - Jaune مشابه لكلمة جاونر - Gauner أي وغد فنفى المريض ذلك بشدة، وعلى الفور، إلا أن زلة لسانه أكدت اقتراحي بنقله لنفس الأحرف الأولى للكلمة، فقد قال: «لا، حقاً، هذا احتمال بعيد جداً» مستخدماً كلمة Jewagt بدلاً من كلمة gewagt أي احتمال بعيد، عندما أشرت إلى زلة لسانه، قال بأن تفسيرى صحيحاً، وقبل به.

قد يتعرض أحد الخصوم في جدال جدّي لزلة لسان تحوّل ما قصد قوله إلى النقيض مما يضعه في موقف غير مواتٍ على الفور، ونادرًا ما يُضَيّع خصمه أي وقت لاستغلال هذه الميزة لصالحه.

يبدو أن الأشخاص عمومًا يفسرون زلات اللسان، وغيرها من الزلات بنفس الطريقة المتبعة في هذا الكتاب، وإن كانوا لا يدعمون أفكارى نظريًا، ويميلون إلى تقبّل زلات اللسان بطريقة ملائمة، إلا أن حالة المرح، والسخرية التي ترافق زلات اللسان في لحظات هامة تتعارض مع ما يُقال بأنه إجماع رأي عام: باعتبار زلة اللسان مجرد ثغرة لغوية لا معنى نفسي لها، لقد حاول الأمير بولو مستشار ألمانيا إنقاذ الموقف من خلال تقديم هذا الادعاء عندما تعرض لزلة لسانه في صياغة خطابه دفاعًا عن القيصر في نوفمبر 1907 حيث حولته هذه الزلة ما أراد قوله إلى النقيض، لقد قال: «فيما يتعلق بالوقت الحاضر المتمثل بالعصر الجديد للقيصر فيلهلم الثاني، لا يسعني سوى تكرار عبارتي قبل عام: لن يكون من الصواب أو العدل القول بأن امبراطورنا كان محاطًا بمجموعة مستشارين

مسؤولين ... (سمع صرخات مدوية: غير مسؤولة!) ... عفواً، بأن امبراطورنا محاط بدائرة من المستشارين غير المسؤولين، اغفروا لي زلة لساني، (ضحك الجميع)؛ لقد حُجب المعنى وراء ملاحظة الأمير بولو إلى حد ما بسبب تراكم السلبيات، وتعاطف الحضور مع المتحدث في وضعه الصعب مما منعهم من استخدام أي زلة لسانه ضده.

واجه رجل آخر الموقف نفسه بعد عام عندما أراد تشجيع جمهوره على التظاهر بلا تحفظ لصالح القيصر، إلا أن زلة لسانه الحادة خلال ذلك كشفت المشاعر الأخرى التي استقرت في صدره الوفي؛ فقال: «لاتمان (أيها الشعب الألماني): إننا نأخذ موقفنا فيما يتعلق بهذا الموضوع من طلبات أصحاب الأعمال في الرايخستاغ، وفقاً لهذه الطلبات، يحق للرايخستاغ تقديم هذا الموضوع إلى القيصر، إننا نعتقد بأن الأفكار، والرغبات الموحدة للشعب الألماني تميل إلى طرح هذا الاعتراض الموحد حول هذه النقطة إذا تمكنا من القيام بذلك في شكل يحترم مشاعر ملكننا، فعلينا فعل ذلك دون العمود الفقري (روكغراتلوس rückgratlos -) (أنتشر الهرج، والمرج لعدة دقائق) أيها السادة، كنت أعني دون تحفظات (روكهالتلوس rückhaltlos -) (مزيد من الضحك)، ودعونا نأمل أن مثل هذا التعبير الصريح عن الرأي العام سيقبله القيصر في هذه الأوقات الصعبة.

لم تتردد مجلة فورورترس - Vorwärts بالعدد الصادر في 12 تشرين الثاني/نوفمبر 1908 أن تشير إلى الأهمية النفسية وراء زلة اللسان هذه: «لم يسبق لأي عضو في البرلمان التعبير عن موقفه تجاه الملك، وتجاه الأغلبية البرلمانية على نحو أكثر دقة من السيد لاتمان المعادي للسامية عندما اعترف لا إرادياً رسمياً، وعاطفياً في اليوم التالي للاستجواب بأنه، وأصدقائه يعتزمون إخبار القيصر بأفكارهم دون العمود الفقري، لقد أغرق الفرع العام بهذه الزلة بقية ملاحظات الرجل البائس، واعتقد بأن عليه تقديم اعتذار صريح يوضح فيه أنه حقاً قصد أن يقول: «دون تحفظات».

ضمن مثال آخر، اكتسبت زلة اللسان طابع النبوءة الغريب: حدثت ضجة ضخمة في عالم المال الدولي في ربيع عام 1923 حول الشاب س. المصرفي حيث كان أحد أحدث المصرفيين الأثرياء الجدد في بلد ما، وحدث أن حصل الأشخاص الأغنى والأصغر سناً على حصة الأغلبية في أسهم أحد

البنوك بعد منافسة قصيرة، ونتيجةً لذلك لم يُعاد انتخاب المدراء السابقين لتلك المؤسسة، والممولين القدامى ضمن اجتماع الجمعية العمومية، وأصبح الشاب س. رئيساً لمجلس إدارة البنك، ضمن كلمة الوداع التي ألقاها عضو مجلس الإدارة الدكتور ص نيابة عن الرئيس الأسبق الذي لم يُعاد انتخابه، لاحظ العديد من الجمهور زلة لسان مؤسفة، ومتكررة من جانب المتحدث حيث ظل يشير إلى الرئيس السابق بأنه الرئيس المحتضر (dahinscheidend - داهينشايدند) بدلاً من الرئيس المتقاعد (ausscheidend - أوشايدند)، لقد توفي الرئيس السابق في واقع الأمر بعد فشل إعادة انتخابه، وذلك بعد أيام قليلة من الاجتماع، إلا أن عمره كان أكثر من ثمانين عامًا في ذلك الوقت! (ستروفر).

نجد مثال جيد على زلة اللسان تعطي معلومات للجمهور، وتكشف عن نوايا المتحدث في الجزء الثاني من مسرحية فالنشتاين (البيكولوجيون، الفصل الأول، المشهد الخامس) حيث يظهر لنا أن فريدرش شيلر قد فهم آلية زلات اللسان، والغرض منها حين استخدمها في هذه المسرحية، كان ماكس بيكولوجميني في المشهد السابق يدعم قضية الدوق بحماس، ويسهب في الحديث عن بركات السلام التي كشفت له في رحلته عندما رافق ابنة فالنشتاين إلى المخيم تاركاً والده، ومبعوث المحكمة كويستبرغ في حالة من الفرع الشديد، يستمر المشهد الخامس على النحو الآتي [الوارد في ترجمة كوليرج]:

- كويستبرغ: يا للحسرة! كيف نتحمل ذلك؟

ما هذا الصديق العظيم! هل نتركه يغرق بعيداً

في هذا الوهم - هل ندعه يذهب بعيداً؟

ألا ننادي عليه فوراً، ألا نفتح

عينيه على الموقف فوراً؟

- أوكتاڤيو (يستعيد نفسه من تفكير عميق): لقد فتح عيني الآن

وأرى أكثر مما يسعدني.

- كويستنبرغ: ما هذا؟

- أوكتافيو

اللجنة على هذه الرحلة!

- كويستنبرغ: لكن لماذا؟ ما هذا؟

- أوكتافيو

تعال، تعال معنا، يا صديقي! يجب أن أتابع

هذا المسار المشؤوم على الفور. عيني

مفتوحتان الآن، ولا بد لي من استخدامها. تعال!

(يسحب كويستنبرغ معه)

- كويستنبرغ: ماذا الآن؟ أين تذهب بعد ذلك؟

- أوكتافيو

إليها.

- كويستنبرغ: إلى

- أوكتافيو (يصيح نفسه):

إلى الدوق! هيا دعنا نذهب، (إلخ).

لقد صُممت زلة اللسان البسيطة هذه («إليها» بدلاً من «إليه») لتخبرنا بأن الأب يفهم الانتماء الحزبي الحالي لابنه بينما يشتكي رجل البلاط كويستبرغ من أنه يتحدث بشكل أغاز.

وجد أوتو رانك مثلاً آخر على الاستخدام الشعري لزلة اللسان في شعر شكسبير أقتبس هنا ملاحظات رانك من المجلة المركزية للتحليل النفسي، العدد الثالث:

تشير زلة اللسان الخفية المستخدمة للغاية الشعرية بذكاء مهني كزلة اللسان التي استخدمها فالنشتاين، ووصفها فرويد إلى أن كُتاب المسرح يفهمون آلية زلة اللسان، ومعناها، ويفترضون بأن الجمهور سيفهمها أيضاً كما يحدث في مسرحية شكسبير تاجر البندقية (الفصل الثالث، المشهد الثاني)، كانت بورتيا التي أجبرتها رغبة والدها في اختيار الزوج بالقرعة محظوظة حتى الآن بالهروب من جميع الخاطبين غير المرغوب بهم عن طريق الصدفة، أما الآن، وقد وجدت شخصاً تحبه (باسانيو) أصبحت تخشى أن يتخذ هو أيضاً الخيار الخاطئ، لقد أرادت إخباره أنه يمكنه الوثوق بحبها برغم ذلك، إلا أن قسمها يمنعها، يُعطيه شكسبير هذا الخطاب الموجه للخاطب الذي تفضله في حالة من الاضطراب الداخلي:

أرجوك أن تتأني، أن تتمهل ليوم أو اثنين،

قبل أن تجازف: بالاختيار الخاطئ،

وأفقدُ أنا رفقتك، لذا انتظر لبرهة.

هناك شيء ما يحدثني (ليس مبعثه الحب)

بأنني لن أفقدك ...

...يمكنني أن أهديك إلى

الخيار السليم، غير أنني أقسمت ألا أفعل،

ولن أفعل أبداً، فقد تخسرني وقد تشتاق إلي

لكن إن فعلت ستجعلني أتمنى لو أنني فعلت خطيئة وحنثت بالقسم،

ويلي من عينيك، فقد قسمتاني لنصفين بنظرة

نصفي الأول لك، والنصف الآخر لك -

كان يجب أن أقول ملكي؛ لكن إن كان ملكي، فهو لك إذن،

وهكذا كليّ ملكك.

يجعل الشاعر زلة لسان بورتيا ببراعة نفسية ملحوظة تكشف عن الشيء الوحيد الذي أرادت أن تتحدث عنه في تلميح بسيط حيث لم يكن عليها أن تذكره على الإطلاق - لقد وقعت في حب باسانيو، واعتبرت نفسها ملكه حتى قبل أن يتخذ باسانيو قراره، يساهم استخدام هذه الزلة في تهدئة انعدام اليقين الذي لا يطاق لدى عشيقها والتشويق الشديد للمشاهد حول نتيجة اختيار باسانيو.

نظراً لاهتمام الكتاب العظماء بأفكاري الخاصة حول زلات اللسان، ودعمهم لها، أعتقد أنه من المبرر تقديم مثال ثالث مقتبس من إدوارد جونز⁵⁸:

لفت أوتو رانك انتباهنا في مقال نُشر مؤخراً إلى مثال جميل على استخدام شكسبير لزلة لسان إحدى شخصياته (بورتيا) لتكشف عن أفكارها السرية للجماهير اليقظة، لذا أقترح هنا أن أشرح مثلاً مشابهاً من رواية الأنا (The Egoist) تحفة أعظم روائي إنجليزي جورج ميريديث، تدور حبكة الرواية باختصار حول السير ويلوبي باترن الأرستقراطي الذي نال إعجاب الجميع في دائرة معارفه،

وخطيبته الأنسة كونستاننيا دورهام، تكتشف خطيبته فيه طبع الأنانية الشديدة الذي يخفيه بمهارة عن العالم فتهرب من الزواج مع الكابتن أكسفورد، بعد بضع سنوات، يخطب باترن الأنسة كلارا ميدلتون، وتصف الرواية بشكل مفصل الصراع الذي ينشأ في ذهنها عندما تكتشف أنانيته أيضًا. تجعلها الظروف الخارجية، ومفهومها للشرف تلتزم بعهدا في حين تكرهه أكثر فأكثر وتسوء صورته في عينيها، وتبنى ثقتها بابن عمه، وسكرتيرته فيرنون ويتفورد - الرجل الذي تزوجته في النهاية - لكنه يبتعد عنها ولأء لباترن.

تتحدث كلارا عن حزنها في مناجاة على النحو الاتي: «أتمنى لو كان هناك رجل نبيل يراني كما أنا، ولا يتوانى عن مساعدتي لأخرج من هذا السجن المليء بالأشواك، وأشجار العليق؛ لا أستطيع أن أشق طريقي نحو الخروج فأنا لست شجاعة، لكن إيماء بسيطة بالأصابع ستقي بالعرض، وسأتغير، وأطير متجاوزة الدماء النازفة، ونعيق الطيور حتى أصل إلى الرفيق... إلى كونستاننيا، والنقي بالجندي؛ لعلها صلت، واستجيبت صلواتها فقد فعلت ذلك أثناء مرضها، يا إلهي كم أحبها لذلك! لقد كان اسمه هاري أكسفورد... لم تتردد، وقطعت الروابط، وقدمت نفسها، أوه أيتها الفتاة الشجاعة ما رأيك بي؟ لكن ليس لدي هاري ويتفورد، أنا وحيدة ... » لقد أدركت فجأة أنها وضعت اسمًا آخر لأكسفورد فأغرقتها المفاجأة باللون القرمزي خجلًا.

إن حقيقة انتهاء اسمي الرجلين بالمقطع (فورد - Ford) جعلتها تخط بينهما بسهولة، وسيعتبر الكثيرون ذلك سببًا مناسبًا لزلة اللسان، إلا أن الدافع الحقيقي الكامن وراء هذه الزلة أوضحه المؤلف بوضوح حيث تحدثت الزلة ذاتها ويتبعها تردد تلقائي، وتغيير مفاجئ للموضوع، الأمر الذي يعتبر مألوفًا في التحليل النفسي، وتجارب الارتباطات الخاصة بيونغ عند لمس عقدة نفسية كامنة نصف واعية، يتحدث السير ويلوبي باترن عن ويتفورد بطريقة أبوية: «ذلك إنذار كاذب، فاتخاذ قرار فعل شيء غير مألوف أبعد ما يكون عن فيرنون العجوز المسكين»، فتدّ كلارا: «لكن إن كان السيد أكسفورد، أعني ويتفورد، يُمثّل رمز البجع ويبحر فوق البحيرة، فما مدى جماله عندما يكون غاضبًا، كنت سأطرح عليك سؤالًا، هل يشعر الرجال الذين يشهدون إعجابًا ملحوظًا بشخص ما بالإحباط بطبيعة الحال؟» ضمن فقرة أخرى، تخون كلارا رغبتها السرية بأن تكون على علاقة أكثر حميمية

مع فيرنون ويتفورد حيث تقول في حديثها إلى صديقها: «أخبر السيد فيرنون، أعني أخبر السيد ويتفورد»⁵⁹.

ستخضع نظرية زلة اللسان المقترحة للدراسة، والتدقيق حتى في أدق تفاصيلها، لقد تمكنت في كثير من الأحيان من إثبات منطقية الحالات الأقل، والأكثر وضوحاً لهذه الزلات، وأعترف أن نفس النوع من التفسير ينطبق على الأمثلة المفاجئة، كان هناك مريضة تنوي الذهاب برحلة قصيرة إلى بودابست بالرغم من نصيحتي لها بعدم الذهاب، لذا بررت نفسها بالقول إنها ستذهب لمدة ثلاثة أيام فقط، لكنها وقعت بزلة لسان، وقالت: «لمدة ثلاثة أسابيع فقط» مما يدل على تحديها لرغباتي حيث كانت تفضل قضاء ثلاثة أسابيع بدلاً من ثلاثة أيام في صحبة مجموعة أعتبرها أنا غير مناسبة.

كان عليّ ذات مساء الاعتذار عن فشلي في مقابلة زوجتي عند خروجها من المسرح، فقلت: «لكنني كنتُ هناك في العاشرة وعشرة دقائق»، فصححتني: «تقصد في العاشرة إلا عشرة دقائق»، لقد قصدت قول العاشرة إلا عشرة فلم يكن بإمكانني التعذر بالوصول متأخر بعد العاشرة حيث قيل لي أن ملصقات إعلان المسرحية توضح أن الأداء ينتهي قبل العاشرة، عندما وصلت إلى المسرح وجدت الردهة مظلمة، والمبنى فارغاً، لقد انتهى العرض بالفعل، ولم تنتظر زوجتي للوصول، وعندما نظرت إلى ساعتي كانت الساعة العاشرة إلا خمسة دقائق، لقد قررت برغم ذلك أن أتصرف بطريقة جيدة بشأن هذه المسألة عندما أصل إلى المنزل، وأقول إنني وصلت بينما كان هناك عشر دقائق متبقية قبل الساعة العاشرة، لقد أحبطت زلة لساني نواياي لسوء الحظ، وكشفت عن خداعي بجعلي أعترف بأكثر مما أحتاج حقاً للاعتراف به.

يقودنا ذلك إلى اضطرابات الكلام التي لا يمكن تسميتها ب زلة لسان لأنها لا تؤثر فقط على كلمة واحدة بل على إيقاع، وطريقة إلقاء الكلام بشكل عام مثل التأتأة، والتلعثم عند الشعور بالحرَج، إلا أن اضطراب الكلام في كلتا الحالتين يكشف عن صراع داخلي، لا أعتقد حقاً أن شخص ما قد يتعرض لزلة لسان أمام جمهور من العائلة المالكة أو عند الاهتمام بالحبیب أو ضمن خطاب ألقاه دفاعاً عن اسمه، وشرفه أمام هيئة محلفين، أي باختصار في كل تلك القضايا التي يكون العقل فيه شديد التركيز

على المسألة المطروحة، يجب علينا عند تقييم أسلوب المؤلف أن نأخذ بعين الاعتبار مبدأ التوضيح الذي لا غنى عنه في تعقب أصل زلات اللسان المختلفة - وعادة ما نفعل ذلك، يدل أسلوب الكتابة الواضح بشكل لا لبس فيه على ارتياح المؤلف، بينما يؤدي إيجاد تعبيرات قسرية ملتوية تميل لأكثر من اتجاه إلى إدراك الدور الذي تلعبه سلسلة الأفكار المعقدة أو سماع أو الصوت المكبوت لانتقاد المؤلف لنفسه بنفسه⁶⁰.

أخذ الأصدقاء، والزملاء الأجانب منذ نشر الطبعة الأولى لهذا الكتاب لأول مرة يدرسون زلات اللسان التي يمكن ملاحظتها في لغات بلدانهم، وتمكنوا من اكتشاف أن قوانين زلات اللسان مستقلة عن المادة اللغوية نفسها، وفسروا هذه الزلات بنفس الطريقة التي وضحت بها الزلات التي قدمها المتحدثون الأصليون للألمانية في هذا الكتاب، سأذكر هنا مثالاً واحداً فقط من بين عدد لا يحصى من الأمثلة:

كتب الدكتور أبراهام بريل (نيويورك) عن نفسه: «لقد وصف لي أحد الأصدقاء مريضاً مصاب بالعصاب، وسأل إن كان بإمكانني مساعدته، فقلت أعتقد بأنه يمكنني إزالة جميع أعراضه بمرور الوقت باستخدام التحليل النفسي لأنها حالة دائمة (دورابيل - durable) بدلاً من أن أقول حالة قابلة للشفاء (كيورابيل - curable)!⁶¹.

أود أن أضيف مثالاً أخيراً للقراء الذين لا ينقصهم التركيز، ولا يعتبرون التحليل النفسي موضوعاً غريباً حيث يوضح هذا المثال كيف يمكن للسعي وراء زلة اللسان أن يقودنا إلى الأعماق النفسية للأشخاص.

كتب الدكتور لودفيج جيكلز: «لقد خاطبتني سيدة أعرفها باللغة البولندية في الحادي عشر من ديسمبر بشكل متعجرف، وطلبت: «أخبرني الآن لماذا قلت أنا أن لدي اثني عشر إصبعاً اليوم!» فطلبت منها أن توضح الأمر، فوصفت الظروف التي أدلت فيها هذه الملاحظة، كانت هذه السيدة، وابنتها تستعدان للخروج من أجل واجب اجتماعي فطلبت من ابنتها أن تُغيّر الكنزة التي ترتديها، وقد

كانت الأم في حالة خرف عقلي في ذلك الوقت، ففعلت الفتاة ذلك في الغرفة المجاورة، وعندما عادت الابنة وجدت والدتها مشغولة بتنظيف أظافرها، ودارت المحادثة الآتية:

الابنة: أوه، انظري، أنا جاهزة، ولكنك لست جاهزة بعد!

الأم: حسناً، لديك كنزة واحدة ولدي اثنا عشر أظفراً.

الابنة: ماذا؟

الأم (بفارغ الصبر): حسناً بالطبع؛ لدي اثنا عشر أصبع، أليس كذلك؟

«عندما سألتها زميلة تستمع إلى هذه القصة عما ارتبط بالرقم 12، أجابت السيدة بشكل سريع وحاسم: «يشير اليوم الثاني عشر من الشهر إلى أي شيء مميز بالنسبة لي»، وبعد لحظة من التردد ربطت أصابعها بالذكريات الآتية: «يميل أفراد عائلة زوجي إلى الولادة بستة أصابع في أقدامهم»، (لا يوجد كلمتين منفصلتين في اللغة البولندية لكلمة «أصابع اليد»، و«أصابع القدم»)، «لذا عند ولادة أطفالنا، خضعوا للفحص للتأكد من وجود ستة أصابع، لكن لأسباب غريبة لم نتمكن من متابعة الفحص في ذلك المساء».

زارتني هذه السيدة في صباح اليوم التالي الموافق الثاني عشر من ديسمبر، وأخبرتني باضطراب واضح: «هل تصدق ما حدث! لقد كنت على مدار العشرين عاماً الماضية أرسل بأطيب تمنياتي لعم زوجي المُسن بعيد ميلاده الذي يصادف اليوم، وكنت أكتب له دائماً في الحادي عشر من الشهر، لكنني نسيت أن أرسل له هذا العام، وكان عليّ أن أرسل له برقية بدلاً من ذلك»، ذكرت نفسي، والسيدة بردها الحازم على سؤال زميلتي حول الرقم اثني عشر الذي يُفترض أن يذكرها بعيد ميلاد عم زوجها بأن قلت: «إذن الرقم اثني عشر كتاريخ لا يعني شيئاً خاصاً بالنسبة لها»، فقالت إن عم زوجها ثرياً، وأنها دائماً تنتظر إرث ما منه، الأمر الذي يعتبر عامل مهم في وضعها المالي الصعب حالياً، لذا لا بد أن هذا العم أو بالأحرى وفاته خطرت بذهنها مباشرة عندما أخبرتها صديقتها حول

ثروتها من البطاقات قبل بضعة أيام وقالت إنها ستحصل على قدر كبير من المال، لقد أذهلتها حقيقة أن هذا العم هو الشخص الوحيد الذي يمكن أن ترث منه المال وأطفالها، وذكرها المشهد فوراً بأن زوجة العم نفسها وعدت ذات مرة بذكر أطفال السيدة في وصيتها، إلا أن زوجة العم ماتت بلا وصية لكنها ربما أعطت زوجها تعليمات بشأن الإرث، لا بد أن رغبة السيدة في وفاة عم زوجها كانت قوية جداً لأنها أخبرت صديقتها التي تحدثت عن الثروة: «أوه، يمكنك حقاً إغراء شخص ما ليخرج، ويقتل شخص ما!» خلال الأيام الأربعة أو الخمسة التي تفصل بين حديث الصديقة عن الثروة، وعيد ميلاد العم، استمرت السيدة في الاطلاع على إعلانات الوفاة في الصحف المنشورة في المنطقة التي يعيش فيها، لا عجب إذن أن عقلها كبت تاريخ عيد ميلاده القادم فقد كانت تتمنى موته بهذه الشدة، مما دفعها إلى نسيان مناسبة احتفلت بها لسنوات حتى أنها لم تدرك الأمر حين سألتها زميلتي، لقد ظهر الرقم المكبوت «اثني عشر إصبعاً» في زلة اللسان ولعب دوراً في حدوثها، وأقول «لعب دوراً» لأن الرابط العجيب الذي أنتجه عقلها لـ «الأصابع» يُمكننا من تخمين الدوافع الأخرى مما يوضح سبب تحريف الرقم 12 للعبارة الاعتيادية حول امتلاك عشرة أصابع.

لقد كانت سلسلة الأفكار كالاتي: «لقد وُلد بعض الأطفال في أسرة زوجي بستة أصابع في أقدامهم، يعتبر امتلاك ستة أصابع في اليدين أو القدمين علامة على وجود أمر غير طبيعي؛ وبالتالي ستة أصابع تعني طفلاً غير طبيعي، واثني عشر إصبعاً تعني طفلين غير طبيعيين وكانت هذه حالة السيدة بالفعل، لقد تزوجت هذه السيدة في سن صغيرة جداً، وكان يُنظر لزوجها بأنه غريب الأطوار، وغير طبيعي، وانتحر بعد فترة وجيزة من الحياة الزوجية تاركاً لها طفلين شخصهما الأطباء على أنهما غير طبيعيين، ولديهما إعاقة شديدة موروثية من جانب أسرة والدهم، كانت الابنة الكبرى قد عادت إلى المنزل مؤخراً بعد تعرضها لنوبات مرض الجامود، وبعد ذلك بوقت قصير أصيبت الابنة الصغرى التي وصلت سن البلوغ بمرض عُصاب شديد، بما أن الحالة غير الطبيعية للأطفال ارتبطت برغبة أمهم في موت العم، واندمجت بهذا العنصر الأكثر قمعاً، والأقوى نفسياً، يمكن افتراض أن العامل الثاني الذي تسبب بزلة اللسان كان رغبتها في موت أطفالها غير الطبيعيين.

تشير الأهمية المهيمنة للعدد اثني عشر كتعبير عن رغبة في الموت إلى الارتباط الوثيق بين عيد ميلاد العم، وفكرة الموت في ذهن السيدة حيث انتحر زوجها في اليوم الثالث عشر من الشهر أي بعد يوم واحد من عيد ميلاد العم، وكانت زوجة العم قد أخبرت الأرملة الشابة: «لقد كان بالأمس يرسل التمنيات الطيبة، والحنونة بعيد ميلاد - والآن توفي!» أضيف هنا أن لدى السيدة أسباب حقيقية كافية لتتمنى موت أطفالها، فلم يمنحوها أي فرح، وأغدقوها بالأحزان وحدوا حريتها في العمل، وقد تخلت عن أي فكرة عن السعادة في الحب من أجلهم، لقد كانت حريصة جداً كالعادة على عدم إغصاب ابنتها التي تصحبها معها للزيارة، ويمكن تخيل مقدار الصبر، وإنكار الذات الذي تتطوي عليه حالة شخص ما مصاب بالخرف المزمن، وكيفية قمعه للعديد من المشاعر الغاضبة.

بناء على ما تقدّم، يكون المعنى الكامل لزلة اللسان كما يلي: «أتمنى أن يموت عم زوجي وأتمنى أن يموت أطفالتي غير الطبيعيين (جميع أفراد الأسرة غير الطبيعية إن جاز التعبير)، وأتمنى أن أتمكن من الحصول على بعض المال منهم».

أعتقد برأي أن لهذه الزلة بنية غير عادية من عدة جوانب:

(أ) وجود اثنين من المحددات المكبوتة في عنصر واحد.

(ب) حقيقة انعكاس وجود المحددات في ازدواجية زلة اللسان (اثني عشر أظفراً، اثنا عشر إصبعاً).

(ج) الحقيقة المذهلة بأن معنى واحد للعدد اثني عشر (الأصابع الاثني عشر التي تعبر عن الحالة غير الطبيعية للأطفال) يُمثل تصوير غير مباشر؛ حيث يتمثل خلل نفسي بخلل جسدي، ويظهر الجزء العلوي من الجسم من خلال الجزء السفلي منه⁶².



الفصل السادس: زلات القراءة وزلات القلم

تتطبق الآراء، والملاحظات الخاصة بزلات اللسان على الأخطاء في القراءة، والكتابة، وذلك أمراً طبيعياً نظراً إلى العلاقة الوثيقة بين تلك الوظائف، لذا سأقتصر هنا على سرد بعض الأمثلة التي خضعت للتحليل الدقيق بدلاً من محاولة وصف هذه الظواهر في مجملها.

أولاً: زلات القراءة

1. كنت أتصفح في نسخة من مجلة لايبزيغ أثناء جلوسي في المقهى ممسكاً بها بزاوية أمامي، وقرأت الوصف التوضيحي الموجود أسفل صورة منشورة عبر الصفحة على النحو التالي: «حفل زفاف في دير أوديسي - der Odyssee أي في الأوديسة» لقد لفت انتباهي هذا الوصف فقمت بتعديل زاوية الصفحة مندهشاً، وقرأت بشكل صحيح: «حفل زفاف في دير أوستسي - der Ostsee أي في بحر البلطيق» كيف ارتكبت هذا الخطأ غير المنطقي في قراءة الوصف التوضيحي؟ ذهبت أفكاري في الحال إلى كتاب الدراسات التجريبية للأشياء الموسيقية الخيالية⁶³ لروث، والذي كان يشغل ذهني مؤخراً لأنه يتطرق لأمر مشابه للمشكلات النفسية التي أشعر بالقلق حيالها، لقد قال مؤلف الكتاب أنه سينشر قريباً عملاً بعنوان «التحليل والقوانين الأساسية لظواهر الحلم»، لا عجب أنني كنت قد نشرت للتو تفسيراتي للأحلام، وكنت أتطلع بشوق لقراءة هذا الكتاب، أثناء قراءتي لكتاب روث السابق عن الأشباح الموسيقية، عثرت في بداية قائمة المحتويات على أدلة شاملة تدل على حقيقة أن الخرافات، والأساطير اليونانية القديمة متجذرة أساساً في أشباح النوم، والموسيقى، وظواهر الأحلام، وحالات الهذيان، فبحثت في النص لأعرف إن كان المؤلف يدرك إمكانية إرجاع المشهد الذي يظهر فيه أوديسيوس قبل ناويشكا إلى الحلم الشائع بأن يكون المرء عارياً، لقد لفت أحد أصدقائي انتباهي إلى المقطع الرائع في رواية جرين هنري للكاتب جوتفريد كيلر الذي يشرح هذا الجزء من الأوديسة كنسخة موضوعية عن أحلام بحار يتجول بعيداً عن المنزل، وقد أضفت هذا المرجع إلى دراستي عن الحلم بالتعري في كتابي⁶⁴، لكنني لم أجد شيئاً حول هذا الموضوع في كتاب روث، يبدو جلياً أن أفكار الأولوية احتلت ذهني في هذه الحالة.

2. كيف قرأت في الجريدة ذات يوم عبارة (في حوض حول أوروبا - Im Fass) بدلاً من العبارة الصحيحة (سيرًا على الأقدام حول أوروبا - zu Fuss)؟ لقد استغرق الأمر وقتًا طويلاً للعثور على الإجابة، حيث أشارت أفكارى الأولية إلى أنني كنت أفكر في الحوض الخزفي الذي عاش فيه الفيلسوف ديوجين، وكنت قد قرأت مؤخرًا عن الفن في عصر الإسكندر في عمل يتحدث عن تاريخ الفن، يبدو جلياً أنني كنتُ أفكر بملاحظة الإسكندر الشهيرة: «لو لم أكن ألكساندر، لتمنيت أن أكون ديوجين»، وخطر لي أيضاً ذكرى غامضة لرجل يُدعى هيرمان تسايونج (تسايتونج - Zeitung أي جريدة بالألمانية) كان قد سافر في قفص، لكنني لم أتمكن من ربط الأفكار ببعضها، ولم أتمكن من العثور على أي صفحة في كتاب تاريخ الفن تتحدث عن الملاحظة التي أدهشتني، لم أفكر بالأمر إلا بعد مرور أشهر حيث خطر لي فجأة هذا اللغز بعد أن أخرجته من ذهني وعاد مع الحل، لقد تذكرت تعليقاً في إحدى الصحف على وسائل النقل الغربية التي اختارها بعض الأشخاص للذهاب إلى المعرض العالمي في باريس، وأعتقد أن المقال احتوى على ملاحظة طريفة مفادها أن بعض الأشخاص يعتزمون الجلوس في حوض خزفي، وترك مهمة دحرجتهم إلى باريس لشخص آخر، ودافعهم الوحيد جذب الانتباه عبر هذه المقالب السخيفة، كان هيرمان تسايونج اسم الرجل الذي فكر لأول مرة في طريقة النقل المستحيلة، تذكرتُ بعد ذلك أنني عالجت ذات مرة مريضاً يخاف من قراءة الصحف كرد فعل ضد طموحه المرضي في رؤية اسمه مذكوراً كمشهور، لقد كان الإسكندر المقدوني بالتأكيد أحد أكثر الرجال طموحاً على الإطلاق، وقد اشتكى بالفعل من عدم قدرته على إيجاد هوميروس للاحتفال بأعماله العظيمة، لكن كيف لم أتذكر إسكندر آخر أقرب إليّ كثيراً من المقدوني؟ إن اسم أخي الأصغر إسكندر! لقد تتبعت الآن الفكرة غير المرغوبة التي أردت قمعها فيما يتعلق بذلك الإسكندر، وسبب ظهورها الآن، يعمل أخي كخبير في التعريفات الجمركية، والنقل، وكان سيستقبل ترفيعاً لدرجة بروفيسور في عمله كأستاذ في كلية تجارية. لقد عُرض عليّ الترقية (بيفورديرونغ - Beförderung) ذاتها قبل عدة سنوات لأصبح أستاذ في الجامعة لكن لم يحدث شيء من هذا القبيل، وأعربت والدتي آنذاك عن دهشتها، واستيائها من فكرة أن يصبح ابنها الأصغر أستاذاً قبل أخيه الأكبر، لقد كان هذا الوضع السائد في الوقت الذي لم أجد فيه سبباً لزلتي في القراءة، لكن أخي واجه بعد ذلك صعوبات معينة، وأصبحت فرصته ليكون أستاذاً أقل من فرصتي، وفجأة

أصبح معنى زلة القراءة واضحاً: إن التغيير للأسوأ في فرص أخي للترقية ساهم في إزالة العقبة أمام ذاكرتي، كان الأمر كما لو أنني قرأت عن مواعده في الصحيفة، وأقول لنفسي: كم غريباً أن أفكر في أن شخصاً ما يمكنه الدخول في الصحف (أي بالإعلان عن تعيينه كأستاذ) على شيء غبي جداً (كمهنته)، عثرت بعدها بسهولة على المقطع المتعلق بالفن الهلنستي في عصر الإسكندر، وأدهشني أنني خلال بحثي السابق قد قرأت الصفحة ذاتها عدة مرات، ولكنني تخطيت الجملة في كل مرة كما لو أنني تحت تأثير نوعاً من الهلوسة السلبية، لم يكن المقطع في الواقع يحتوي على أي شيء ينور بصيرتي أو أمر يُشعرني بأنني أفضل نسيانه، وأعتقد أن أعراض عدم قدرتي على العثور عليه في الكتاب هدفت لتضليلي، كان عليّ الاستمرار في سلسلة أفكاري حين ظهرت عقبة في طريق بحثي تمثلت بفكرة ما عن الإسكندر المقدوني حتى أكون محمياً بشكل أفضل من التفكير بأخي أي الإسكندر الآخر، لقد نجحت تلك العقبة في ذلك حيث كرست كل جهودي للبحث عن المقطع الضائع في تاريخ الفن، كان المعنى المزدوج للكلمة الألمانية الترقية (بيفورديرونغ - Beförderung) في هذه الحالة يُشكل جسر الربط بين العقدتين: العقدة غير الهامة التي أشار إليها تقرير الصحيفة، والعقدة الأكثر أهمية، ولكن غير المرغوب بها التي ظهرت فيما كان يجب أن أقرأه، يُظهر هذا المثال صعوبة شرح حوادث زلات القراءة، وضرورة تأجيل إيجاد إجابة للغز في بعض الأحيان إلى وقت أكثر ملاءمة، لكن كلما كان العثور على الإجابة أصعب كلما توقّع المرء أن الفكرة التخريبية بمجرد اكتشافها ستعرض لإدانة العقل الواعي بأنها غريبة، ومتضاربة.

3. تلقيت ذات يوم رسالة من مكان قرب فيينا تحتوي على أخبار سيئة، فنadيت زوجتي على الفور، وطلبت منها التعاطف مع حقيقة أن السيد فيلهلم المسكين (مُستخدماً أداة التعريف المؤنثة) مريضاً جداً لدرجة أن الأطباء فقدوا الأمل بنجاته، لا بد أن شيئاً ما في الكلمات التي أعربت فيها عن أسفي قد بدا خاطئاً لأن زوجتي بدت متشككة بما أقول، وطلبت رؤية الرسالة، وأشارت إلى اعتقادها بأن ما قلته ليس مكتوب في الرسالة فما من أحد يشير إلى الزوجة باسم زوجها الأول، كما أن مُرسل الرسالة يعرف بالطبع الاسم الأول لزوجته السيد فيلهلم، دافعت عن نفسي بإصرار، وأشارت إلى العُرف المعتاد المتمثل في بطاقات الزيارة حيث تسمى المرأة نفسها بالاسم الأول لزوجها - سيدة فيلهلم، كان عليّ أخيراً إخراج الرسالة مرة أخرى، وبالتأكيد قرأنا اسم السيد فيلهلم (بأداة التعريف المذكورة)

بالشكل الصحيح، حتى أن الرسالة قد ذكرت (الدكتور فيلهلم)، الأمر الذي أغفلت قراءته تماماً، تأتي زلة القراءة التي ارتكبتها بمثابة رد فعل متشنج يحاول تحويل الأخبار المحزنة من الزوج إلى الزوجة، إن لقب الدكتور بين الضمير، والاسم لا يتناسب مع إصراري على أن كاتب الرسالة يقصد الزوجة، لذا أغفلته ببساطة أثناء قراءة العبارة، لم يكن سبب زلة القراءة أنني أفضل الزوج على زوجته، ولكن لأن مصير الرجل المسكين أثار قلقي على شخص آخر قريباً مني يُعاني من أحد الأعراض التي يعاني منها الدكتور فيلهلم.

4. أرتكب عادة زلة قراءة متكررة عندما أكون في عطلة، وأتمشى في شوارع المدينة الأجنبية، وغالباً ما تكون مزعجة، ومثير للسخرية حيث أقرأ كل الكلمات التي تظهر في لوحات المحال التجارية على أنها كلمة (تحف)، لا بد أن ذلك يعبر عن اهتماماتي كجامع تحف.

5. كتب يوجين بلولر في كتابه عن (العاطفة، الإيحاء، جنون الارتياب)⁶⁵:

كنت أقرأ ذات مرة فأخبرني عقلي أنني رأيت اسمي تحت سطرين، لدهشتي لم أجد حين دققت النظر سوى كلمة (بلوتكوربيرشين - Blutkörperchen) أي كريات الدم، يمكن القول بأن هذا المثال الأكثر لفتاً للانتباه من بين آلاف المرات التي تعرضت فيها لزلة قراءة في الرؤية المحيطية، والمركزية، كانت المرات الأخرى التي اعتقدت فيها أنني رأيت اسمي تضم كلمات توحى بشبه كبير بينها، وبين اسمي، وغالباً ما تكون جميع أحرف اسمي ظاهرة في مكان ما بالقرب من بعضها قبل ارتكابي لهذه الزلة، أما في هذه الحالة، فيمكن بيان الخطأ، والوهم بسهولة: لقد كنت أقرأ خاتمة بعض الملاحظات حول نوع معين من الأسلوب السيئ الموجود في الأعمال العلمية، ولم أشعر بأنني غير مُلام على ذلك.

6. يقدّم هانس ساكس المثال الآتي:

«لقد مرّ خلال تشكيّله لـ (ستيفلينهايت - Steifleinenheit أي الكتان القاسي) بما يصدم الآخرين.»، لقد لفتت انتباهي كلمة ستيفلينهايت - Steifleinenheit ودققت النظر فيها فوجدت أنها

كانت كلمة ستيلفينهايت - Stilfeinheit أي دقة الأسلوب، وردت هذه العبارة في عمل لمؤلف أحترمه يمتدح فيه مؤرخاً لا أحب أعماله بسبب ميله الشديد إلى تجاهل الأكاديمية الألمانية».

7. يقدم الدكتور مارسيل إيبينشوتز⁶⁶ وصفاً لحالة زلة قراءة حدثت أثناء دراساته اللغوية:

كنت أدرس كتاب الشهداء الذي يضم مجموعة من الأساطير الألمانية العليا في القرون الوسطى حيث عَمِلْتُ على تحريرها تمهيداً لنشرها ضمن سلسلة نصوص القرون الوسطى الألمانية التي نشرتها الأكاديمية البروسية للعلوم، لم يُعرف عن هذا العمل سوى القليل جداً حيث لم يُطبع من قبل، ولم يتوفر عنه سوى مقال نقدي واحد — جيه هاوبت بعنوان «عن كتاب الشهداء الألمان في القرون الوسطى»⁶⁷، لم تكن مقالة هاوبت مبنية على مخطوطة قديمة بل على نسخة حديثة من القرن التاسع عشر للمخطوطة الرئيسية المحفوظة في مكتبة المحكمة تحت اسم (مخطوط ج. «من كلوسترنوبرغ»)، تختتم هذه النسخة من المخطوط بالفقرة الأتية موضحة المصدر:

«لقد بدأت، أنا هارتمان كراسنا، هذا الكتاب في العام MDCCCL / 1850 عشية عيد الصليب المقدس، وبعون الرب القدير أنهى الكتاب عشية عيد الفصح في السنة التي تليها حيث كنت راهب في كلوسترنوبرغ في ذلك الوقت.»

يقتبس هاوبت هذه الفقرة في مقالته معتقداً بوضوح أنها كُتبت بقلم كاتب المخطوط ج. بنفسه، ويقترح - مع إساءة قراءة الأرقام الرومانية لعام 1850 بشكل متكرر - أن المخطوط ج. كُتب في عام 1350 بالرغم من اقتباسه لفقرة المصدر بدقة، وطُبعت في مقالته بشكل صحيح تماماً (بالأرقام الرومانية MDCCCL).

شكلت مقالة هاوبت بعض الصعوبة بالنسبة لي، فقد كنت أولاً مجرد مبتدئ في العالم الأكاديمي، وملتزماً باحترام قامة هاوبت وضللت لفترة طويلة أقرأ الرقم 1850 كـ 1350 ضمن فقرة المصدر الدقيقة، والمطبوعة أمامي بشكل صحيح، إلا أن المخطوطة الرئيسية ج. التي كنت

أستخدمها لم تتضمن أي إشارة إلى أي فقرة من هذا القبيل، وتبين لاحقاً أنه لم يكن هناك أي راهب يُدعى هارتمان في كلوسترنوبرغ طوال القرن الرابع عشر بأكمله.

عندما تنورت بصيرتي أدركت بالضبط ما حدث، وأكدت الأبحاث افتراضاتي: ترد فقرة الإسناد المقتبسة في النسخة التي استخدمها هاوبت فقط، وكان ناسخ المخطوطة الأب هارتمان زيبينغ المولود في كراسنا في مورافيا، وقائد جوقة كلوسترنوبرغ الذي نسخ المخطوطة ج عام 1850 بصفته أمين صندوق الدير قد ذكر نفسه بالطريقة المعتادة في نهاية نسخته، ربما أدت مفردات العصور الوسطى، وقواعد الكتابة القديمة في الفقرة الختامية إلى تعزيز رغبة هاوبت في تقديم أكبر عدد ممكن من التفاصيل حول العمل الذي كان يدرسه، وأن يكون قادر على تأريخ المخطوطة ج. مما أدى إلى تمسكه بالقراءة الخاطئة للتاريخ كأنه 1350 بدلاً من 1850.

8. يشتمل مقال ليشنتبرغ (أفكار، ومفاهيم ذكية والساخرة) على ملاحظات استُتجت بناءً على مشاهدات معينة، ويمكن القول بأنها تلخص للنظرية الكامنة وراء زلات القراءة بشكل كامل: «لقد قرأ كتابات هومر بشكل متكرر حتى أنه غالباً كان يقرأ كلمة (أنجينومين - angenommen أي يفترض) على أنها أجاممنون - Agamemnon».

يتعرض النص المقروء للتعديل في معظم الحالات بحسب استعداد القارئ لرؤية أمر ما في النص يتوقع رؤيته، ويكون ذلك موضوعاً ما يشغل ذهنه في ذلك الوقت، ويساعد النص نفسه في حدوث زلة القراءة عبر وجود بعض التشابه في البنية اللفظية التي يمكن للقارئ تغييرها في عقله، قد يساهم إلقاء نظرة سريعة دون تركيز بعين غير منتبهة في تعزيز احتمالية حدوث هذا الوهم لكنه ليس شرطاً أساسياً بأي حال من الأحوال.

9. أعتقد بأن الحرب التي قَدّمت عدداً من الاهتمامات الهامة والمستمرة قد شجعت على زلات القراءة أكثر من أي نوع آخر، لقد لاحظت الكثير من حالات زلات القراءة، لكني للأسف لم أسجل سوى القليل منها، كنت أقرأ ذات يوم إحدى جرائد منتصف النهار المسائية، وظننت أنني رأيت كلمة مطبوعة بأحرف كبيرة: (Der Friede von Görz - أي السلام في غوريزيا)، لكن ما كان مطبوعاً

فعلاً هو عبارة: (Die Feinde vor Görz - العدو خارج غوريزيا)، يُمكن لرجل له ولدان يقاتلان في حرب غوريزيا أن يخطئ قراءة هذا العنوان بسهولة.

قرأ شخص ما كلمة بروتكارت - Brotkarte أي بطاقة الخبز التموينية القديمة ضمن سياق معين، لكنّه بالقراءة الدقيقة وجد أنها آلتى بروكاتي - alte Brokate أي الديباج القديم، تجدر الإشارة إلى أنه اعتاد التعبير عن امتنانه لسيدة المنزل الذي كان يزوره، ويلقى ترحيباً فيه عبر إحضار بطاقات الخبز التموينية كهدية.

لقد تفاجأ المهندس الذي لم تتجح أجهزته في منع تشكّل الرطوبة داخل نفق قيد الإنشاء عندما رأى إعلاناً يعرض للبيع سلعةً مصنوعة من شوندلير - Schundleder أي جلد رديء الجودة، لم يكن ذلك صحيحاً؛ فالتاجر نادراً ما يكون صادقاً، لقد كان الإعلان حقاً لسلع مصنوعة من شيهوندلير - Seehundleder أي جلد الفقمة.

قد تؤثر مهنة القارئ أو وضعه الحالي على زلة القراءة. لقد تعرّض عالم لغوي على خلاف مع زملائه المتخصصين بشأن أعماله الأخيرة، والرائعة لزلة قراءة فقرأ كلمة (الاستراتيجية اللغوية) على أنها (استراتيجية الشطرنج)، يسير رجل في مدينة غريبة أثناء زيارته لها في رحلة علاجية، وشعر فجأة بحاجته إلى التغوط وقرأ كلمة كلوسيتهوس - Klosetthaus أي مرحاض على لافتة كبيرة فوق الطابق الأول من متجر ضخم فشعر بالارتياح لرؤيتها، وتفاجئ لوجود مرحاض في هذا المكان غير المعتاد، لكنّه لم يكن فرحاً في اللحظة التالية حين أدرك أن اللافتة تقول: كورست هاوس - Korsetthaus أي صانعو مشدات.

10. ضمن حالات أخرى، يكون الدور الذي يلعبه النص نفسه في حدوث زلات القراءة أكثر أهمية، وتأثيراً حيث قد يحتوي النص على شيء ما يرفضه القارئ أو بعض المعلومات أو الافتراضات المؤلمة بالنسبة له، وبالتالي تحدث زلة القراءة لتصحيح هذه المعلومات حتى تتوافق مع رفضه أو أمانياته. يُفترض في هذه الحالة أن النص قُرا بشكل صحيح في البداية ثم رُفض قبل تغييره، إلا أن العقل الواعي لا يبقى على علم بتلك القراءة الأولى، يشير المثال 3 أعلاه إلى هذا النوع من زلات

القراءة، وأضيف هنا مثال آخر موضعي اقتبسه من الدكتور ماكس إيتنغون الذي كان وقتها في المستشفى الميداني في إيجلو⁶⁸:

«كان الملازم س. في مستشفىنا مصاب بعصاب صدمة ما بعد الحرب، وقرأ ذات يوم بصوت عالٍ، وعاطفة واضحة السطر الأخير من المقطع الأخير من قصيدة فيلهلم هيمان⁶⁹ عن الذين سقطوا في سن مبكرة على النحو الآتي:

«أين كُتب إذن أن عليّ من بين الجميع أن أترك، أن يسقط من أجلي شخص آخر؟ أيّ شخص يسقط، يموت من أجلي، هل سأعيش سالمًا؟ لكن لماذا لستُ أنا؟»

بعد أن نبهته إلى زلته بدهشتي، أعاد القراءة بشكل خجول إلى حد ما: «هل سأعيش سالمًا؟ كيف يحدث ذلك؟»

أدين للملازم س. بالعديد من الرؤى التحليلية عن المحتوى النفسي حول عصاب صدمة ما بعد الحرب بالرغم من أن ظروف العمل في مستشفى ميداني يضم العديد من المرضى، وعدد قليل من الأطباء لا تتوافق مع أساليب عملنا، إلا أنني استطعت رؤية ما هو أبعد من الصوت المرعب للقذائف في «أسباب» هذه الحالات.

أظهر المريض نفسه الأعراض التي تُظهر للوهلة الأولى تشابهًا هائلًا مع أعراض الحالات السيئة لعصاب الحرب، وشملت: الرعاش الشديد، والخوف، والميل إلى البكاء، والميل إلى الانخراط في نوبات الغضب المصحوبة بالتعبيرات الحركية المتشنجة، والميل إلى التقيؤ لأدنى سبب.

«كانت الطبيعة النفسية للعرض الأخير (أي الميل إلى التقيؤ) تنثير دهشة الجميع خاصة قدرتها على الاستقادة الجانبية من المرض، حيث كان مجرد ظهور القائد العسكري في جناح المستشفى لزيارة الأفراد في فترة النقاهة، وتقديمه لملاحظة غير رسمية لأحد الأصدقاء (تبدو بخير، لابد أن صحتك

أفضل الآن) كافياً ليتسبب بإحداث هجوم سريع من القىء، «لقد شفيت ... هذا يعني العودة إلى الخطوط الأمامية للحرب ... لماذا يجب عليّ ذلك؟»

11. يقدم الدكتور هانس ساكس سرداً لبعض حالات زلات القراءة الناتجة عن تجربة زمن الحرب: «أخبرني أحد معارفي المقربين بشكل متكرر أنه عندما حان دوره لم يستقد من تدريبه المتخصص الذي انتهى بحمله شهادة دبلوم التي تمكنه من العمل بعيداً عن الخطوط الأمامية للحرب حيث سيلتحق بالخدمة الفعلية، قبل ذلك بوقت قصير، أخبرني بإيجاز شديد دون إبداء أسباب أخرى بأنه أرسل مؤهلاته المتخصصة إلى القسم المناسب، وسيعمل قريباً في الصناعة نتيجةً لذلك، التقيت به في اليوم التالي في مكتب محلي حيث كنت واقفاً أكتب على طاولة المكتب فجاء من خلفي، ووقف لفترة من الوقت يقرأ ما اكتب، ثم قال: «أوه، إن الكلمة في الجزء العلوي هناك (دروكوجين - Druckbogen أي ورقة مطبوعة)؛ كنت قد قرأتها كدروكبيرغر -Drückeberger أي متهرب من العمل⁷⁰».

12. أثناء جلوسي في الترام، كنت أفكر في العديد من أصدقاء الشباب الذين كانوا يتصفون بالحساسية، والضعف، وأصبحوا الآن قادرين على الوقوف في وجه أقصى الظروف التي قد تتسبب بتأثير مدمر عليّ؛ وسط سلسلة الأفكار غير المرغوب بها، وبينما كنا نمرّ أمام لافتة إحدى الشركات، قرأتُ بنصف وعيٍ كلمة مكتوبة بأحرف سوداء كبيرة (إيزون كونستيتيوشين - Eisenkonstitution أي الدستور الحديدي)، أدركت بعد لحظة أن ذلك ليس مناسباً للعلامة التجارية، فنظرت سريعاً إلى الوراء لأرى اللافتة، وتأكدت أن العبارة الصحيحة (إيزون كونستركشن - Eisenkonstruktion أي إنشاءات حديد⁷¹).

13. طبعت الصحف المسائية رسالة من وكالة رويترز الإخبارية تفيد بأن هيوز قد انتخب رئيساً للولايات المتحدة، ثم ثبت لاحقاً أن هذه الرسالة لا أساس لها من الصحة، أعقب هذا الإعلان سيرة ذاتية مختصرة للرئيس المزعوم المنتخب ذكرت أن هيوز درس في جامعة بون، واعتقدت بأنه من الغريب أن ذلك لم يُذكر في أسابيع النقاش الصحفي التي سبقت يوم الانتخابات، أظهرت النظرة

الثانية للتقرير أن الرسالة تشير إلى جامعة براون، ضمن هذه الحالة المدهشة، كان لابد من ممارسة قدر كبير من العنف على الكلمة الحقيقة لأقوم بهذه الزلة، وليس فقط عبر إلقاء نظرة سريعة على تقرير الصحيفة، أعتقد أن الزلة حدثت بشكل أساسي نتيجة اعتقادي بأنه سيكون رائعاً لو كان تعاطف الرئيس الجديد مع قوى أوروبا الوسطى كأساس لعلاقات جيدة في المستقبل مستمداً من أسباب شخصية، وسياسية على حد سواء⁷².

ثانياً: زلات القلم

1. لقد فوجئت بالعثور على زلة قلم في ورقة تحتوي على ملاحظات يومية مختصرة يتعلق معظمها بالأعمال: ضمن مجموعة عبارات مؤرخة بشكل صحيح بشهر سبتمبر، كتبتُ (يوم الخميس، 20 أكتوبر)، لم يكن من الصعب تفسير هذا التوقع على أنه تعبير عن رغبة ما فقد عدتُ قبل أيام قليلة من عطلة، وشعرت بالانتعاش، والاستعداد الكامل للتعامل مع عدد كبير من الحالات الطبية، لكن لم يكن لدي الكثير من المرضى المحتملين، عند وصولي إلى المنزل، وجدت رسالة من مريضة تقترح موعداً لزيارتها في 20 أكتوبر، عندما كتبت تاريخ اليوم نفسه من شهر سبتمبر، استخدمت شهر أكتوبر بدلاً من ذلك، ربما كنت أفكر: أتمنى لو أن المريضة س. هنا الآن؛ للأسف لن تأتي قبل مرور شهر آخر! وبهذا التفكير توقعت التاريخ، يمكن وصف الفكرة المزعجة بأنها غير مرحب بها إلى حد ما، وهذا ما جعلني أفهم سبب زلة القلم بمجرد ملاحظتها، لقد تعرضت لزلة قلم مماثلة بدوافع مشابهة في خريف العام الذي تلاه، لقد درس إدوارد جونز زلات قلم مماثلة في تسجيل التواريخ، وكان من السهل تحديد دوافع معظم الحالات على أنها دوافع جيدة.

2. استلمت مسودة الطباعة غير المصححة لمشاركتي في التقرير السنوي لطب الأعصاب، وكان عليّ التحقق من أسماء المؤلفين الذين أشرت إليهم بعناية خاصة حيث يتسبب أسماء الأشخاص من الجنسيات المختلفة بقدر كبير من الصعوبة، لقد وجدت بالطبع العديد من الأسماء الأجنبية التي تحتاج إلى تصحيح، لكن كان هناك اسم طراً عليه تغيير بشكل ملحوظ حيث قام المسؤول عن الطباعة بتغيير طريقة الكتابة الموجودة في المخطوط الذي قدمته، وكان مُحققاً بذلك حيث كنت قد كتبتُ اسم

(بكر هارد)، وخمن أنني أقصد (بوركهارد)، كنت قد وصفت في هذه الفقرة أفكار طبيب التوليد عن تأثير الولادة على حالات شلل الأطفال باعتبارها أفكار جيدة جدًا، ولم يكن لدي أي آراء معاكسة لبوركهارد الذي كتب هذه الأفكار لكنه كان يحمل نفس اسم كاتب من فيينا أزعجني بكتابة مراجعة غير مستنيرة لكتابي تفسير الأحلام، يمكن القول بأن كتابة اسم بوركهارد للإشارة إلى طبيب التوليد أثارت لدي أفكار مزعجة عن الرجل الآخر مؤلف المراجعة حيث تدل كتابة الاسم بشكل خاطئ إلى نوع من الإهانة كما ذكرت أعلاه في الفصل المتعلقة بزلالات اللسان⁷³.

3. يرد في الملاحظات الذاتية لـ أدلوف ستروفر ما يدعم هذه النظرية حيث يُحدد المؤلف بصراحة تُحترم الأسباب التي جعلته يتذكر اسم منافس مفترض بشكل غير صحيح ثم يُخطئ في إملائه عندما كتبه:

«رأيت الكتاب الجديد في ديسمبر 1910 (حيث كان جديداً في ذلك الوقت) للدكتور إدوارد هيتشمان عن النظرية الفرويدية للعصاب في نافذة بائع الكتب في زيورخ، كنت في ذلك الوقت أعمل على كتابة محاضرة سأقدمها قريباً إلى مجتمع أكاديمي حول المبادئ الأساسية لعلم النفس الفرويدي، أشرت في مقدمة المحاضرة التي كنت قد كتبتها بالفعل إلى التطور التاريخي لعلم النفس الفرويدي من الدراسات في مجال الطب التطبيقي، والصعوبة الناتجة عن تقديم وصف شامل لتلك المبادئ الأساسية مضيئاً أن هذه الدراسات لم تكن عامة حتى الآن، عندما رأيت الكتاب (للمؤلف لم أكن أعرفه من قبل) في نافذة المتجر لم أكن أنوي شراءه في البداية، ثم قررت شرائه بعد أيام قليلة لكن عندها لم يكن الكتاب في النافذة، أخبرت بائع الكتب بموضوع هذا العمل المنشور مؤخراً، وأعطيته اسم المؤلف الدكتور إدوارد هارتمان، فصح لي بائع الكتب: «أتوقع أنك تعني هيتشمان»، وأحضر لي الكتاب، كان الدافع اللاواعي لهذه الزلة واضحاً فقد كنت أهنئ نفسي إن جاز التعبير على كتابة دراسة للمبادئ الأساسية لنظرية التحليل النفسي، وكان موقفي تجاه كتاب هيتشمان يتمثل بالحدس، والانزعاج؛ لأنه قد ينتقص من مزاياها الخاصة، أخبرت نفسي حينها أن تعديل الاسم عملاً من أعمال اللاوعي وفقاً لعلم النفس المرضي للحياة اليومية [طبعة سابقة]، وكنت راضياً عن هذا التفسير في ذلك الوقت.

دوّنت هذه الزلة بعد بضعة أسابيع، وتساءلت حينها ما الذي جعلني بالضبط أُغيّر اسم إدوارد هيتشمان إلى إدوارد هارتمان، وهل كان ذلك بسبب تشابه اسم هيتشمان مع اسم الفيلسوف المعروف هارتمان، ربطت هذا الأمر إلى حد ما بذكرى أمر ما سمعته ذات مرة من البروفيسور هوغو فون ميتزل في شوبنهاور: «إن إدوارد فون هارتمان النسخة الفاشلة من شوبنهاور - إنه شوبنهاور الذي انقلب رأساً على عقب.» لقد كان الميل العاطفي إلى استبدال بنية الاسم المنسي كآلآتي: «حسناً، لن يكون هناك الكثير من الإضافات في دراسة هيتشمان للموضوع فقد تكون علاقته بفرويد كعلاقة هارتمان بشوبنهاور» لقد دوّنت حالة النسيان المُحددة سابقاً، وأضفت الفكرة البديلة، عثرت بعد ستة أشهر على الورقة التي كتبت عليها هذه الملاحظة، ورأيت أنني كتبت اسم هيتشمان مرتين بدلاً من كتابة هيتشمان مرة واحدة فقط⁷⁴.

4. فيما يلي حالة أكثر خطورة من زلة القلم، وقد أضعها أيضاً تحت عنوان «الأفعال غير المقصودة»: كنت أرغب في سحب مبلغ 300 كرون من بنك ادخار مكتب البريد، وإرسال المال إلى قريب غائب ليستخدمه في العلاج الطبي، عندما ذهبت لفعل ذلك، لاحظت أن حسابي يحتوي على 4380 كرون، وقررت خفضه إلى الرقم المدور 4000 كرون، وترك المبلغ 380 دون تغيير في الوقت الحالي، عندما حررت الشيك بالطريقة المعتادة التي تتضمن قطع الأرقام المطلوبة من الورقة مع كشف الحساب الخاص بي، لاحظت فجأة أنني لم أسحب مبلغ 380 كرون كما أردت، ولكن سحبت مبلغ 438 كرون، وشعرت بالانزعاج لعدم موثوقيتني، أدركت سريعاً أنه ما من داعي للانزعاج فبعد كل شيء لم أصبح أكثر فقراً من ذي قبل، إلا أن الأمر استغرق وقتاً طويلاً حتى أفهم ما الذي جعلني أُغيّر نيتي الأصلية دون إعطاء أي إشعار إلى ذهني الواعي، لقد حددت الأرقام الخاطئة في البداية وحاولت طرح 380 من 438 لكنني لم أستطع تحقيق أي نتيجة، ظهرت لي أخيراً فكرة مفاجئة أظهرت الرابط الحقيقي، فالمبلغ 438 يمثل 10% من رصيد الحساب البالغ 4380 كرون! وقد حصلت على خصم 10% من بائع الكتب، تذكرت حينها أنني قمت قبل أيام قليلة بفرض عدد من الكتب الطبية التي لم تعد تهمني، وعرضتها على بائع كتب مقابل 300 كرونة بالضبط، كان بائع الكتب يعتقد بأن السعر مرتفع جداً فقد قال إنه سيعلمني بإجابته النهائية في غضون الأيام القليلة المقبلة، وفي حال قبوله سيحل هذا المبلغ محل المبلغ الذي سأعطيه لقرابي المريض، لا يمكن إنكار

ندمي على إعطاء هذا المبلغ، وقد تُفهم مشاعري تجاه خطئي باعتبارها قلق من أن أصبح أكثر فقراً بدفع هذه المبالغ، بالرغم من ذلك كله، كان ندمي على التخلي عن المال، والخوف من العوز المرتبط به خارج عقلي الواعي تماماً، ولم أشعر بأي ندم عندما وافقت على دفع هذا المبلغ لقريبي، وكنت سأعتبر هذا الدافع سخيّاً، قد يكون الأمر مرتبطاً بأنني لم أكن أظن أنني قادر على الشعور بهذه الطريقة حيث لم أكن معتاداً على كبت الأفكار في عقلي خلال تجربتي العملية في التحليل النفسي مع مرضاي، ولم يكن لدي حلم في وقت سابق يتطلب تفسيراً مشابهاً.⁷⁵

5. أقتبس الحالة الآتية من فيلهلم ستيكيل، ويمكنني تأكيد صحتها بنفسني: حدثت زلة قلم غير عادية في تحرير مجلة أسبوعية تنتزع على نطاق واسع، فأتهمّت إدارة المجلة علانية بالفساد، وكان لابد من كتابة مقال تفنيد دفاعاً عن الإدارة، فكتبت المقالة بالكثير من الحماس، والعاطفة القوية. قرأ رئيس تحرير المجلة المقال، وقرأه المؤلف عدة مرات في مخطوطته ومسودة الطباعة، وكان الجميع راضين عنها، تحدث المدقق فجأة مُشيراً إلى خطأ بسيط لم ينتبه له الجميع، تقول الصياغة بوضوح: «سُيُدرَك قراءنا جيداً أننا عززنا دائماً الصالح العام بأكثر أسلوب يهتم بالمصلحة الذاتية»، بالطبع كان القصد أن تكون العبارة: «بأكثر أسلوب لا يهتم بالمصلحة الذاتية»، إلا أن الفكر الحقيقي وراء المقالة العاطفية ظهر بقوة في هذا الخطأ.

6. لقد لاحظ أحد قراء صحيفة بيستر لويد اليومية، السيدة كاتا ليفي من بودابست، مؤخراً حالة مماثلة من الصدق غير المقصود في تقرير تلقتَه المجلة من فيينا بالتلغراف في 11 أكتوبر 1918:

بناءً على علاقة الثقة المطلقة التي سادت خلال الحرب بيننا، وبين حلفائنا الألمان، يمكننا افتراض بما لا يدع مجالاً للشك أن القوتين ستتوصلان إلى اتفاق بالإجماع في جميع الحالات، ما من داعي لذكر حقيقة وجود تعاون حيوي، وغير كامل بين الدبلوماسيين المتحالفين.

أصبح الناس بعد بضعة أسابيع فقط قادرين على التعبير عن أنفسهم بحرية أكبر حول «علاقة الثقة» هذه دون الحاجة إلى اللجوء إلى زلات القلم أو الأخطاء المطبعية.

7. انفصل أحد الأمريكيين المقيم في أوروبا عن زوجته بشروط سيئة، وأعتقد أنه ربما يمكنه حل الخلاف وطلب منها عبور المحيط الأطلسي، ومقابلته في موعد معين فكتب لها: «ستكون فكرة جيدة إذا أبحرت على سفينة موريتانيا»، إلا أنه لم يجرؤ على إرسال الورقة التي كتب عليها هذه الجملة مُفضلاً إعادة كتابة الرسالة بأكملها حتى لا تلاحظ التصحيح الذي كان ملزماً بإجرائه على اسم السفينة فقد كان يقصد كتابة «سفينة لوسيتانيا»، لا تحتاج زلة القلم هذه إلى توضيح حيث يمكن تفسيرها بسهولة، ولكن من قبيل الصدفة يمكن إضافة المزيد من التفاصيل إلى هذه الحالة: لقد زارت زوجته أوروبا لأول مرة قبل الحرب بعد وفاة أختها الوحيدة، وإن لم أكن مخطئاً كانت سفينة موريتانيا السفينة الباقية بعد غرق سفينة لوسيتانيا خلال الحرب.

8. قام طبيب بفحص طفل وكتب وصفة طبية تحتوي على كحول حيث ظلت والدته الطفل تزعجه بأسئلة سخيفة، وغير ضرورية أثناء كتابة الوصفة، فقال لنفسه إنه لن يفقد أعصابه، وتمسك بهذا القرار، لكن غضبه تسبب في زلة قلم فاحتوت الوصفة على كلمة الكحول بدلاً من دواء أكهول⁷⁶.

9. بما أن الموضوعات مترابطة، سأضيف هنا قصة يرويها إدوارد جونز عن أبراهام برييل، لم يشرب برييل الكحول يوماً بالطريقة المعتادة، إلا أن أحد الأصدقاء أقنعه بشرب القليل من النبيذ، فجعله الصداع العنيف في صباح اليوم التالي يندم على الموافقة، وعندما اضطر إلى كتابة اسم امرأة مريضة تُدعى إيثيل، كتب إيثيل بدلاً من ذلك⁷⁷، هناك عامل آخر في هذه الحالة يتمثل بأن السيدة نفسها شربت أكثر مما يجب.

بما أن زلة قلم الطبيب عند كتابة وصفة طبية لها عواقب عملية أكثر خطورة من الزلات العادية، سأغتنم هذه الفرصة لتقديم وصف كامل للتحليل الوحيد لهذه الزلة الطبية المنشورة حتى الآن:

10. كتب الدكتور إدوارد هيتشمان عن حالة متكررة لزلة قلم في وصفة طبية: «أخبرني أحد الزملاء أنه ارتكب خطأ عدة مرات على مر السنين في وصف دواء معين للمريضات من سن متقدمة، لقد أخطأ مرتين بكتابة الوصفة حيث وصف عشر أضعاف الجرعة الصحيحة، وعندما أدرك ما فعله فجأة أسرع بإلغاء الوصفة الطبية خشية أن يضر المريض مما قد يضعه في موقف غير جيد أبداً،

يستحق هذا الإجراء العَرَضِي الغريب مزيداً من التوضيح عبر سرد تفاصيل إضافية عن الحالتين، وإجراء تحليل.

ضمن الحالة الأولى، وصف الطبيب لامرأة فقيرة على مشارف التقدّم في السن بعض تحاميل البلادونا بجرعة أقوى بعشر مرات من درجة إمساكها التشنجي، غادر الطبيب بعد ذلك قسم العيادات الخارجية بالمستشفى، وبينما كان يقرأ الصحيفة على الغداء تذكر خطأه فجأة، فسارع بانزعاج شديد إلى قسم العيادات الخارجية لطلب عنوان المريض ثم ذهب مباشرة إلى منزلها الذي كان بعيداً بعض الشيء؛ وجد أن السيدة العجوز لم تكن قد صرفت وصفتها الطبية بعد، وترك منزلها بشعور هائل بالاطمئنان، وبعقل مرتاح، قال لنفسه كعذر، ودون أي تبرير أن رئيس قسم العيادات الخارجية الثرثار كان يراقبه من الخلف أثناء كتابة الوصفة مما أزعجه، ومنعه من التركيز.

ضمن الحالة الثانية، كان على الطبيب الابتعاد عن مريضة تحاول مغالته، وذات مظهر جميل فغادر غرفة الاستشارة لفحص سيدة عجوز، ذهب إلى السيدة العجوز بالسيارة حيث لم يكن لديه متسع من الوقت لهذه الزيارة، وكان عليه أن يلتقي بفتاة صغيرة كان مغرمًا بها بالقرب من منزلها في ساعة معينة، وجد أن السيدة تعاني نفس المشكلة الطبية في الحالة الأولى فوصف تحاميل البلادونا مرة أخرى، وبجرعة أعلى بعشر أضعاف عن طريق الخطأ، قالت المريضة أمراً لا علاقة له بحالتها في الوقت الحالي لكنه هاماً، وبالرغم من أن الطبيب نفى ذلك علناً إلا أنه أظهر نفاذ صبره، وتركها في الوقت المحدد ليلحق مواعده، استيقظ الطبيب الساعة السابعة صباحاً بعد حوالي اثنتي عشرة ساعة، وأدرك بعقله الواعي أنه ارتكب زلة قلم فشعر فوراً بقلق شديد، وسارع إلى إرسال رسالة إلى المريضة أملاً ألا تكون قد صرفت الوصفة الطبية من الصيدلية ليطلب منها إعادة الوصفة لتعديلها، إلا أنه صُدم بأن الوصفة الطبية قد صُرفت فذهب إلى الصيدلية، وأظهر عدم المبالاة أو التأثير، وتصرف بتقاول معين حيث هدأ الصيدلي مخاوفه، وأخبره بأنه وصف جرعة أقل من الوصفة الطبية المحددة (ما لم يكن ذلك خطأ من الصيدلي).

ضمن الحالة الثالثة، كتب الطبيب لخالته (شقيقة والدته) الكبيرة بالسن وصفة طبية لجرعة غير ضارة من خليط صبغة البلاذونا، وصبغة الأفيون، وأخذت الخادمة الوصفة الطبية مباشرة إلى الصيدلية، صدم الطبيب بعد ذلك بوقت قصير أنه كتب كلمة (مستخلص) بدلاً من كلمة (صبغة)، واتصل الصيدلي هاتفياً في اللحظة التالية للاستعلام عن الخطأ، قدّم الطبيب العذر لنفسه دون أن يكون صادق معها بقوله إنه غير مُلام حيث لم ينته من كتابة الوصفة الطبية قبل أن تُنتزع بسرعة غير متوقعة من المكتب الذي كان يجلس عليه.

تتشترك حالات زلة القلم الثلاث بثلاث نقاط بارزة تتمثل بأنها تتعلق بالدواء ذاته، وبأن الدواء وُصف لثلاث إناث متقدمات في السن، وبأن الجرعة الخاطئة قوية جداً، يُظهر التحليل الموجز أن علاقة الطبيب بوالدته هامة جداً في حدوث هذه الزلة حيث تذكر أنه قبل تعرّضه لهذا الموقف قد كتب لوالدته المسنة الوصفة الطبية ذاتها بجرعة 0.03 بالرغم من أنه يصف عادة جرعة 0.02، أملاً بأن يخفف مرضها بشكل جذري، لقد تفاعل جسم والدته الحساس مع الدواء بأن أصابها احتقان، وصداع، وجفاف الحلق بشكل مزعج، فاشتكت تخلط المزح بالجد من مخاطر استشارة الابن في الأمور الطبية، وأشارت، كابنة طبيب، في مناسبات أخرى إلى عدم رغبتها في تناول الأدوية التي أوصى بها ابنها الطبيب مشيرةً إلى تعرضها للتسمم على سبيل الدعابة.

بحسب قدرة الكاتب على الحكم فيما يخص علاقة هذا الابن بوالدته، يمكن القول بأنه يحب والدته حب طبيعي، ولكن لا يُكن لها احترام شخصي، ولا يرى قيمة عظيمة في صفاتها الفكرية، عندما كان يسكن معها، ومع شقيقه الذي يصغره بعام واحد في المنزل نفسه كان يشعر بأن حريته الجنسية قُيّدت لسنوات، بالرغم من أن تجربة التحليل النفسي تشير إلى أن هذه الأسباب يُساء استخدامها غالباً للتستر على الروابط الأسرية ذات الطبيعة الحميمة جداً، تقبّل الطبيب هذا التحليل راضياً بمنطقية التفسير، وقال مبتسماً إن كلمة بلاذونا (أي امرأة جميلة) يمكن أن تشير أيضاً إلى وجود علاقة جنسية، وأنه كان سابقاً قد تناول نفس الدواء⁷⁸.

اعتقد بأن زلات القلم الخطيرة هذه تحدث بنفس الطريقة تمامًا التي تحدث فيها زلات القلم غير المؤذية التي ندرسها عادةً.

11. قد تبدو الحالة الآتية لزلة قلم وصفها فريِنزي غير ضارة بشكل خاص حيث يمكن اعتبارها حالة ضغط ناتجة عن نفاد الصبر (راجع زلة لسان كلمة der Apfe)، كما كان يُمكن الدفاع عن وجهة النظر هذه لو لم يُظهر التحليل الدقيق للموقف عاملاً تخريبياً أقوى: كتبت ذات مرة في دفتر ملاحظاتي (قد يتضح هذا من خلال أنيكتود - Anektode)، وقد عنيت كلمة أنكدوت - Tode أي حكاية، ولكن أخطأت الكتابة ليتشابه المقطع الأخير منها مع لفظ كلمة تود - Tode أي الموت حيث أشير إلى حكاية العجري المحكوم عليه بالإعدام الذي طلب معروفاً ليختار بنفسه الشجرة التي سيُشنق عليها، (بالرغم من البحث الحماسي فشل بالطبع في العثور على أي شجرة مناسبة).

12. ضمن حالات أخرى على النقيض من ذلك، يمكن لأقل زلة قلم أن تعبر عن معنى سرّي خطير. يكتب مراسل مجهول: «لقد أنهيت رسالتي بـ «أرسل أطيب التمنيات لزوجتك، وابنها (ihren) بدلاً من ابنك (Ihren)، وقبل وضع الرسالة في الظرف لاحظت الخطأ في الحرف الأول من الكلمة الذي ينبغي أن يكون حرف كبير (Ihren) وقمت بتصحيحه، خلال عودتي إلى المنزل من زيارتي الأخيرة لهذين الزوجين، علّقت رفيقتي بأن الابن يشبه صديق العائلة بشكل لافت، ولا بد من أن يكون ابنه بالتأكيد.

13. أرسلت سيدة لأختها بضعة أسطر من التمنيات الطيبة عندما انتقلت إلى شقة جديدة شاسعة المساحة، لاحظت صديقة حاضرة أن العنوان قد كُتب بشكل خاطئ في الرسالة فلم يكن العنوان الأخير للأخت، بل عنوان منزلها الأول بعد الزواج الذي انتقلت منه منذ فترة طويلة، أشارت الصديقة إلى الخطأ، فقالت السيدة: «أنت على حق»، فقد كان عليها أن تعترف، سألت الصديقة: «كيف حدث ذلك، ولماذا؟ أتوقع أنك لا تحبين التفكير في الشقة الواسعة الجميلة التي ستمتلكها بينما تعانيين من نقص المساحة في منزلك فتتمنين لها العودة إلى منزلها الأول حيث لن يكون حالها أفضل من

حالك»، اعترفت السيدة بصدق، وقالت: «حسنًا، بالطبع لست سعيدة حقًا لأن لديها شقة جديدة جميلة. للأسف، دائمًا ما يشعر المرء بمثل هذه المشاعر الفظيعة حول هذه الأشياء!»

14. ذكر إدوارد جونز زلة قلم أخبرها بها أبراهام بريل: «كتب أحد المرضى إلى دكتور بريل يقترح إمكانية إيعاز حالته العصبية إلى مخاوفه، وقلقه في عمله أثناء حدوث أزمة ما في تجارة القطن، لقد ادعى في هذه الرسالة: «إن مشكلتي كلها بسبب موجة التجمد اللعينة حيث لم تثبت أي بذور»، كان بالطبع يقصد كتابة كلمة موجة (وايف - wave) بالإنجليزية أي تيار في سوق المال، ولكنه كتب في الحقيقة كلمة زوجة (وايف - wife)، لقد كان يتهم زوجته فعلياً بالبرود الجنسي، وعدم الإنجاب، وبالتالي لم يكن بعيداً عن إدراك أن افتقاره إلى العلاقات الجنسية إلى حد كبير سبب مشكلته.

15. كتب الدكتور ريتشارد فاغنر عن نفسه في المجلة المركزية للتحليل النفسي، العدد الأول، 12: «أثناء قراءتي لدفتر ملاحظات جامعي قديم عثرت على زلة قلم صغيرة بسبب السرعة التي أكتب بها، فبدلاً من كلمة إيثيل - Epithel أي الظهارة⁷⁹، كنت قد أردت كتابة كلمة إديثل - Edithel وهي كلمة تشير إلى تصغير اسم فتاة (إديث) مع تشديد نطق المقطع الأول، بالنظر إلى الماضي، يمكن تحليل الأمر ببساطة، لقد كانت معرفتي بالفتاة التي تحمل هذا الاسم سطحية تماماً في الوقت الذي حدثت فيه زلة القلم، ولم تصبح صداقتنا حميمة إلا بعد ذلك بوقت طويل، وبالتالي يمكن القول بأن زلة القلم دليل واضح على ظهور ولعٍ لاشعوري بها؛ في حين لم يكن لدي أي فكرة عن ذلك، كما أن اختياري لتصغير الاسم في زلة القلم وقتها يوضح المشاعر المرتبطة بهذه الزلة.

16. كتبت الدكتورة فون هوغ هيلموت: «لقد وصف طبيب لمريضته ليفيتيكوفاسار - Leviticowasser (أي ماء ليفي) بدلاً من ليفكوفاسار - Levicowasser (أي مياه معدنية)، إن هذا الخطأ الذي أعطى الصيدلي فرصة مُنتظرة لإبداء ملاحظات ساخرة، يمكن تفسيره بصورة معتدلة بشيء من السهولة إذا بحثنا عن دوافع محتملة في العقل اللاواعي، وأخذنا بعين الاعتبار درجة معينة من احتمالية حدوثها دون قصد حتى لو كانت مجرد افتراضات ذاتية لشخص غير قريب من الطبيب المعني، بالرغم من اتهامه الدائم لمرضاه بعبارات واضحة بتفضيلهم لنظام غذائي سيئ، وإلقائه

عليهم دي ليفيتين - die Leviten (أي محاضرات صارمة بالعامية الألمانية)، إلا أنه كان يتمتع بشعبية كبيرة، وكانت غرفة الانتظار في عيادته ممتلئة قبل، وأثناء ساعات الجراحة مما يجعله يتمنى أن يرتدي مرضاه ملابسهم فيت - vite vite أي بأسرع وقت (بالفرنسية)، أذكر حقيقة أن زوجته فرنسية بالولادة مما يدعم إلى حد ما افتراضي الجريء بأنه يتحدث الفرنسية في حث المرضى على الاستعجال، لقد اعتاد الكثير من الناس في الواقع على التعبير عن هذه الرغبات بلغة أجنبية؛ فقد اعتاد والدي تشجيعنا كأطفال على الإسراع أثناء المشي بقوله بالإيطالية أفانتي جيوفينتو - Avanti gioventù أي إلى الأمام أيها الشباب أو بالفرنسية ماغشي أيو با - Marchez au pas أي أمشي بخطوات أسرع، كما أذكر أن الطبيب الذي عالجني من اضطراب في الحلق عندما كنت فتاة صغيرة حاول التحكم بتحركاتي التي كانت سريعة جدًا بقوله بالإيطالية بيانو بيانو - Piano أي بهدوء، لذا قد يكون هذا الطبيب اتبع العادة ذاتها في زلة القلم، وبالتالي كتب ليفيتيكو - Levitico (أي ماء ليفي) بدلاً من ماء ليفكو - Levico (أي مياه معدنية) نتيجةً لتفكيره في كلمة (فيت - vite أي بأسرع وقت)⁸⁰.

تذكر الكاتبة نفسها أمثلة أخرى من ذكرياتها في الشباب (كتابة كلمة frazösisch بدلاً من français بالفرنسية، وزلة قلم في كتابة اسم كارل).

17. أدين للسيد ج. بهذا المثال عن زلة القلم تتزامن مع نكتة سيئة مألوفة برغم عدم وجود نية للمزاح، وقد أشرت لهذه المساهمة سابقاً.

«بما أنني مريضاً في مصحة السل، وجدت للأسف أن أحد أقاربي شُخص بنفس المرض الذي ذهبت بسببه إلى المستشفى، لقد كتبت إلى قريبي أحثه على مراجعة بروفيسور أخصائي معروف يعالجني، وأثق بكفاءته الطبية بالرغم من أن لدي كل الأسباب التي تجعلني أشكوا من فظاظته، فقد رفض قبل ذلك بوقت قليل أن يكتب رسالة توصية تعني لي الكثير، أشار قريبي في رده على رسالتي إلى زلة قلم أذهلتني بشدة حيث عرفت سببها على الفور، فقد كتبت إليه: «... وعلى أي حال، أنصحك بـ إنسلتيرين - insultieren (أي إهانة) البروفيسور س. دون تأخير»، لقد قصدت بالطبع كتابة

كونسلتييرين - konsultieren أي استشارة البروفيسور، تجدر الإشارة هنا إلى أن معرفتي باللاتينية، والفرنسية تستبعد أي احتمال لارتكابي مثل هذا الخطأ بسبب الجهل.

18. يمكن بالطبع تقييم السهو في الكتابة أي نسيان بعض الكلمات بنفس طريقة تقييم زلة القلم. يذكر دكتور القانون بن داتتر مثلاً غريباً على «زلة تاريخية»⁸¹.

«ضمن إحدى المواد القانونية المتفق عليها في التسوية بين النمسا، والمجر عام 1867 بشأن الالتزامات المالية للدولتين، استبعدت كلمة إفيكتيف - effective (أي فعالية) من الترجمة المجرية، يرى داتتر أن الرغبة اللاواعية للهنغاريين الذين صاغوا الاتفاق بإعطاء النمسا بأقل قدر ممكن من المزايا قد تسبب بهذا السهو في الكتابة.

تتوفر هنا كل الأسباب التي تجعلنا نفترض أن التكرار المستمر لنفس الكلمة في الكتابة والنسخ - التكرار دون دافع⁸² - لا يخلو من الأهمية أيضاً، قد يُشير تكرار الكاتب لكلمة كتبها بالفعل للمرة الثانية إلى عدم قدرته على التخلص منها بسهولة، وقدرته على كتابة المزيد حول هذه النقطة، ولكنه امتنع أو شيء من هذا القبيل، يبدو أن التكرار دون دافع في الكتابة يمثل بديلاً لقول: «اسمع، اسمع!» في الحديث، لقد رأيت العديد من التقارير الجنائية المطولة حول التكرار دون دافع حيث يقوم الكاتب بإضافة تكرار معين في نصوص مميزة بشكل خاص، ويمكنني تفسيرها بأن هذا الشخص قد تعب من دوره الخفي المبني للمجهول الشخصي، وأراد إضافة حاشية تقول: «ينطبق ذلك تماماً على حالتي» أو «نعم، أشعر بالشيء نفسه».

19. لا يوجد ما يمنعنا من التعامل مع الخطأ المطبعي كزلة قلم لعامل الطباعة، واعتبارها ذات دافع كبير، لم أضع حقيقة مجموعة منهجية من الأخطاء المطبعية بالرغم من أنه قد يكون أمراً مسلياً، وغنياً بالمعلومات، لقد خصص جونز فقرة كاملة للأخطاء المطبعية في كتابه (ورد ذكره هنا عدة مرات)، يمكن أيضاً اعتبار الكلمات الخاطئة في البرقيات «زلة قلم» لعامل التلغراف، تلقيت برقية في العطلة الصيفية من ناشري، ولم أتمكن من فهم أي شيء منها حيث تضمنت النص الآتي:

«تم استلام المؤن (فوريت - Vorräte)، تُرسل الدعوة (اينلادونج - Einladung) إلى س بشكل عاجل»، يمكن حل اللغز من خلال الاسم س المذكور في البرقية فهو اسم مؤلف كنت سأكتب مقدمة (اينلايتونج - Einleitung) لكتابه، لقد تحولت كلمة (اينلايتونج) إلى كلمة (اينلادونج). كان عليّ أن أذكر نفسي بأنني أرسلت للناسر قبل أيام قليلة مقدمة تمهيدية (فورريد - Vorrede) لكتاب آخر، وكانت البرقية تؤكد وصول هذه المقدمة، لابد من أن النص الصحيح للبرقية: تم استلام المقدمة التمهيدية (فورريد - Vorrede)، تُرسل المقدمة (اينلايتونج - Einleitung) إلى س بشكل عاجل، قد نفترض أن الرسالة وقعت ضحية إعادة صياغة نتيجةً لعقدة جوع لدى عامل التلغراف مما جعله يربط بين نصفي الرسالة بطريقة مختلفة عما قصد مرسل البرقية. يعتبر ذلك مثلاً جيداً على «إعادة صياغة ثانوية» من النوع الواضح في معظم الأحلام⁸³.

أشار هربرت سيلبرر إلى إمكانية وجود أخطاء مطبعية مغرضة⁸⁴، كما أشار آخرون إلى بعض الأخطاء المطبعية التي يصعب إنكار حقيقة أنها مغرضة، ومنهم ستروفر⁸⁵ الذي وضح ذلك في مقاله: «شيطان الأخطاء المطبعية السياسية»، واقتبس هنا الملاحظة المختصرة التي قدّمها في المرجع نفسه عام 1915:

20. كان هناك خطأ مطبعي سياسي في عدد مارز März ليوم 25 أبريل ذلك العام، تحدثت رسالة أرجروكاسترون عن تصريحات زوغرافوس زعيم متمردي منطقة إبيروت في ألبانيا أو لنقل رئيس حكومة ايبيروس المستقلة كما يُفضل البعض، ورد في الرسالة ضمن أمور أخرى أنه قال: «صدقني، إن وجود ايبيروس مستقلة سيكون في مصلحة الأمير ويد، فقد يسقط (ستورزن - stürzen) بناءً عليها»، لابد من أن أمير ألبانيا يُدرك جيداً أن قبول الدعم (ستوتزي - Stütze) المُقدم من الإبيروت سيعني سقوطه (ستورز - stürz) حتى بدون هذا الخطأ المشؤوم.

21. لقد قرأت بنفسني مؤخراً في إحدى صحف فيينا اليومية مقالاً عن «منطقة بوكوفينا تحت الحكم الروماني»، وهو عنوان رئيسي يعتبر سابق لأوانه لأن الرومانيين لم يعترفوا في ذلك الوقت بعدائهم

تجاهنا، أظهر المحتوى أن العنوان الرئيسي يقصد الحكم الروسي، وليس الروماني، إلا أن المراجع نفسه أعتقد قد وجد الفكرة العامة منطقية، ومرجحة مما جعله يتغاضى عن هذا الخطأ في الطباعة.

يصعب عدم التفكير في الخطأ المطبعي السياسي عند قراءة الخطأ الإملائي الآتي في التعميم الصادر عن أعمال دار الطباعة الشهيرة لكارل بروشاسكا في مدينة تيشين (الطابعات الإمبراطورية، والملكية النمساوية-المجرية سابقاً):

«بأمر من الحلف الدولي (بلينو تيتولو - pleno titulo)، أُعلن أن نهر أولسا يُشكل الحدود التي تقسم سيليزيا وتيشين إلى قسمين: يذهب القسم الأول إلى بولند، والآخر إلى تشيكوسلوفاكيا»، استخدمت كلمة (زوفيل - zuviel بمعنى أكثر من اللازم) بدلاً من كلمة (زوفيل - zuviel أي يذهب إلى).

كان على ثيودور فونتان ذات مرة، وبشكل مسلي أن يدافع عن نفسه حول خطأ مطبعي ذا معنى واسع حيث كتب إلى الناشر يوليوس سبرينغر في 29 مارس 1860⁸⁶:

تحية طيبة وبعد،

يبدو أن أمنيّاتي البسيطة لن تتحقق، إن نظرة سريعة على مسودة الطباعة التي أرفقها ستظهر لك ما أعنيه بوضوح، لقد أرسلت لي مجموعة واحدة من المسودات برغم حاجتي إلى مجموعتين للأسباب التي قدمتها لك، لكنك لم ترسل إلا المجموعة الأولى لأبحث فيها مرة أخرى - من أجل الكلمات، والعبارات الإنجليزية، وأنا قلق جداً للقيام بذلك، ورد مثلاً في الصفحة 27 مشهد بين جون نوّكس، وملكة اسكتلندا حيث تتضمن المسودة الحالية عبارة «عندها صرخت ماري، أيها الجيفة» باستخدام كلمة (أسريّف - aasrief) بدلاً من كلمة (أوسرايف - ausreif) أي صرخت، يود المرء أن يتأكد في ضوء هذه المفاهيم من تصحيح الخطأ، إن استخدام المقطع آس- ass (أي مؤخرة) بدلاً من أوس - aus هو الأسوأ حيث لا شك في أن الملكة قد أطلقت عليه شتائم من هذا النوع في ذهنها.

مع أطيب التمنيات، ثيودور فونتان.

يقدم فيلهلم فونت سبباً هاماً للحقيقة المؤكدة حول سهولة ارتكاب زلات القلم مقارنةً بارتكاب زلات اللسان⁸⁷. تعمل الدوافع المثبطة للإرادة ضمن الكلام الاعتيادي على نحو مستمر للتوفيق بين الفكر، والخيال، وعملية التعبير، بينما في حالة الكتابة إن تباطأت حركة التعبير بعد أفكار معينة لأسباب ميكانيكية يُرجح أن تحدث التوقعات بشكل خاص».

تشير ملاحظة الظروف التي تُرتكب فيها أخطاء القراءة إلى وجود شك معين لا أرغب بتركه دون الإشارة إليه فأعتقد أنه يُشكل نقطة انطلاق لتحليل مثير. يعلم الجميع كيف ينتشت انتباه القارئ بعيداً عن النص في كثير من الأحيان حين يقرأ بصوت عالٍ، وكيف يتحول تفكيره إلى أفكاره الخاصة، لا يستطيع القارئ حينها بسبب عدم الانتباه أن يقول أي شيء عن محتوى النص إذا قاطعه أحدهم، وسأله عن ماهية ما يقرأ حيث تكون القراءة تلقائية تقريباً لكنّها صحيحة، لا أعتقد أن أخطاء القراءة في هذه الظروف تتعاضد، لقد اعتدنا على افتراض أن المرء يقوم بسلسلة كاملة من الوظائف الأخرى بدقة، وصحة عالية، ولكن بشكل تلقائي دون إيلائها سوى القليل من الاهتمام الواعي، يبدو أنه علينا تحديد انتباه المرء من عدمه في حالات زلات اللسان، والقراءة، والكتابة بطريقة مختلفة عن فكرة فيلهلم حول إيقاف الانتباه أو إهماله، لم تُمكننا الأمثلة الخاضعة للتحليل من افتراض حدوث انخفاض في الانتباه، والتركيز؛ فما وجدناه في التحليل يُشير إلى وجود تشويش للانتباه بأفكار أخرى ظهرت فجأة، وتطلب ظهورها هذه الزلات، الأمر الذي قد يكون مطابق تماماً لما يُسمى انخفاض مستوى التركيز، والانتباه.

يجب أن يأتي إهمال إضافة توقيع في مكان ما بين زلات القلم والنسيان الاعتيادي، فالشيك غير الموقع يعني الشيك المنسي، لتوضيح معنى هذا السهو في الكتابة، أقتبس فقرة من رواية لفتت انتباه الدكتور هانس ساكس:

«هناك مثال واضح جداً ومفيد حول اللمسة المؤكدة للكاتب الإبداعي في التعامل مع التحليل النفسي للزلات، والأفعال العرضية في رواية جزيرة الفريسيين لـ جون جالسوورثي.. تدور أحداث الرواية حول تردد شاب من الطبقة البرجوازية الغنية بين التعاطف الاجتماعي العميق، وتقاليده طبقته

المجتمعية، يصف الفصل السادس والعشرون رد فعله على رسالة من شاب متشرد قدّم له المساعدة عدة مرات في الماضي شاعراً بالانجذاب نحو طريقة حياته غير التقليدية، لا تتضمن رسالة الشاب المتشرد أي طلب مباشر للحصول على المال، ولكنها تصف حالة شديدة الاحتياج لا تسمح بأي تفسير آخر، يرفض المتلقي في البداية فكرة صرف الأموال على شخص فاسد بدلاً من دعم المؤسسات الخيرية. «إن مد يد المساعدة لشخص ما، وإعطائه جزء من نفسه، كإيماءة تعاطف مع رفيق بغض النظر عن أحيته لمجرد إحباطه يُعد ضرباً من الهراء العاطفي! يجب أن يُرسم حداً هنا!»، ولكنه في غممة هذا الاستنتاج شعر بوخز الصدق: «هراء! أنت لا تريد التخلي عن أموالك، هذا كل شيء!»، كتب عندها رسالة ودية تنتهي بالكلمات: «أرفق لك شيك بمبلغ من المال، المخلص لك، ريتشارد شيلتون»، وقبل أن يكتب الشيك، شغلت فراشة تُرفرف حول الشمعة انتباهه، وبعد أن أمسكها، وأخرجها كان قد نسي أنه لم يُرفق الشيك، وأرسلت الرسالة كما هي، يمكن القول بأن ذلك نتج عن نسيان الكاتب، إلا أنه مدفوعاً بشكل أكبر بفوز رغبته الأنانية في الحفاظ على المال بالرغم من تغلبه على هذه الرغبة ظاهرياً، يشعر شيلتون بالوحدة أثناء إقامته في المنزل الريفى الخاص بوالدي زوجته المستقبلية برفقة خطيبته، وعائلتها، وضيوفهم؛ وتخبرنا زلته أنه يفتقد الشخص الذي يساعده حيث يجعله تاريخه السابق، وموقفه تجاه الحياة على تناقض تام مع رفقة شيلتون الخالية من اللوم، والتي تضم من يتبعون القيم ذاتها، اتضح فيما بعد أن الشاب المتشرد الذي لم يعد بإمكانه البقاء في مكانه دون دعم مالي وصل إلى مكان شيلتون بعد بضعة أيام لمعرفة سبب عدم وصول الشيك الموعود في الرسالة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



الفصل السابع: نسيان الانطباعات، والنوايا

إن شعر شخص ما بالميل إلى المبالغة في تقدير الحالة الحالية للمعرفة العامة حول تفاصيل الحياة العقلية، والنفسية للإنسان، عليه فقط تذكر وظيفة الذاكرة ليشرح بالتواضع؛ حيث لم تتجح أي نظرية نفسية حتى الآن في تقديم وصف كامل لظاهرتي التذكر، والنسيان الأساسيتين، لقد بدأ العلماء لتوهم في العمل على التحليل الشامل لما يمكن ملاحظته حول الذاكرة، نجد أن النسيان يُشكل لغزاً أكثر غموضاً من الذاكرة حيث أظهرت دراسة الأحلام، والحالات المرضية أننا قد ننسى أمراً ما لفترة طويلة، ثم يظهر فجأة في الذاكرة مرة أخرى.

بالرغم من ذلك، هناك بعض الأفكار التي يُتوقع الاعتراف بها، وتأكيداً بشكل عام حيث نفترض أن النسيان عملية عفوية تتطوي على فترة زمنية معينة، ونؤكد وجود نوع من الاختيار بين الانطباعات المتاحة عند نسيان شيء ما، وينطبق ذلك على تفاصيل أي انطباع أو تجربة، كما نعرف بعض ظروف تماسك ذكريات معينة، وإمكانية استرجاع هذه الذكري التي كانت ستُنسى لولا ذلك، بصرف النظر عن الأفكار المؤكدة، ما زال هناك حالات لا حصر لها تواجه الإنسان في الحياة اليومية، وتُظهر مدى عدم اكتمال المعرفة الإنسانية حول الموضوع، وانعدام كفايتها، يُجدر بالمرء الاستماع إلى شخصين لديهما انطباعات خارجية حول موقف مشترك كرحلة مع بعضهما، ويتبادلان ذكرياتهما عنها بعد ذلك بوقت قصير، سيجد أن الحادثة التي استقرت بقوة في ذهن أحدهم قد اختفت من ذهن الآخر، ونسيها تماماً كما لو لم تكن، حتى مع عدم وجود أسباب تؤدي إلى أن يكون لهذه الحادثة أهمية نفسية أكبر بالنسبة لأحدهما أكثر من الآخر، يبدو جلياً أن هناك عدداً هائلاً من العوامل التي تحدد ما تختاره الذاكرة، وما زلنا بعيدين كل البعد عن فهمها.

بقصد المساهمة بشكل بسيط في المعرفة الإنسانية حول أسباب النسيان، لقد اعتدتُ على إخضاع حالات النسيان الخاصة بي للتحليل النفسي حيث أدرس كقاعدة أساسية مجموعة معينة فقط من حالات النسيان، والمتمثلة بالحالات التي تقاجأت فيها بنسياني لأمرٍ ما كنت أتوقع معرفته، أضيف هنا أنني لا أميل إلى النسيان بشكل عام (أعني نسيان التجارب، وليس نسيان شيئاً تعلمته!)، وكنتُ قادراً

على تحقيق نجاحات غير عادية في الذاكرة لفترة قصيرة في شبابي حيث اعتقدت عندما كنت تلميذاً في المدرسة أن قراءة صفحة من كتاب، وحفظ محتواها عن ظهر قلب أمراً طبيعياً، وتمكنت قبل ذهابي إلى الجامعة من تدوين محاضرات شائعة حول مواضيع علمية كلمة بكلمة تقريباً مباشرة بعد سماعها، لا بد أنني كنتُ أستخدم ما تبقى من هذه القدرة خلال الفترة العصبية التي سبقت آخر فحص شفوي خضعت له للحصول على درجة الدكتوراه في الطب حيث أجبت بشكل تلقائي أسئلة الممتحنين في بعض الموضوعات مردداً بأمانة نص كتاب تصفحته سابقاً على عجل.

لقد تدهورت قدرتي منذ ذلك الحين على تذكر ما أؤخره في ذاكرتي لكنني كنتُ قادراً على إقناع نفسي حتى وقت قريب بأنه يمكنني تذكر أكثر مما أتوقعه بمساعدة خدعة معينة، إذا ذكر مريض في غرفة الاستشارة على سبيل المثال أنني رأيته من قبل، ولا أستطيع أن أتذكر متى أو لا أتذكر مقابلته على الإطلاق، أحاول التخمين أي التفكير بسرعة في عدد من السنوات السابقة الممتدة من الحاضر إلى الماضي، عندما أتمكن من التحقق من أفكاري بعد ذلك عبر الملاحظات المكتوبة أو بيقين المريض نفسه، يتضح أنني نادراً ما أكون مخطئاً بهذا التخمين لأكثر من ستة أشهر خلال فترة تزيد عن عشر سنوات¹، ينطبق الأمر نفسه حين أقابل شخصاً لا أعرفه جيداً، وأسأله من باب المجاملة عن أحوال أطفاله الصغار فيُخبرني عن تقدّمهم، أحاول تخمين عمر الطفل ثم التحقق منه بحسب ما يقول الأب، غالباً ما أكون مخطئاً بالتقدير بشهر أو ثلاثة أشهر على الأكثر فيما يخص الأطفال الأكبر سناً، إلا أنني لا أستطيع ذكر النقاط المرجعية التي اتبعتها للتقدير، لقد شعرت مؤخراً بالجرأة الكافية لقول تخميني تلقائياً حتى لا أخاطر بإيذاء مشاعر الأب بالكشف عن جهلي بأبنائه، أستطيع بهذه الطريقة توسيع مدى ذكرياتي الواعية عبر استدعاء ذاكرتي اللاواعية التي تحتوي بأي حال على محتوى أكثر بكثير.

بناءً على ما تقدّم، سأقدم وصفاً لأمثلة مذهلة حول النسيان لاحظت معظمها في نفسي، أميز في هذا الفصل بين نسيان الانطباعات، والتجارب أي الأشياء التي رأيته أو فعلتها، وبين نسيان النوايا أي الأمور التي أنوي فعلها ثم أغفل عنها، سأبدأ بتوضيح النتيجة الموحدة لسلسلة كاملة من الملاحظات: لقد ثبت أن الدافع وراء نسيان شيء ما قائم على النفور في جميع الحالات.

أولاً: نسيان الانطباعات، والتجارب

1. أغضبتني زوجتي بشدة ذات صيف بالرغم من أن السبب بحد ذاته كان سخيلاً، كنا نجلس على طاولة الطعام مقابل رجل نبيل أعرفه من فيينا، ويبدو أنه تذكرني أيضاً، لكن كان لدي أسبابي الخاصة لعدم إلقاء التحية عليه، وتعزيز معرفتنا؛ أما زوجتي التي سمعت اسم الرجل فقط، استمرت بالاستماع إلى ما يقوله الجالسين معه إلى الطاولة حيث كانت تستدير إليّ من وقت لآخر بأسئلة تشير إلى موضوع حديثهم حتى نفذ صبري في نهاية الأمر، وأصبحت سريع الغضب، كنت بعد بضعة أسابيع أشتكي إلى امرأة قريبة من سلوك زوجتي؛ لكنني لم أستطع تذكر كلمة واحدة قالها الرجل، بما أنني أميل عادةً إلى حمل الضغينة، ولا أنسى أيّ تفاصيل عن حادثة أزعجتني، ربما كان الدافع وراء نسياني في هذه الحالة يتمثل بمراعاة زوجتي، حدث معي أمر مشابه مؤخراً حيث كنت سأدعو صديق مقرب ليضحك على شيء ما قالته زوجتي قبل ساعات قليلة فقط، لكنني لم أستطع تنفيذ هذه النية فقد نسيته تماماً ما كان الأمر عليه حتى كان عليّ أن أطلب من زوجتي أن تذكرني بنفسها، يجب أن يُنظر حالة النسيان هذه على أنها مشابهة للاضطراب النموذجي لقوة الحكم التي نواجهها عند التعامل مع أفراد عائلتنا المباشرين.

2. أرادت سيدة وصلت لتوها إلى فيينا، ولا تعرف المدينة أن تجد خزنة حديدية صغيرة لتحتفظ بالوثائق، والمال، وقلّت لها إنني سأحصل لها على واحدة، عندما قدمت هذا العرض، ظهرت في ذهني الصورة المفعمة بالحيوية بشكل غير اعتيادي لنافذة متجر في المدينة الداخلية حيث رأيت هذا النوع من الخزائن، لم أستطع تذكر اسم الشارع؛ لكنني شعرت بأنني سأجد المتجر إن ذهبت في نزهة حول فيينا، حيث أخبرتني ذاكرتي أنني مررت به لمرات لا تحصى، بالرغم من أنني قمت بتمشيط منطقة مركز المدينة، لم أتمكن من العثور على المتجر الذي يحتوي على الخزائن المعروضة مما أزعجني بشدة، فكرت بالعثور عليه عبر البحث في أسماء الشركات المصنعة للخزائن من العناوين الموجودة في دليل التجارة ثم تجول في المنطقة مرة أخرى لتحديد المتجر الذي كنت أبحث عنها، لم يكن هناك حاجة لكل ذلك فقد كان بإمكانني تحديد المتجر الذي نسيته على الفور من بين العناوين المدرجة كان صحيحاً أنني مررت بنافذة هذا المتجر مرات لا تحصى في كل مرة زرت فيها عائلة م.

التي عاشت في نفس المبنى لسنوات، لكنني أصبحت أتجنب المنطقة، والمبنى بما أننا لم نعد أصدقاء مقربين، ولم نكن على علاقة جيدة على الإطلاق، وذلك دون أن أتوقف للتساؤل عن السبب، خلال المسيرة التي قمت بها عبر المنطقة بحثاً عن متجر الخزائن، ذهبت إلى كل شوارع المنطقة متجنباً هذا الشارع الوحيد كما لو كان ممنوعاً، يظهر جلياً أن النفور حفز إحساسي الضعيف بالاتجاهات في هذه الحالة، لقد كانت الآلية التي نسيت بها أقل بساطة مما كانت عليه في المثال الأول، لم يكن الأمر يتعلق بكراهيتي لمتجر الخزائن، ولكن كرهني لشخص آخر لم أرغب في التفكير فيه، وانتقل الكره من ذلك الشخص إلى الموقف الحالي مما جعلني أنساه، تنطبق الطريقة ذاتها على حالة بوركهارد حيث تسبب استيائي من شخص في زلة قلم باسم شخص آخر نتيجةً لتطابق الأسماء الذي يربط بين مسارين فكريين مختلفين بشكل أساسي، في حين تسبب التجاور المكاني، والقرب الوثيق بنسيان المتجر ضمن مثال نافذة العرض، كان لهذه الحالة الأخيرة أساس واقعي أقوى حيث تعلق الأمر برابط آخر يتعلق بالمحتوى؛ حيث لعب المال دوراً ما في أسباب انفصالي عن العائلة التي تعيش في ذلك المبنى.

3. استدعنتي شركة بي أند آر (B. & R.) لتقديم استشارة طبية لأحد موظفيها؛ كنت منشغلاً في طريقي إلى منزله بفكرة أنني زرت مبنى مكاتب الشركة عدة مرات سابقاً، لقد شعرت بأني لاحظت لوحة الاسم في الطابق السفلي بينما كنت أزور مريضاً في طابق أعلى في المبنى ذاته، لكنني لم أستطع تذكر ماهية المبنى، ولا هوية المريض الذي زرته هناك، بالرغم من تفاهة الأمر، وعدم أهميته، إلا أنني لم أستطع إخراجه من ذهني، فحاولت استخدام طريقتي المعتادة الطويلة، وغير الهامة بالدوران حول الموضوع لتجميع أفكاره عنه، حتى توصلت إلى أن نُزل فيشر حيث زرت المرضى بشكل متكرر يقع في الطابق العلوي للشركة، أصبحت أعرف المبنى الذي يضم مكاتب الشركة، والمنزل الداخلي لكنني بقيت أفكر في سبب نسياني، لم أجد شيئاً مُنفراً في ذاكرتي عن الشركة نفسها أو نُزل فيشر أو مرضاي الذين يسكنون هناك، اعتقدت بأنه لا يمكن للأمر أن يتعلق بأي شيء مزعج جداً أو أنني غير قادر على تذكر ما نسيت من خلال التفكير في الموضوع دون طلب مساعدات أخرى، كما في الحالة السابقة، تبادر لذهني أخيراً أن رجل تحدث إليّ، وأنا في طريقي لزيارة مريضتي الجديد، وقد وجدت صعوبة في التعرف على هذا الرجل، لقد رأيت هذا

الرجل قبل شهر في حالة بدت خطيرة للغاية، وشخصت حالته بأنها شلل تدريجي؛ لكنني سمعت فيما بعد أنه تعافى، وأن تشخيصي خاطئاً، إلا أنه كان يمر بحالة تعافى مؤقت تحدث في الخرف الشللي، وسأكون حينها على حق بعد كل شيء! لقد أثر هذا اللقاء على ذاكرتي للحي الذي تقع فيه مكاتب الشركة، وانطلق اهتمامي بمعرفة ما قد نسيته من حالة التشخيص المشكوك فيها، كان الرابط الذي يربط بين الأمرين بسيطاً، ويتعلق بالمحتوى حيث كان الرجل الذي تعافى خلافاً لتوقعاتي يعمل موظفاً في شركة كبيرة ترسل إليّ المرضى، لقد شكّل هذا الرابط مثلاً آخر على تطابق الأسماء حيث كان الطبيب الذي رافقني عند فحص المريض المصاب بالشلل يُدعى فيشر كاسم المنزل الداخلي الذي نسيته، ويقع في نفس مبنى مكاتب الشركة.

4. إن ضياع شيء ما يعني ببساطة نسيان المكان الذي وُضع فيه، لذا أعرف مكان كل شيء على مكتبي تماماً مثل معظم الأشخاص الذين لديهم الكثير من الأوراق، والكتب، ويمكنني وضع يدي على أي شيء أريده، ما يشبه الفوضى بالنسبة للآخرين يشكّل ترتيباً ذو طبيعة تاريخية بالنسبة لي، لكن لماذا أضعت مؤخراً فهرساً كاملاً للكتب التي أرسلت إليّ، ولم أتمكن من العثور عليه ببساطة؟ كنت أنوي أن أطلب كتاب (حول اللغة) أعلن عنه فيه في هذا الفهرس؛ لأنه من تأليف كاتب أحب أسلوبه المليء بالحيوية، والمرح، وأحترم معرفته بالتاريخ الثقافي، والرؤى النفسية، أعتقد أن هذا السبب الحقيقي وراء إضاعتي للفهرس، أقوم عادةً بإعارة كتب هذا المؤلف إلى معارفي للحصول على آرائهم، وقال شخص ما أعاد الكتاب لي قبل بضعة أيام: «يذكرني أسلوبه كثيراً بأسلوبك، وأنه يفكر بنفس الطريقة أيضاً»، لم يكن المتحدث يعرف تأثير هذه الملاحظة عليّ؛ قبل سنوات عديدة حين كنت أصغر سناً، وبحاجة إلى إقامة علاقات جيدة، أخبرت زميل أكبر مني عن كتابات مؤلف طبي مشهور، وأشدتُ به؛ فقال لي: «نعم، إن أسلوبه يتماشى كثيراً مع أسلوبك الخاص» لقد شجعني ذلك على الكتابة إلى المؤلف الطبي اقترح فيه التعرف إليه، ولكنه أوقفني برده البارد، قد يكون هناك تجارب رادعة أخرى وراء هذا النسيان، لأنني لم أجد الفهرس الضائع أبداً، وربما منعتني هذه العلامة المشؤومة من طلب الكتاب المُعلن عنه حيث لم يؤثر اختفاء الكتالوج عنه لأن اسم الكتاب، ومؤلفه ظل محفوظ في ذاكرتي ⁸⁸.

5. تستحق حالة الضياع الآتية اهتمامنا بسبب الظروف التي عُثر فيها على الشيء الضائع، أخبرني شاب: حدث في زواجي قبل بضع سنوات سوء فهم بسيط، فقد شعرت أن زوجتي لطيفة جداً، واعترف بصفاتها المميزة لكننا عشنا معاً دون أي حنان أو لطف بيننا، عادت زوجتي ذات يوم إلى المنزل من نزهة مشي، وأحضرت لي كتاباً اشترته معتقدةً أنه قد يثير اهتمامي، شكرتها على هذا الاهتمام اللطيف، ووعدت بقراءة الكتاب ثم وضعت في مكان ما ولم أتمكن من العثور عليه مرة أخرى، مرت الشهور، وكنت أفكر بالكتاب المفقود بين الحين، والآخر، وحاولت عبثاً العثور عليه، بعد حوالي ستة أشهر مرضت والدتي الحبيبة التي لم تكن تعيش معنا فغادرت زوجتي منزلنا لرعاية حماتها، أصبحت حالة أمي خطيرة، وحصلت زوجتي على فرصة لتظهر نفسها في أفضل صورة لها، عدت إلى المنزل ذات مساء، وشعرت بإعجاب، وامتنان كبيرين لما فعلته زوجتي، فذهبت إلى مكتبي، وفتحت أحد الأدراج دون أي نية معينة، ولكن بإحساس لا يخطئ لمن يسير في نومه، ووجدت الكتاب المفقود لفترة طويلة في الجزء العلوي من الدرج. يقدم يوهانس شتارك⁸⁹ سرداً لحالة شيء ما ضائع حيث تُشبه إلى حد كبير السمة الختامية: اليقين الفضولي الذي عُثر من خلاله على الشيء المفقود.

6. كانت فتاة تصنع ياقة لكنّها أفسدت القماش بقص الياقة، فكان لابد من استدعاء خياطة لتصحيح خطأها، عندما وصلت الخياطة ذهبت الفتاة لإحضار الياقة من الدرج حيث اعتقدت أنها وضعتها، ولم تستطع العثور عليه، لقد أخرجت الدرج، وقلبتّه لكن لم تعثر عليها في أي مكان، شعرت الفتاة بالانزعاج الشديد من نفسها، وتساءلت عن سبب اختفاء الياقة فجأة، وسألت نفسها إن كانت في الحقيقة لم ترغب في العثور عليها؛ فأدركت بالطبع أنها تخجل من جعل الخياط يرى أنها أفسدت قطعة بسيطة كالياقة، بمجرد أن فكرت بذلك وقفت، وذهبت إلى خزانة أخرى، وأحضرت الياقة المقصوفة في الحال.

7. يتوافق المثال الآتي لضياع أحد الأشياء مع نوع مألوف من الأمثلة بالنسبة لكل محلل نفسي، تجدر الإشارة إلى أن المريض الذي أضاع شيئاً في هذه الحالة وجد مفتاح اللغز بنفسه:

يخضع مريض للتحليل النفسي، وتقرر قطع علاجه في العطلة الصيفية خلال فترة مقاومة، وأثناء شعوره بالتوعك في إحدى المرات وضع مفاتيحه في مكانها المعتاد عند خلع ملابسه في المساء، تذكر فيما بعد أنه أراد إحضار بعض الأشياء من مكتبه استعداداً للمغادرة في صباح اليوم التالي الذي يوافق آخر يوم في مسار علاجه، وسيكون عليه دفع كامل الرسوم المستحقة، وقد وضع المال في المكتب أيضاً، عندما همّ بالذهاب إلى المكتب وجد أن مفاتيحه قد اختفت، وبدأ يبحث في شقته الصغيرة بشكل منهجي، وباهتياج متزايد؛ ولكن دون جدوى، بما أنه أدرك أن ضياع المفاتيح كان تصرف مصحوباً بالأعراض، وبالتالي قام بذلك عن قصد فعلياً، أيقظ المريض خادمه ليحصل على مساعدة شخص محايد بينما يواصل البحث، بعد ساعة أخرى، استسلم خوفاً من أنه فقد المفاتيح إلى الأبد، وطلب في صباح اليوم التالي مفاتيح جديدة من صانع صندوق المال الموجود على مكتبه، ووفره له على عجل، اعتقد اثنان من معارفه الذين رافقوه في سيارة الأجرة إلى المنزل أنهما سمعا صوت طقطقة على الأرض عند خروجه من السيارة؛ فشرع بيقين ما بأنه أسقط المفاتيح من جيبه، قدّم الخادم في ذلك المساء المفاتيح الأصلية بانتصار حيث كانت مخفية بين كتاب سميك، وكتيب رفيع (ورقة قدمها أحد تلاميذه) كان يريد أن يأخذها ليقراها في الإجازة، وقد كانت المفاتيح مخفية بمهارة بحيث لم يشك أحد في وجودها هناك، ووجد أنه من المستحيل تكرار إخفاء المفاتيح لتكون غير مرئية بنفس الطريقة، إن المهارة اللاواعية التي يضيع فيها شيء ما نتيجةً للدافع السري، والقوي تذكرنا بـ «الإحساس الذي لا يُخطئ بالاتجاهات» لمن يسير في نومه، كانت دوافعه بالطبع تتمثل بكراهية فكرة قطع العلاج، وانزعاجه السري من الاضطرار إلى دفع رسوم عالية بينما ما زال يشعر بتوعك شديد.»

8. كتب أبراهام برييل عن رجل حثته زوجته على حضور مناسبة اجتماعية لا يهتم لها، ولكنه أذعن أخيراً لمناشداتها، وبدأ في إخراج ملابس للمساء من صندوق الملابس حيث يحتفظ بها، لكنه قاطع نفسه بعد ذلك، وقرر الحلاقة أولاً. عندما انتهى من الحلاقة عاد إلى الصندوق لكنه كان مقفل بالمفتاح، ولم يعثر على المفتاح، كان استدعاء صانع الأقفال مستحيلاً لأن ذلك حدث في مساء يوم الأحد لذا اضطر الزوجان إلى إعفاء نفسيهما من الذهاب إلى الحفل، عندما فُتح الصندوق في صباح اليوم التالي عُثر على المفتاح بالداخل، لقد كان الرجل شارد الذهن فألقى المفتاح في الصندوق

فأغلقة، يقول بريـل أن الرجل أكّد له أنه قام بذلك عن غير قصد، ودون علمه، لكنني علمت أنه لا يريد الذهاب إلى الحفل مما يعني وجود أسباب تجعله يضيع المفتاح، لاحظ إدوارد جونز اعتياده على تضييع غليونه عندما يُدخن كثيرًا، ويشعر بتوَعك نتيجة لذلك، كان يعثر على الغليون في جميع أنواع الأماكن الغريبة التي لا علاقة لها بالغليون، ولا يُحتفظ فيها به عادة.

9. سجلت دورا مولر حالة بسيطة لضياـع شيء ما، وأكّدت صاحبـتها الدافع وراء ذلك: قالت الآنسة إرنا قبل يومين من عيد الميلاد: «أتعلم، أخذت مساء أمس علبة البسكويت، وأكلت بعضًا منها، لقد فكرت أنه عليّ أن أعرض على الآنسة س. (رفيقة والدتها) أن تأكل منه عندما جاءت لتتـمـنى لي ليلة سعيدة، ليس لأنني أردت ذلك حقًا، ولكنني قررت أن أفعل ذلك على أي حال، عندما ذهبت لطولتي الصغيرة في وقت لاحق لأخذ العلبة، لم تكن موجودة هناك، وعندما بحثت عنها وجدتها في خزانة ملابسـي، كنت أضع العلبة هناك دون أن أعرف ذلك» ما من حاجة لأي تحليل؛ لقد كانت صاحبة القصة واضحة حول الدافع، والرابـط فـشـرحت أنها قمعت رغبتها في الاحتفاظ بكل البسكويت لنفسها، لكن هذه الرغبة أظهرت نفسها تلقائيًا على أي حال، بالرغم من انعكاس الظاهرة بفعلها الواعي اللاحق في هذه الحالة.

10. يصف هانس ساكس طريقة التي أضاع بها أحد الأشياء ذات مرة لتجنب الاضطرار إلى العمل. «كنتُ مترددًا بعد ظهر يوم الأحد الماضي: هل يجب أن أعمل أم أخرج في نزهة للمشـي، واعتبر اليوم استراحة؟ كافحت نفسي لفترة لكنني قررت العمل؛ لاحظت بعد حوالي ساعة نفاذ الورق، وكنت أعلم أن لدي مجموعة من الأوراق في مكان ما في الدرج لسنوات؛ لكن كل محاولات البحث في مكتبي، وأماكن أخرى اعتقدت أنني قد أجدها فيها ذهبت سدى بالرغم من أنني بذلت جهدي، وبحثت في كل مكان، وبين الكتب، والنشرات القديمة، وما إلى ذلك؛ شعرت بعدها أن ما من بديل سوى التوقف عن العمل والخروج على أي حال، عندما عدت إلى المنزل في المساء جلست على الأريكة، وكان ذهني منقسم بين التفكير، والشـرود، ثم نظرت إلى المكتبة المقابلة، فلفت انتباهي درج بداخلها، وتذكرت مُضى وقت طويل منذ أن نظرت لمحتوياته، حين ذهبت، وفتحت الدرج وجدت مجلد جلدي مليء بالورق الفارغ بعد أن أخرجته، ووضـعته في درج مكتبي، أدركت أن هذا الورق الذي كنت

أبحث عنه دون جدوى بعد ظهر ذلك اليوم، أضيف هنا أنني لست مقتصدًا بطبيعتي لكنني شديد الحذر بشأن الورق، وأحتفظ بكل قصاصة ورق يمكن استخدامها، يبدو أن هذه العادة التي يُغذيها الدافع الغريزي جعلتني أعالج النسيان بمجرد زوال الدافع الحالي لها.

11. في صيف عام 1901، أخبرت ذات مرة صديقًا أُنْبادِل معه الأفكار العلمية بشكل حيوي أن المسائل العصبية لن تُحل إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الأفراد في الأصل ثنائيو الميول الجنسية، فأجاب: «لكنني أخبرتك بذلك قبل عامين ونصف عندما كنا نتمشى في نزهة مسائية، ولم تقتنع بذلك حينها»، إنه لمن المؤلم أن يُطلب منك الإذعان لطلب أحدهم بملكية الفكرة بهذه الطريقة، لم أستطع حينها تذكر هذه المحادثة، ولا ما قاله صديقي، يبدو أن أحدنا مخطئًا، وبناءً على مبدأ «من المستفيد»، لا بد أنني أنا المخطئ، تذكرت خلال الأسبوع الذي يليه كل شيء حاول صديقي تذكيري به، حتى تذكرت أنني قد أجبتَه في ذلك الوقت: «لا، لا يمكنني أن أتفق معك، ولا أريد الانجراف إلى هذا الجدل»، لكنني بعد ذلك أصبحت أكثر تسامحًا إن صادفت واحدة من الأفكار القليلة التي قد يرتبط بها اسمي في الدراسات الطبية، ووجدت أن الفضل لم يُنسب إليّ.

إذن، انتقادات زوجة - صداقة تحولت إلى النقيض - خطأ في التشخيص الطبي - التعرّض للرفض من أشخاص يعملون في المجال ذاته - أفكار مستعارة، كلّها أمثلة جمعتها عشوائيًا، لذا لا يُمكن أن تكون حاجتي لمواجهة مواضيع مؤلمة لشرح، وتقديم هذه الأمثلة من قبيل المصادفة، أعتقد أن أي شخص آخر يحاول دراسة نسيانه، ودوافعه سيكون قادر على الخروج بعينة مماثلة من مجموعة أفكار غير سارة، يبدو لي أن الميل إلى نسيان الأمور غير السارة أمرًا عامًا لدى الجميع، وقد يتطور بدرجة مغايرة لدى الأشخاص المختلفين، قد تُعزى نسبة هائلة من رفض الاعتراف بشيء نواجهه في مجال الطب إلى النسيان⁹⁰، إلا أن نظرتنا لمثل هذا النسيان تجعل الاختلاف بين هذه الظواهر السلوكية يقتصر على الظروف النفسية البحتة مما يسمح لنا برؤية الدافع ذاته يُظهر نفسه بطريقتين لرد الفعل.

ضمن جميع الأمثلة العديدة لرفض الاستمتاع بالذكريات غير السارة التي رأيتها لدى أقارب المرضى، يبقى مثلاً واحداً عالقاً في ذهني بشكل غريب؛ كانت إحدى الأمهات تخبرني عن طفولة ابنها العصبي الذي يمر بمرحلة البلوغ، وأضافت أنه كان يتبول في الفراش حتى سن متأخرة مثل إخوته الأمر الذي يعتبر هام جداً في تاريخ حالة العصاب، أرادت الأم بعد بضعة أسابيع معرفة المرحلة التي وصل إليها علاجه؛ فأتيت لي الفرصة لأخبرها علامات استعداد الشاب المبدئي للمرض، وأشرت إلى التبول في الفراش الذي ذكرته عندما أخبرتني بتاريخه الطبي، اندهشت بشدة حين أنكرت أن يكون ابنها أو إخوته قد اعتادوا على تبليل الفراش، وسألتي ما الذي جعلني أعتقد أنني أعرف هذه المعلومة، فقلت لها أنها أخبرتني بذلك بنفسها مؤخراً لكنها نسيت ذلك الآن⁹¹.

يُظهر الأشخاص الأصحاء الذين لم يُصابوا بالعصاب العديد من علامات مقاومة ذاكرة الانطباعات المؤلمة، والأفكار غير المرغوب بها⁹²، بالرغم من ذلك كله، لا يمكن تقييم أهمية هذه الظاهرة بشكل كامل إلا بالرجوع إلى سيكولوجيا العصاب حيث يُصبح جلياً أن هذه المقاومة الأولية للأفكار التي قد تثير أفكاراً غير سارة - يمكن مقارنتها برد فعل الهرب من منبهات الألم - مسؤولة فعلياً إلى حد كبير عن الآلية التي تتسبب بظهور الأعراض الهستيرية، لا يمكن لأحد الاعتراض على قبول هذا الميل لمقاومة الأفكار المؤلمة عبر الإشارة إلى الحالة المعاكس حيث يجد المرء صعوبة بالغة، واستحالة في التخلص من الذكريات المؤلمة التي تلاحقه، وترك المشاعر غير السارة مثل الندم، وأوجاع الضمير، أنا لا أقول إن هذا الميل إلى المقاومة ينطبق على كل الحالات أو أنه ضمن تفاعل القوة النفسية لا يواجه عوامل أخرى تعمل في الاتجاه المعاكس لأغراض مختلفة، فالجهاز العقلي يتشكل من بنية تضم قوى نفسية مختلفة الدرجات، ويُرجح أن الميل إلى المقاومة الأولية ينتمي لقوة نفسية أقل قدرة، وبالتالي قد تمنعه سلطة أعلى، إذن، يمكننا القول إن جزء كبير من الأمور تُنسى لمصلحة المرء، وحين لا يكون ذلك ممكناً يُغيّر الميل إلى المقاومة هدفه، ويجعل المرء على الأقل ينسى شيئاً آخر أقل أهمية، ولكنه مرتبط بالأمر المزعج.

يجدر بنا ربط الرأي المقترح هنا حول نسيان الذكريات المؤلمة لدوافع جيدة بالعديد من المجالات التي لم تحظ باهتمام كافٍ أو لم تحظ بأي اهتمام أبداً، يبدو لي أننا ما زلنا لم ندرس الأمر جيداً فيما

يتعلق بالنظر لمصادقية الأدلة في محاكم القانون⁹³ حيث يُنسب الفضل للقسم الذي يؤديه الشاهد في التأثير المُطهر على تفاعل القوى النفسية في ذهنه، يُقبل بشكل عام وجوب مراعاة هذه الدوافع لأنها تؤثر على ظهور التقاليد، والأساطير العرقية مما يلغي الحوادث المؤلمة للمشاعر الوطنية من الذاكرة، عند دراسة طريقة تشكّل التقاليد الوطنية، وذاكرات الطفولة بشكل دقيق يتبين أنها متشابهة تمامًا، لقد أصبحت نظرة داروين العظيمة حول دافع النفور الذي يتسبب بالنسيان تُمثّل «قاعدة ذهبية» للعلماء⁹⁴.

قد تظهر ذكريات كاذبة عند نسيان الانطباعات تمامًا كما يحدث في حالة نسيان الأسماء، وإن صدّقها الشخص في هذه الحالة فإنها توصف بـ اعتلال الذاكرة، أدت ظاهرة الذاكرة الكاذبة في الحالات المرضية - حالة جنون الارتياب تحديداً حيث تُشكّل الذكريات الكاذبة عامل مكوّن في أوهام المريض - إلى ظهور مجموعة واسعة من الدراسات، إلا أنني لم أجد أي تفسير لدوافع هذه الذكريات في أي من هذه الدراسات، تشكّل هذه الظاهرة جزء من سيكولوجيا العصاب، وتقع خارج نطاق موضوعنا هنا، لذا بدلاً في التعمق فيها سأصف مثلاً غريباً لذكرى كاذبة تعرضت لها مدفوعةً بأمور نفسية مكبوتة دون وعي حيث أن الطريقة التي ترتبط بها الذكريات الكاذبة، والأمور المكبوتة واضحة جداً بدرجة كافية.

كنتُ أعمل على الأقسام الأخيرة من كتابي حول تفسير الأحلام خلال الإجازة الصيفية، ولم يكن بإمكانني الوصول إلى المكتبات والكتب المرجعية، فاضطرت إلى كتابة جميع المراجع، والاقتباسات في مسودة الكتاب بحسب ذاكرتي، واعتزمت التحقق منها لاحقاً، ضمن القسم المتعلق بأحلام اليقظة، فكرت في الشخصية المرسومة بشكل جيد لمسؤول الحسابات الفقير في كتاب ألفونس دوديه (الناياب)؛ حيث كان المؤلف يصف أحلام اليقظة الخاصة من خلال هذه الشخصية، لقد ظننت أنني أتذكر بوضوح أحد التخيلات التي استمتع بها هذا الرجل - دعوته السيد جوسلين - أثناء سيره في شوارع باريس، وبدأتُ بوصفها في كتابي من الذاكرة.

يقف السيد جوسلين بجرأة في طريق حصان جامح خرج عن السيطرة، ويوقفه ثم يُفتح باب العربة ليخرج شخص مميز، ويصافح السيد جوسلين ويضغط على يده قائلاً: «أنت منقذي! أنا مدين لك بحياتي، ما الذي يمكنني فعله من أجلك؟» أخبرت نفسي أنه يمكنني تصحيح أي أخطاء فيما كتبت عن هذا الخيال عندما أعود إلى المنزل، ويكون الكتاب في متناول اليد، إلا أنني عندما تصفحت كتاب النبات لمقارنة المقطع المطبوع فيه مع مسودتي شعرت بالفزع، والذهول لأنني لم أجد أي أحلام يقظة تشبه ما كتبت عن السيد جوسلين الذي تبين أن اسمه السيد جوييوز، سرعان ما ساهم الخطأ الثاني في ظهور المفتاح إلى الذاكرة الخاطئة الأولى، حيث يشير اسم جوييوز (لقب الرجل الذي يشكّل الصيغة الأنثوية للصفة) إلى الطريقة التي يترجم بها اسمي فرويد إلى الفرنسية.

إذن، من أين أتى الخيال الذي لم أتذكره بشكل صحيح، وأنسبته إلى دوديه؟ قد يكون ذلك نتاج ذهني، حلم يقظة اخترعته بنفسه دون أن أعي ذلك أو ربما كنت قد أدركته بوعي ذات مرة ثم نسيتَه تمامًا، قد أكون قد تعرضت لهذا الخيال في باريس حيث كنتُ قبل أن يأخذني شاركو إلى دائرته أسير غالباً في الشوارع بمفردي، وملء بالشوق، وبحاجة ماسة إلى بعض الأصدقاء، والرعاة لمساعدتي ثم قابلت مؤلف كتاب الناباب عدة مرات في منزل شاركو⁹⁵.

فيما يلي حالة أخرى من الذاكرة الكاذبة أثبتت قدرتها على تقديم التفسير الكافي، ويمكن القول بأنها تذكرنا بظاهرة الإدراك الخاطئ التي ستم مناقشتها لاحقاً، لقد أخبرت أحد مرضاي الذي يتمتع بالطموح، والقدرات العالية عن طالب شاب تقدّم مؤخراً إليّ بورقة بحثية مثيرة للاهتمام بعنوان «الفنان: محاولة في علم النفس الجنسي»، عندما نُشرت هذه الورقة البحثية بعد عام، وثلاثة أشهر، قال المريض إنه يتذكرها جيداً لأنه قرأ إعلان نشر هذه الورقة في مكان ما قبل أن أذكرها له لأول مرة (قبل شهر أو نصف عام) ربما في إعلان لدى بائع الكتب، عندها خطر هذا الإعلان مباشرة ببالي، وقال إن المؤلف قد غير العنوان لأنه لم يطلق عليه الآن اسم مقال أو محاولة، ولكن أساليب علم النفس الجنسي، يُظهر التحليل الدقيق للمؤلف، والمقارنة لجميع التواريخ المعنية أن مريضه كان يدعي تذكر أمراً مستحيلاً فلم يظهر أي إعلان عن العمل قبل نشره في أي مكان، وبالتأكيد ليس قبل عام وثلاث أشهر قبل نشره، عندما امتنعت عن تحليل هذه الذكرى المزيفة، خرج الرجل بتغيير

مماثل، ولكنه باختلاف جديد؛ حيث كان يعتقد أنه رأى مؤخراً كتاب عن رهاب الخلاء في نافذة عرض المكتبة، وحاول تذكر اسمه عبر البحث في جميع فهارس الناشرين، تمكنت بعد ذلك من شرح سبب فشل جهوده في تذكر اسم الكتاب عن رهاب الخلاء، فقد كان الكتاب موجود فقط في خياله كنية غير واعية لأنه كان يخطط لتأليف كتاب عن هذا الموضوع بنفسه، إن طموحه في محاكاة الرجل الآخر ليصبح عضواً في دائرتي عبر تأليف كتاب علمي من هذا النوع قاده إلى الذكرى المزيفة الأولى، والثانية، تذكر فيما بعد أن إعلان بائع الكتب الذي استخدمه كأساس لذاكرته المزيفة الأولى يُشير إلى عمل بعنوان (سفر التكوين، قانون الإنجاب)، لقد كنتُ مسؤولاً عن تغيير عنوان الكتاب الذي ذكره فقد أخطأت في اقتباس الاسم، وقلت (محاولة في علم النفس الجنسي) بدلاً من (أساليب علم النفس الجنسي).

ثانياً: نسيان النوايا⁹⁶

ما من مجموعة أخرى من الظواهر التي قد تكون أكثر ملاءمة من ظاهرة نسيان النوايا لإثبات الفرضية القائلة بأن تشتت الانتباه بحد ذاته لا يكفي لتفسير الزلات، تشير النوايا إلى الدافع وراء القيام بعمل ما قرر المرء فعله، وأجل تنفيذه إلى الوقت المناسب، قد يحدث تغيير في الدافع خلال هذه الفترة الزمنية الفاصلة حيث يتسبب هذا النوع من التغيير بعدم تنفيذ النية ليس بسبب نسيانها بل بسبب مراجعتها، ورفضها؛ إن نسيان النوايا كما نفعل يومياً ضمن جميع أنواع المواقف ليس أمراً يوضحه المرء لنفسه عادةً من خلال إعادة تقييم دوافعه حيث يتركه بشكل عام غير مفسر أو يبحث عن توضيح نفسي عبر افتراض فقدان الاهتمام المطلوب عندما يحين وقت تنفيذ هذه النية بالرغم من كون هذا الاهتمام شرطاً أساسياً لتشكيل النية، وبالتالي يجب أن يكون متاحاً في وقت تنفيذه، إن ملاحظة الموقف الطبيعي للإنسان تجاه النوايا يُمكننا من رفض محاولة التفسير هذه باعتبارها تعسفية، إذا نويت في الصباح القيام بأمر ما في المساء فسأذكر الأمر فجأة حين يقترب وقت تنفيذه، مما سيدفعني إلى اتخاذ الاستعدادات اللازمة للإجراء المقصود، إذا خرجت للمشى في نزهة، وأخذت معي رسالة أود وضعها في صندوق البريد، سأمشي بطريقة اعتيادية حيث لن أتصرف كشخص متوتر، ولن أمسك

الرسالة بيدي طوال الوقت، ولن أبحث باستمرار عن صندوق بريد لأرسله فيه؛ بدلاً من ذلك كله، سأضع الرسالة في جيبتي، وأستمتع بنزهتي، وسأسمح لأفكاري بالتجول كما تشاء، وأتوقع أن أي صناديق البريد التي سأراها يتذكروني بوضع يدي في جيبتي وإخراج الرسالة، بمجرد تشكيل النية يتطابق السلوك الطبيعي مع السلوك المستحث تجريبياً للأشخاص الذين قُدم لهم «إحياء عقلي طويل الأمد ما بعد التتويم المغناطيسي» أثناء التتويم المغناطيسي⁹⁷. توصف هذه الظاهرة على النحو الآتي: تكون النية المقترحة كامنة لدى الشخص المعني حتى وقت تنفيذها، ثم تُثار هذه النية مما يدفع الشخص إلى التنفيذ.

ضمن حالتين رئيسيتين في الحياة، يُدرك الجميع حتى الأشخاص العاديون بأن نسيان النية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يُعتبر ظاهرة أولية لا يمكن تتبعها، وأن الدوافع الضمنية موجودة بالفعل؛ تشير هاتين الحالتين إلى حالة الحب، والأمور العسكرية، فالحبيب الذي يُضَيِّع موعده لن يجد لسوء الحظ أي عذر لنسيانه الموعد ليُجعل حبيبته تسامحه فهي لن تتردد في الرد: «ما كنتَ لتنسى ذلك قبل عام، أنت لم تعد تحبني»، وحتى لو لجأ إلى التفسير النفسي المذكور أعلاه، وحاول إعفاء نفسه بالتذرع بضغوط العمل ستجيبه مدركةً الوضع كأي محلل نفسي: «كم هو غريب أن مخاوف العمل لم تكن تزعجك أبداً في السابق!» لن تنكر الحبيبة بالطبع أنه ربما قد نسي الموعد فعلاً لكنّها ستفكر مع بعض التبرير بأن الاستنتاج نفسه - أي برود مشاعره تجاهها - يُستخلص من النسيان غير المقصود كعذر واعي.

ينطبق الأمر ذاته على الأمور العسكرية حيث لا يؤخذ بأي تمييز بين النسيان غير المقصود، والنسيان المتعمد من حيث المبدأ، وهذا أمر عادل، يجب ألا ينسى الجندي ما تطلبه خدمته العسكرية، وإن نسي ذلك برغم معرفته بما عليه القيام به، ستتعارض الدوافع التي تحثه على أداء واجبه العسكري مع دوافع أخرى مضادة، الرجل الذي يؤدي الخدمة العسكرية لمدة عام مثلاً، ويحاول تقديم الأعداء في عرض عسكري بالقول إنه نسي تلميع أزراره لن يفلت من العقاب، لكنّ هذه العقوبة لا تُقارن بما قد يخاطر به إذا أخبر قائده بالسبب الحقيقي لغفلته: «أنا أكره الخدمة العسكرية، وكل هذه

التدريبات البائسة»، إذن، يبدو منطقياً استخدامه للنسيان كذريعة أو كحل وسط لتجنيب نفسه العقوبة التي قد يتكبد بها.

تتطلب علاقات الحب، والخدمة العسكرية استحالة نسيان أي شيء يتعلق بها مما يوحى بجواز نسيان الأشياء غير المهمة؛ حيث يشير نسيان الأشياء الهامة إلى التعامل معها على أنها غير هامة، وبالتالي يعتبر بمثابة إنكار لأهميتها في المطلق⁹⁸، لا يمكن استبعاد وجهة نظر التقييم النفسي هنا، فما من أحد ينسى فعل شيئاً هاماً بالنسبة له دون أن يُشتبه بإصابته باضطراب عقلي، وعليه، تغطي دراستنا هنا نسيان النوايا التافهة إلى حد ما؛ لكن لا يمكن اعتبارها غير هامة بشكل مطلق حيث لن تتشكل النية على الإطلاق في هذه الحالة.

كما هو الحال في الاضطرابات الوظيفية الموضحة سابقاً، قمت بجمع حالات لاحظت فيها أنني أهملت القيام بشيء ما لأنني نسيت، وحاولت تسليط الضوء على هذه الحالات، لقد وجدت بشكل عام أن هذه الحالات يمكن إرجاعها إلى تدخل دوافع أخرى غير معروفة، وغير ظاهرة أو إن صح التعبير إلى إرادة مضادة في إشارة للسلبية، لقد وجدت نفسي في بعض هذه الحالات ضمن وضع مشابه للخدمة العسكرية تحت إجمار لم أتخل عن المقاومة ضده حيث كنت أحتج بالنسيان، أميل عادةً على سبيل المثال إلى نسيان إرسال التمنيات الطيبة في أعياد الميلاد، واحتفالات الذكرى السنوية، وحفلات الزفاف، والعروض الترويجية المهنية حيث أعترم دائماً إرسال التهنية، وأنا مقتنع بشكل متزايد بأنني لن أنجح في ذلك، أنا الآن على وشك التخلي عن هذه النية، والسماح بوعي للدوافع التي تقاومها بأن تنتصر، عندما كنت في المرحلة الانتقالية، طلب مني صديقي إرسال برقية تهنية نيابة عنه مع برقية التهنية خاصتي في تاريخ معين، فأخبرته مسبقاً أنني سأنسى كليهما، وليس مُستغرباً أن نبوءتي تحققت، إن السبب الذي يجعلني أشعر بعدم القدرة على تقديم تعبيرات حسن النية التي تبدو مبالغ بها؛ حيث لا تتطابق العبارات المناسبة مع القدر الضئيل جداً من المشاعر التي أشعر بها، يتمثل في أمور متعلقة بالتجارب المؤلمة في حياتي الخاصة، لقد أدركت أنني أخذ كلمات الآخرين عن حسن نية في ظاهرها، لكنني أشعر بالكراهية للعبارات التقليدية التي تعبر التعاطف برغم رؤيتي لفائدتها الاجتماعية، تجدر الإشارة إلى أن تقديم التعازي في وفاة شخص ما تُعد استثناء لموقفي

المتناقض حيث عندما أحسم أمري لإرسالها أفعل ذلك في الحال، ولا يتسبب النسيان بإعاقة التعبير عن مشاعري عندما لا يكون لها علاقة بالواجب الاجتماعي.

يقدم الملازم الأول ص. من تجربته كأسير حرب حالة نسيان قُمع فيها مقصده، وظهر لاحقاً كفعل «إرادة مضادة»، مما أدى إلى وضع مؤسف: - تعرّض ضابط في معسكر أسرى الحرب للإهانة من قبل أحد زملاءه، لتجنب المزيد من المشاكل، نوى الاستفادة من أحد أشكال السلطة المتاحة له، وجعل الرجل الآخر ينتقل إلى معسكر مختلف، لكنه قرر خلافاً لرغبته السرية بناءً على نصيحة العديد من الأصدقاء، وامتنع عن اتخاذ الخط التقليدي الشريف المتمثل في التحدي، والذي سينتج عنه العديد عدد من النتائج غير المرغوب فيها، كان على الضابط القائد في الصباح ذاته أن يقوم بمناداة أسماء الضباط تحت إشراف القائد الأعلى للمعسكر، لقد كان يعرف رفاقه لفترة طويلة، ولم يسبق له أن أخطأ في قراءة القائمة، إلا أنه حذف اليوم اسم الرجل الذي أهانه؛ فاضطر إلى البقاء في ساحة العرض العسكري بعد أن غادر جميع رفاقه لتوضيح الخطأ، كان الاسم المنسي في مكان واضح تماماً في منتصف الورقة، وقد اعتبر أحد الأطراف المعنية هذه الحادثة إهانة متعمدة، واعتبرها الطرف الآخر حادثاً مؤسفاً، ومربكاً قد يُساء تفسيره، لقد قرأ بطل هذه القصة كتاب علم النفس المرضي لفرويد، واستخلص الاستنتاجات الصحيحة حول ما حدث بالضبط.

هناك تفسير مشابه للحالات التي ينسى فيها المرء القيام بأمر ما وعد بعمله لصالح شخص آخر، وذلك لأن هذا الواجب التقليدي يتعارض مع رأيه الشخصي الذي لم يُصرّح به، ضمن هذه الحالات، يعتقد الشخص المطلوب منه الفعل أن نسيان الفعل يشكّل عذر، بينما يُقدّم الشخص الذي طلب الفعل لنفسه الإجابة الصحيحة بلا شك: لا بد أنه غير مهتم، وإلا لم يكن لينسى ذلك، يوصف البعض بأنهم شديدي النسيان، ويُغفر لهم ذلك بنفس الطريقة التي يُسامح بها قصير النظر حين لا يُلقي التحية على أحد معارفه في الشارع⁹⁹، ينسى هؤلاء الأشخاص كل الوعود الصغيرة التي قطعوها، ويتجاهلون جميع المهام المطلوب منهم أدائها، وبالتالي يظهرون بصورة من لا يمكن الاعتماد عليه في الأمور الصغيرة، ويوضحون أن هذه الإساءات الصغيرة التي يرتكبونها يجب ألا تؤخذ بسلبية - أي عدم تفسيرها بأنها أفعالهم الشخصية بل يجب أن تُنسب إلى شيء عضوي فيهم¹⁰⁰، لستُ شخصياً واحداً

من هؤلاء، ولم تتح لي الفرصة لتحليل تصرفات هؤلاء الأشخاص لاكتشاف الدافع وراء غفلاتهم بالنظر إلى ما يختارون نسيانه، لكن مقارنةً مع الحالات الأخرى، لا يسعني سوى الشك بأن الاستخفاف غير المعترف به تجاه شخص معين يُشكّل دافع ما يستخدم هذا العامل الأساسي لغاياته الخاصة¹⁰¹.

يصعب في الحالات الأخرى العثور على دوافع النسيان، وبمجرد اكتشافها تتسبب بإثارة الشعور المكثف بعدم الرضا على نحو مفاجئ، لاحظت في الماضي أنه أثناء قياسي بزيارات كثيرة للمرضى، لم أنسى سوى الزيارات التي أجريتها لأشخاص بالمجان أو لزملائي، وقد شعرت بالخجل من ذلك فجعلت تسجيل الزيارات التي سأقوم بها خلال اليوم عادتي الصباحية، لا أعلم إن كان أي أطباء آخرين تبنوا هذه العادة بنفس الطريقة، لكنّها تقدّم صورة عن الأسباب التي تجعل المصاب بوهن الأعصاب يكتب المعلومات التي يريد إعطاؤها للطبيب في «ملاحظاته» عديمة الفائدة، يبدو أن المريض لا يثق بقدرة ذاكرته على تذكر أعراضه، وقد يكون على حق، إلا أن ما يحدث عادةً كالآتي: يصف المريض أعراضه المختلفة ويطرح أسئلته بطريقة مطوّلة، وتفصيلية، ثم يتوقف للحظة حين ينتهي، ويخرج ملاحظاته، ويقول باعتذار: «لقد كتبت بعض الأشياء لأن ذاكرتي سيئة»، وكقاعدة عامة لا تحتوي هذه الملاحظات على أي جديد، يتطرق المريض إلى كل نقطة مرة أخرى، ويجب عليها بنفسه: «نعم، لقد سألتك ذلك بالفعل»، قد تُظهر ملاحظاته أحد أعراضه: معدل تكرار عرقلة نواياه بسبب تدخل الدوافع غير الواضحة.

سأشير هنا إلى أمر يتعرض له غالبية الأشخاص الأصحاء الذين أعرفهم: لقد وجدت أنني كنتُ أنسى بسهولة إعادة الكتب التي استعرتها، وأحتفظ بها لفترة طويلة، وكنتُ أميل إلى تأجيل دفع الفواتير بنسيانها، قبل فترة قصيرة، غادرت في صباح أحد الأيام محل بيع التبغ الذي أشتري منه السيجار يوميًا دون أن أدفع، وقد كان ذلك نسياناً بريئاً تماماً لأنني عميل منتظم هناك، وبالتالي توقعت أن يُذكّوني بما أدين به لهم في اليوم التالي، بالرغم من ذلك، لا بد أن النسيان البسيط، ومحاولة تسديد الديون مرتبط بالأفكار المتعلقة بحالتي المالية التي كانت تشغلني طوال اليوم السابق، يسهل العثور على آثار للتصرفات المتناقضة حتى لدى الأشخاص الذين يُطلق عليهم ذوي السلوك الجيد عندما

يتعلق الأمر بالمال، والممتلكات، حتى أن جشع الطفل البدائي في محاولة الاستيلاء على كل ما يمكنه الإمساك به (ووضعه في فمه) قد يثبت أن الإنسان تغلب على ذلك الجشع بشكل غير كامل من خلال الثقافة، والتعليم¹⁰².

قد تكون جميع الأمثلة المذكورة أعلاه عادية إلى حد ما، إلا أنه لا مانع من الإشارة إلى الأمور المعروفة لدى الجميع، ويفهمها الجميع لأن الهدف هنا يتمثل بجمع أمثلة يومية، وإخضاعها للدراسة العلمية، لا أفهم لماذا يجب رفض قبول الأفكار التي تعكس تجربتنا المشتركة في الحياة اليومية، وإخراجها من فئة النتائج العلمية، لا تكمن السمة الأساسية للدراسة العلمية في تباين موضوعاتها بل في منهجيتها الصارمة نحو الخروج بنتائج محددة، ومحاولة إنشاء روابط بعيدة المدى.

نجد أن النوايا ذات الأهمية البسيطة تُنسى بشكل عام عندما تعارضها دوافع غير واضحة، حتى ضمن النوايا الأقل، إن التحول إلى نية إرادة مضادة سلبية من مصدر آخر بمجرد إنشاء رابط خارجي بين المصدر الآخر، ومحتوى النية يشكل آلية مختلفة للنسيان، ينتمي المثال التالي إلى هذه الفئة: أحب استخدام ورق نشاف من نوع جيد، لذا اعتدت أن أتمشى في المدينة الداخلية خلال فترة ما بعد الظهيرة لشراء بعض منها، لكنني نسيت فعل ذلك لأربعة أيام متتالية حتى وقفت لأسأل نفسي عن السبب، لقد وجدت سهولة في شرح هذا النسيان حين تذكرت أنني معتاد على كتابة كلمة (لوشباير Löschpapier -) أي ورق نشاف، لكن أستخدم في الحديث العادي مصطلح بديل (فليسباير Fliesspapier) بنفس المعنى، يشير المقطع الأول من الكلمة (فليس - Fliess) إلى اسم صديق في برلين تسبب لي بالتفكير المقلق، والمؤلم في الأيام المذكورة، لم أستطع التخلص من هذه الأفكار، إلا أن عقلي عبّر عن «الميل إلى مقاومة الذكريات المؤلمة» من خلال الانتقال إلى إعاقة نواياي غير الهامة، وبالتالي ليست شديدة المقاومة عبر رابط تشابه الكلمة.

تتطابق الإرادة المضادة المباشرة، ودافع آخر البعيد في الحالة الآتية: ضمن كتاب مجموعة المقالات «المشاكل الحدية للحياة العصبية، والنفسية¹⁰³»، كتبت مقالاً قصيراً عن الأحلام لخص محتوى كتابي تفسير الأحلام، أرسل لي الناشر بيرجمان من فيسبادن مجموعة من المسودات، وطلب مني

إعادتها بأسرع وقت لأنه أراد إصدار المجموعة قبل عيد الميلاد، قمت بتصحيح المسودات في تلك الليلة، ووضعتها على مكتبي استعداداً لأخذها معي في صباح اليوم التالي، إلا أنني نسيتها في الصباح، ولم أتذكر المسودات إلا بعد ظهر ذلك اليوم عندما رأيت غلافها على مكتبي، ولكنني مرة أخرى نسيت إرسالها في ذلك الوقت، وفي المساء، وفي صباح اليوم التالي، حتى أجبرت نفسي، وأخذتها إلى صندوق البريد بعد ظهر اليوم الثاني، متسائلاً عن سبب تأخري.

يبدو جلياً أن هناك سبب ما لعدم رغبتني في إرسالها، لكنني لم أستطع تحديد هذا السبب، أثناء جولة المشي ذاتها بحثت عن ناشري في فيينا، ناشر كتاب تفسير الأحلام، وطلبت منه شيئاً ما، وأخبرته كما لو أن فكرة مفاجئة صدمتني: «أفترض أنك تعلم بأنني أعدت كتابة محتوى كتاب تفسير أحلام»، فصرخ قائلاً: «أوه، لا!»، فأجبت: «لا، لا تقلق، إنها مجرد مقالة قصيرة لمجموعة مقالات»، لكنه ضل مستاءً فقد كان يخشى أن تضر مساهمتي في المجموعة بمبيعات كتابي، فأكدت له أن ذلك لن يحدث، وقلت: «لو سألت عن ذلك في المقام الأول، هل كنت ستمنعني من نشر المقال؟»، أجاب: «لا، بالطبع لا»، أعتقد شخصياً أنني تصرفت بالكامل ضمن حقوقي، ولم أفعل سوى ما يفعله الجميع عادةً، لكن يبدو لي الآن أنه كان لدي بعض التحفظات بشأن كتابة المقال على غرار الشكوك التي عبّر عنها ناشري، وقد حفزت تلك التحفظات عدم رغبتني في إرسال المسودات، لقد نشأت هذه التحفظات من حادثة سابقة لناشر آخر أثار ضجة عندما أخذت مضطراً عدة صفحات من عمل سابق لي حول شلل الأطفال الدماغية، ونشرته بالتعاون مع دار نشر أخرى، وأدرجت هذه الصفحات دون تغيير في مناقشتي لنفس الموضوع في دليل نوثناجل (Nothnagel's Manual)، لم يكن لدى أحد سبب وجيه ليلومني في هذه الحالة حيث أخبرت ناشري الأول (ناشر كتاب تفسير الأحلام) بما كنت أنوي فعله، إن نظرتُ إلى هذه السلسلة من الذكريات بمزيد من الدقة، سيقودني ذلك إلى حالة سابقة، وترجمة من الفرنسية، عندما انتهكتُ فعلاً حقوق الملكية الفكرية في أحد الكتب حيث أضفت ملاحظاتي الخاصة إلى النص المترجم دون طلب إذن المؤلف، وبعد بضع سنوات أعتقد أنه لم يكن سعيداً بهذا الفعل غير المرخص.

يقول المثل الذي يعكس المعرفة المنتشرة لدى الجميع بأن النوايا لا تُنسى بالصدفة: «الأمر الذي تنسى فعله مرة، ستنتساه في كل مرة»، يصعب في بعض الأحيان تجنب الانطباع العام بأن كل ما يمكن قوله عن النسيان، والزلات معروف بالفعل لدى الجميع، ومقبول باعتباره أمراً طبيعياً، لذا يبدو غريباً أن يحتاج المرء إلى تسليط الضوء على هذه الحقائق المعروفة ليُدركها العقل الواعي! لقد سمعت مراراً، وتكراراً أحدهم يقول: «أوه، لا تطلب مني ذلك فأنا متأكد من أنني سأنسى!»، لذا ما من شيء غامض حول دقة النبوءة؛ فالشخص الذي قام بذلك يعلم نيته بعدم القيام بالمهمة؛ لكنه فقط لا يرغب الاعتراف بذلك.

يمكن تسليط الضوء على الطريقة التي ننسى بها النوايا من خلال الإشارة إلى ما يُسمى بتشكيل النوايا الخاطئة، لقد وعدت ذات مرة مؤلفاً شاباً بكتابة مراجعة لعمله الموجز، لكنني أجلته بسبب نوعاً من المقاومة الداخلية التي لم أكن أدركها إلى أن دفعني إصراره عليّ في أحد الأيام إلى أن وعدته بأنني سأفعل ذلك في المساء ذاته، وكنت أنوي فعل ذلك بجدية، لكنني نسيت أنه في تلك الليلة عليّ كتابة تقريراً لا يمكن تأجيله، بمجرد أن أدركت أن نيتي خاطئة، تخليت عن المعركة ضد مقاومتي، وأخبرت المؤلف الشاب أنني لن أكتب المراجعة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



الفصل الثامن: الأفعال غير المقصودة

أُقتبس الفقرة الآتية من عمل ميرينجر وماير المذكور أعلاه: «لا تأتي زلة اللسان بشكل منعزل، ولكنها تتوافق مع تلك الزلات التي تحدث غالباً أثناء أنواع أخرى من الأنشطة البشرية، وتُنسب بطريقة بسيطة إلى حد ما إلى النسيان» لذا، لستُ أول من اشتبه بوجود أهمية، ونية معينة وراء الاضطرابات الوظيفية الصغيرة في الحياة اليومية للأشخاص الأصحاء¹⁰⁴.

يُشتبه بوجود أهمية، ونية وراء الاضطرابات الوظيفية الصغيرة في الحياة اليومية للأشخاص الأصحاء، إذا فُتح المجال لمثل هذا التفسير بناءً على زلة اللسان (باعتبار التحدث كوظيفة حركية)، سيظهر بوضوح إمكانية توقع عمل الأخطاء في الوظائف الحركية الأخرى بنفس الطريقة، لقد أعددت هنا مجموعتين من الحالات؛ (1) الحالات التي يبدو أن العامل الأساسي فيها يتمثل بتأثير الفشل نفسه - الانحراف عن النية - وصفتها بأنها «أفعال غير مقصودة»، (2) الحالات المعاكسة التي يبدو فيها الفعل غير مناسب - وصفتها بأنها «الأفعال العرضية الدّالة» بالرغم من هذا التقسيم، لا يمكن التمييز بشكل واضح بينهما، يجب الاعتراف بأن جميع الفئات المذكورة في هذا الكتاب لها أهمية وصفية فقط، الأمر الذي يتعارض مع الاتساق العام الذي نجده في مثل هذه الظواهر ككل.

يبدو أن الفهم السيكولوجي لـ «الأفعال غير المقصودة» لا يحظى بتشجيع ملحوظ إذا صُنفت هذه الأفعال على أنها حالات «ترنح»، ولا سيما الترنح القشري، بدلاً من ذلك، سأحاول تتبع بعض الأمثلة الفردية لمعرفة الظروف التي حدثت فيها، مرة أخرى، سأستخدم الملاحظات الذاتية بالرغم من عدم تكرار هذه الظاهرة في حالتي.

1. كنت في الماضي أزور المرضى في المنزل بشكل متكرر أكثر مما أفعل الآن، وكنتُ غالباً ما كنت أصل إلى الباب حيث عليّ أن أطرق الباب أو أقرع الجرس، فأخرج مفتاح الباب الأمامي لبيتي من جيبي ثم أعيدته مرة أخرى شاعراً بالخجل إلى حد كبير، عندما أحاول تحديد المرضى الذين حدث معهم ذلك، لا يمكنني إلا أن افترض أن الفعل غير المقصود - إخراج مفتاحي بدلاً من قرع الجرس - عبارة عن مجاملة للمكان الذي ارتكبت فيه هذه الزلة، لقد كان الأمر بمثابة التفكير على النحو

الآتي: «أشعر أنني في بيتي هنا»، حيث لم حدث ذلك إلا عند زيارة مريض أحبه، (وبالطبع أنا لا أدق جرس الباب الأمامي لمنزلي أبداً).

لقد كان الفعل غير المقصود تمثيل رمزي لفكرة يحددها أمر معين لم يكن في الحقيقة افتراضاً واعياً جاداً لأنني في الواقع كطبيب أعصاب أعرف تماماً أن المريض سيبقى قريب مني طالما يتوقع الاستفادة من العلاقة، بينما يهتم طبيب الأعصاب بمرضاه بشكل غير عادي حتى يتمكن من تقديم المساعدة النفسية، توضّح العديد من الملاحظات الذاتية للآخرين أن هذا التصرف الهام لاستخدام المفتاح لم يكن غريبة بالنسبة لي بأي حال من الأحوال.

يصف ألفونس مايدر¹⁰⁵ حالة مماثلة تقريباً لتجربتي الخاصة: تعرّض الجميع تقريباً إلى موقف يُخرجون فيه مفاتيحهم عند الوصول إلى باب صديق مقرب ليفاجئوا بأنفسهم يحاولون فتح الباب كما لو كان باب بيتهم الخاص، يتأخر هؤلاء أماما الباب حيث يتعين عليهم قرع الجرس بعد كل شيء، ولكن هذا دليل على شعورهم - أو رغبتهم بالشعور - بأنهم في منزلهم مع هذا الصديق.

يقول إدوارد جونز¹⁰⁶: «يعتبر استخدام المفاتيح مصدر خصب لوقائع من هذا النوع ويمكن إعطاء مثالين على ذلك، إذا تعرّضت للتشويش بالاضطرار إلى الذهاب إلى المستشفى للقيام بعمل روتيني في خضم القيام ببعض الأعمال المليئة بالحيوية في المنزل، فأميل إلى إيجاد نفسي أحاول فتح باب المختبر في المستشفى بمفتاح مكتبي في المنزل بالرغم من أن المفتاحين يختلفان تماماً عن بعضهما البعض، يوضح هذا الخطأ دون وعي المكان الذي أفضل أن أكون في الوقت الحالي.

كنت قبل بضع سنوات أشغل منصب ثانوي في مؤسسة معينة، وكان بابها الأمامي مغلق بشكل دائم بحيث كان عليّ قرع الجرس للدخول، ووجدت نفسي في عدة مرات أقوم بمحاولات جادة لفتح هذا الباب بمفتاح منزلي، لقد زوّد الموظفين الدائمين الذين كنت أطمح لأكون عضواً منهم بمفتاح لتجنب عناء الاضطرار إلى الانتظار أمام الباب، وهكذا عبرت أخطائي عن رغبتني في أن أكون مثلهم، وأن أكون «في المنزل» تماماً في هذا المكان، يقدم الدكتور هانز ساكس سرداً لحادث مماثل:

«أحمل معي دائماً مفتاحين أحدهما لباب مكتبي، والآخر لباب منزلي، ليس من السهل الخلط بينهما على الإطلاق لأن مفتاح المكتب أكبر من مفتاح المنزل بثلاثة أضعاف، وأحمل المفتاح الأول في جيب بنطالي والآخر في جيب المعطف، إلا أنني لاحظت غالباً عندما كنت أقف أمام أحد الأبواب أنني أخرج المفتاح الخطأ أثناء صعودي السلالم، فقررت إجراء تجربة إحصائية، بما أنني أقترّب من البابين في نفس الحالة الذهنية إلى حدٍ ما كل يوم، فلا بد أن تُظهر عملية خلط المفتاحين ميلاً منتظماً إن كان ورائها إصرار نفسي من نوع مختلف، أظهرت ملاحظاتي اللاحقة أنني كنت بانتظام أخرج مفتاح المنزل أمام باب مكتبي؛ لكنني فعلت العكس مرة واحدة فقط، عندما عدت إلى المنزل أشعر بالتعب، ولكنني كنت أعرف أن هناك ضيفاً ينتظرني، فحاولت فتح باب المنزل بمفتاح المكتب الذي كان بالطبع كبيراً جداً».

2. لقد اعتدت في مبنى معين الذهاب إلى باب محدد في الطابق الثاني مرتين يومياً في أوقات محددة على مدى ست سنوات، تصادف في حالتين خلال هذه الفترة الطويلة من الزمن (مع فاصل زمني قصير بينهما) أن أصعد إلى طابق مرتفع جداً، وهكذا كنت أصعد الطريق الخطأ (الفعل الماضي فيرستيجن - verstiegen، من الفعل فيرستيجن - versteigen أي أن تضيق عند تسلق الجبال)، لقد انغمست في المرة الأولى في أحلام اليقظة الطموحة التي كنت فيها «أتسلق صعوداً، وأتقدم للأمام»، حتى أنني لم أسمع صوت فتح الباب المعني عندما صعدت الدرج الأول المؤدي إلى الطابق الثالث، صعدت في المرة الثانية مرة أخرى بعيداً جداً عن الطابق الثاني بينما كنت ضائعاً في التفكير، وعندما لاحظت ذلك عدت إلى الورا، وحاولت تحديد الخيال الذي يشغل ذهني، لقد اكتشفت أنني كنت غاضباً من النقد الخيالي لكتاباتي حيث اتهمتُ دائماً «بالذهاب بعيداً جداً» حيث كان علي الآن استخدام تعبير غير محترم جداً لكوني فيرستيجن - verstiegen (أي حرفياً «بعد أن تسلقت الطريق الخطأ»، لكن تعني بالعامية «عالية المستوى، غريب الأطوار» لوصف الأسلوب الأدبي).

3. كانت هناك مطرقة إنعكاس، وشوكة رنانة على مكتبي جنباً إلى جنب لسنوات عديدة، كنت ذات يوم على عجلة من أمري في نهاية ساعات الاستشارة الخاصة بي، لأنني أردت ركوب قطار محلي معين في المدينة وفي وضح النهار، ووضعت الشوكة الرنانة بدلاً من المطرقة في جيب معطفي،

ونبهني وزن الجسم الذي يجرب جيبتي لخطئي، أي شخص غير معتاد على التفكير كثيرًا في هذه الحوادث الصغيرة سيشرح الأمر بعذر الاستعجال بلا شك، بينما سألت نفسي لماذا التقطت الشوكة الرنانة، بدلاً من المطرقة فقد يكون استعجالي سبب وجيه لأقوم بالفعل الصحيح حتى لا أضيع أي وقت في تصحيح الأمور، عندها خطر ببالي السؤال الآتي: من الذي لمس الشوكة الرنانة آخر مرة؟، وكانت الإجابة أن طفلاً غيباً قبل أيام قليلة فعل ذلك عندما كنت أتأكد من انطباعاته الحسية، فقد كان مفتوناً بالشوكة الرنانة لدرجة أنني واجهت صعوبة في إقناعه بالتخلي عنها، هل يعني ذلك أنني كنت أحمق أيضاً؟ يبدو الأمر كذلك بالتأكيد، لأن الفكرة التالية التي ربطتها بـ «المطرقة» (هامر - Hammer) كانت كلمة (تشامر - chamer أي حمار بالعبرية).

لكن لماذا أصف نفسي بالأحمق؟ كان علي حينها النظر إلى الموقف ذاته، لقد كنت في عجلة من أمري لإجراء استشارة في مكان ما على خط السكة الحديد الغربي لزيارة مريضة سقطت من شرفتها قبل أشهر، ولم تتمكن من المشي منذ ذلك الحين بحسب تاريخها الطبي الموصوف لي في رسالة، كتب الطبيب الذي تواصلت معي للاستشارة أنه لا يزال غير متأكد ما إذا كانت هذه حالة إصابة في النخاع الشوكي أو عصاب الصدمة - الهستيريا، لقد استدعاني هذا الطبيب لاتخاذ القرار، لذا كان علي أن أذكر نفسي بالخطر الشديد في المسألة الحساسة للتشخيص الحاسم، يعتقد زملائي بأي حال من الأحوال أن تشخيص الهستيريا يجري بشكل عفوي جداً في حين أن المشكلة في الواقع أكثر خطورة، لا يستعدي ذلك كله أن أصف نفسي بالأحمق! لكنني تذكرت أنني رأيت شاباً لا يستطيع المشي بشكل صحيح قبل سنوات نتيجة اضطراب عاطفي في نفس المنطقة التي كنت على وشك الذهاب إليها بقطار ليأخذني إلى محطة سكة الحديد الصغيرة لتلك المنطقة، كنت قد شخّصت الهستيريا في ذلك الوقت، وأخذت المريض إلى العلاج النفسي لكن اتضح أن تشخيصي الصحيح في الواقع لم يغط كل شيء، لقد كانت أغلب أعراض المريض تتعلق بالهستيريا، واختفت على الفور أثناء العلاج، ولكن كان يمكن بعد ذلك رؤية الأعراض المتبقية التي يتعذر علاجها، وتدل على التصلب اللويحي المتعدد، لقد استطاع الأطباء الذين فحصوا المريض بعدي تحديد مرضه العضوي بسهولة، بينما لم يكن بإمكانني فعل شيء بخلاف ما فعلت، ولم أتمكن من الوصول إلى نتيجة مختلفة، لكن كان هناك انطباع بأنني ارتكبت خطأ فادحاً، وبالطبع لم أستطع علاجه كما وعدت؛ إذن، يمكن وصف خطئي المتمثل

في النقاط الشوكة الرنانة بدلاً من المطرقة على النحو التالي: أيها الأحمق، أيها الحمار، تعال، واجمع نفسك، وتأكد من عدم تشخيص الهستيريا مرة أخرى حيث يوجد مرض عضال كما فعلت مع ذلك الرجل المسكين في نفس المكان منذ سنوات! ولحسن الحظ لتحليلي الصغير، وبالرغم من عدم تأثير ذلك على حالتي الذهنية، كان نفس الرجل المصاب بالتصلب اللويحي الشديد في غرفتي الاستشارية قبل أيام قليلة فقط في اليوم التالي لرؤيتي الطفل الأحمق.

تجدر الإشارة إلى أن صوت النقد الذاتي أصبح مسموعاً في هذه الحالة من خلال الفعل غير المقصود حيث تكون هذه الأحداث وسيلة لتوبيخ الذات، يمثل الفعل غير المقصود في هذه الحالة فعلاً مشابهاً تم ارتكابه في مكان آخر.

4. قد يخدم الفعل غير المقصود سلسلة كاملة من النوايا الغامضة الأخرى، أضيف هنا مثال واحد على ذلك: أنا لا أكسر الأشياء عادةً ليس لأنني جيد باستخدام يدي، ولكن ما من خطب يتعلق بالسلامة التشريحية لأنظمتي العصبية، والعضلية يُسبب حركات خرقاء ذات عواقب مؤسفة، لذا لا أذكر أبداً كسر أي شيء في منزلي، لا يضم مكتبي مساحة كبيرة حيث احتفظ بمجموعة صغيرة من الفخار العتيق، والأشياء الحجرية، وعند التعامل مع هذه القطع يتعين عليّ غالباً القيام بذلك في أوضاع محرجة جداً، لقد اعتاد الناس الذين يراقبونني التعبير عن خوفهم من أن أسقط شيئاً ما، وأكسره لكنني لم أفعل ذلك أبداً، فلماذا إذن أسقطت ذات مرة الغطاء الرخامي للحبر العادي على الأرض، وكسرتة؟

كانت المَحْبَرَة الخاصة بي عبارة عن لوح من رخام أونثيرسبيرج مجوف يضم محبرة زجاجية داخله بغطاء مصنوع من نفس الحجر، ومقبض، وكان خلف المَحْبَرَة صف من التماثيل البرونزية، والتماثيل المصنوعة من الطين مرتبة في دائرة، جلست على مكتبي لأكتب، وقمت بحركة خرقاء غامضة، ويدي تمسك بالقلم، وطرقت غطاء المَحْبَرَة الذي كان مُلقى على مكتبي فوق على الأرض، لا يصعب تفسير هذا الموقف بالإشارة إلى أن أختي قبل ساعات قليلة كانت في الغرفة لترى بعض مقتنياتي الجديدة، وأعجبته، ثم قالت: «مكتبك يبدو رائعاً حقاً الآن، باستثناء المَحْبَرَة التي لا تناسب البقية، يجب أن تمتلك واحدة أجمل».

غادرت الغرفة مع أختي، ولم أعد لبضع ساعات، لكنني عدت بعد ذلك، ونفذت الحكم الذي نطقته، وأعدمت المحبرة المدانة، هل استتجت من كلمات أختي أنها في المرة القادمة التي ستتاح لها فرصة تقدم هدية لي ستمنحني محبرة أفضل فكسرت المحبرة القديمة البسيطة لأتأكد من أنها ستنفذ الخطة التي أشارت إليها؟ إذا كان الأمر كذلك فعلاً، فإن حركتي الكاسحة كانت خرقاء ظاهرياً لكنها محترفة، وهادفة في الواقع لأنني حاولت تجنب كل الأشياء القيّمة القريبة من المحبرة.

أعتقد أننا يجب أن نفترض وجود عدد هائل من الحركات الخرقاء التي تبدو كأنها حوادث، ويمكن تفسيرها بهذه الطريقة، قد يكون في هذه الحركات شيء من العنف، والتشنج كأنها حركات تشنجية أو ترنحية، لكنها تخون طبيعتها المقصودة، وتُحقق هدفها بيقين لا نجده دائماً في الحركات الواعية، والطوعية، تتصف هذه الحركات بخاصيتين: العنف، والهدف المؤكد، وتشترك بذلك مع التعبيرات الحركية للعصاب الهستيري، وإلى حد ما مع الظواهر الحركية للسير أثناء النوم حيث تشير هذه السمات في كلتا الحالتين إلى نفس التعديل اللاواعي لعملية التغذية العصبية.

تُظهر ملاحظة ذاتية للسيدة لو أندرياس سالومي بشكل مقنع كيف يمكن استخدام «الحركات الخرقاء» المستمرة بمهارة شديدة لصالح النوايا غير المعترف بها، «عندما كان هناك نقصاً عاماً في الحليب وأصبح مكلفاً جداً، وجدت أنني ظللت أتركه يغلي، وينسكب مما أثار انزعاجي، وجعلني أنتبه بحذر بشكل دائم، حاولت عبثاً أن أتغلب على هذا الميل دون جدوى بالرغم من أنني لا أستطيع اتهام نفسي بشرود الذهن أو الإهمال بأي شكل، وإلا كان سيكون لدي على الأغلب سبب وجيه لذلك بعد موت كلبتي المحبوب الذي كان يُدعى «صديق» (بالروسية: دروجوك - Drujok)، وهو اسم يستحقه مثل أي إنسان، حيث لم أترك قطرة من الحليب تغلي، وتنسكب مرة أخرى بعد وفاته، كانت فكرتي الأولى حول ذلك: «يا له من شيء جيد؛ فالحليب الذي يغلي على الموقد، ويقطر على الأرض لن يكون مفيداً لأي شخص الآن!»، فرأيت عندها صورة «صديقي» جالساً أمامي يراقبني، وأنا أطهو، ويميل رأسه قليلاً إلى جانب واحد، ويهز نهاية ذيله على أمل - ينتظر واثقاً حدوث حادثتي الممتعة، لقد وضح ذلك كل شيء، وأظهر أنني كنت مولعةً به أكثر مما كنت أعرف.»

خلال السنوات القليلة الماضية، ومنذ أن بدأت جمع هذه الملاحظات، تعرّضت لإتلاف أو كسر أشياء ذات قيمة في عدة مناسبات، وقد أقنعتني دراسة هذه الحوادث بأنها لم تكن أبدًا صدفة أو حركة خرقاء غير مقصودة، كنتُ أسير في صباح أحد الأيام في غرفة مرتديًا رُوب الحمام، ونعاليًا من القش، وأطعت دافعًا مفاجئًا برّكل أحد فردي النعال تجاه الحائط، فأسقطت مجسمًا صغيراً رخامياً لكوكب الزهرة، وعندما تحطمت إلى أشلاء اقتبست بمرح البيت الآتي من شعر فيلهلم بوش: [عزيزي أنا - تحطّم! لقد انكسرت زهرة ميديشي!]

يمكن تفسير هذا العنف الطائش، وعدم اهتمامي بالضرر الواقع من خلال الإشارة إلى وضعي في ذلك الوقت حيث كانت واحدة من أفراد الأسرة تعاني من مرض خطير ولديّ بالفعل شكوك في إمكانية شفائها، لكن قيل لي في ذلك الصباح عن تحسن كبير في حالتها، وقلت لنفسي: ستعيش بعد كل شيء، لقد ساهم الفعل المدمر في التعبير عن امتناني للقدر، وتقديم «تضحية» كما لو أنني كنت قد أقسمت على التضحية بشيء ما إن تعافت! لا يمكن أن يكون اختياري لكوكب الزهرة كضحية إلا تكريمًا شجاعًا للشفاء، ما زلت بالرغم من ذلك أجد أنه من الغريب أن أحسم أمري بسرعة، وأحدد الهدف بشكل جيد، وأصوب عليه، وأؤكد من عدم الاصطدام بأي من الأشياء المجاورة للتمثال الصغير.

كسرتُ في أحد المرات شيئاً آخر لتجنب الشر مع أهمية ذلك كتضحية حيث انزلق قلم من يدي، لقد سمحت لنفسي بإلقاء اللوم على صديق جيد، ومخلص حيال شيء لم يعتمد على أكثر من تفسيري لإشارات معينة صادرة عن عقله اللاواعي، لقد اعتبر الأمر إهانة، وكتب لي رسالة يطلب مني برجاء عدم تعريض أصدقائي للتحليل النفسي، كان عليّ أن أعترف بأنه على حق، وبدأت بكتابة رسالة لنتصالح؛ أثناء كتابتي لهذه الرسالة، كان أمامي تمثالاً مصرياً لامعاً رائعاً أمتلكه، فكسرتُه كما وصفت للتو، وعرفت على الفور أنني قد فعلت ذلك لتفادي ضرر أكبر، لحسن الحظ، ثبت أنه من الممكن إصلاح كل من الصداقة، والتمثال بشكل جيد بحيث لم يلاحظ أحد الشقوق.

تعرضت لحالة ثالثة كسرتُ فيها شيئاً ما ضمن سياق أقل خطورة: كان الأمر ببساطة حالة إعدام لشيء ما لم أعد أحبه (أستعير هنا عبارة استخدمها فريدريش ثيودور فيشر في روايته واحدة أخرى)، كنتُ منذ فترة أحمل عصا مشي بمقبض فضي، وعندما تضررت الصفيحة الفضية الرقيقة للمقبض دون خطأ مني، أصلحت بشكل سيء، بعد فترة وجيزة من انتهاء إصلاح العصا، وعندما كنت في حالة مزاجية مرحة ذات يوم، استخدمت انحناء المقبض كزاوية لوضع أحد أرجل أطفالي ليقف عليها، وخلال هذه اللعبة بالطبع تحطمت العصا، وتخلصت منها.

إن اللامبالاة التي تعاملت بها مع الضرر في كل هذه الحالات تدلّ على وجود نية غير واعية لإلحاق الضرر، عندما يبحث المرء عن الأسباب الكامنة وراء زلة صغيرة جداً مثل كسر شيء ما، يكتشف روابط تتعمق في التاريخ الماضي له ولا تزال تؤثر على وضعه الحالي، قد يكون التحليل التالي الذي أجراه الدكتور لودفيج جيكلز مثلاً على ذلك.

«يمتلك طبيب مزهرية من الخزف جميلة جداً، ولكنها غير باهظة الثمن، كان قد حصل عليها كهدية من مريضة؛ امرأة متزوجة مع عدد من الأشياء الأخرى بعضها ذو قيمة عالية، عندما أصبح ذهان المرأة واضحاً، أعاد جميع الهدايا التي قدمتها له إلى أسرته باستثناء المزهرية الرخيصة نسبياً حيث شعر أنه غير قادر على الانفصال عنها بزعم أنها كانت جميلة للغاية، إلا أن إبقاء هذا الطبيب الذي كان عادة دقيقاً جداً لهذه المزهرية كلفه صراعاً داخلياً معيناً، فقد كان مدركاً تماماً أن سلوكه غير مناسب، ولم يكن بإمكانه تهدئة ضميره إلا بتقديم الأعذار: لم تكن المزهرية ذات قيمة مادية حقاً، كان من الصعب حزمها مع الأشياء، وهكذا دواليك، كان بعد بضعة أشهر على وشك إصدار تعليماته لمحامي للمطالبة، واسترداد الرسوم المستحقة عن علاج هذه المريضة التي كانت موضع نزاع فعاد توبيخه الذاتي بشكل عابر، وشعر بالقلق في حال اكتشاف أقارب المرأة ما يمكن تسميته باختلاس المزهرية، واستخدامهم لذلك ضده أثناء الإجراءات القانونية، كان العامل الأول، انتقامه الذاتي، قوياً جداً حتى أنه فكر لمرة بالفعل في التخلي عن مطالبتة بالرسوم المستحقة - التي تبلغ قيمتها حوالي مائة مرة أكثر من المزهرية - كنوع من التعويض عن المزهرية التي لم يُعيدها، إلا أنه رأى أن هذه الفكرة كانت سخيفة ورفضها.

بينما ذهنه يغرق بهذه الأفكار، وبالرغم من ندرة كسره للأشياء، وتمتعه بسيطرة ممتازة على نظامه العضلي، حمل المزهريّة من فوق الطاولة لتغيير الماء داخلها، وتعرّض لحركة خرقاء غامضة ليس لها صلة عضوية بما كان يفعله فوقعت المزهرة، وانقسمت إلى خمس أو ست قطع كبيرة، حدث ذلك في الليلة السابقة حين قرر بعد تردد كبير ملء هذه المزهريّة بالورود، ووضعها على طاولة الطعام أمام بعض الضيوف الذين دعاهم، لقد فكر في المزهريّة قبل أن يكسرها مباشرةً، واندesh عندما لم يجدها في غرفة معيشته كالمعتاد، فأعادها من غرفة الطعام بنفسه! عندما التقط قطع المزهريّة بعد صدمته الأولية وجد أنه يمكن إصلاحها بتركيب القطع معاً لتبدو، وكأنها جديدة تقريباً ثم انزلت شطيتان أو ثلاث كبيرة من يديه، وتحطمت إلى ألف قطعة، وذهب معها كل أمل في إصلاحها.

لابد أن هذه الزلة كان لها الأثر على الطبيب فسمحت له برفع قضيته إلى المحكمة عبر تدمير المزهريّة التي احتفظ بها، الأمر الذي منعها إلى حد ما من المطالبة بما حُجب عنه؛ بعيداً عن هذا التحليل المباشر، يمكن لأي محلل نفسي أن يرى معنى أوسع، وأعمق، وأكثر أهمية، ورمزية وراء ذلك، فالمزهريّة ترمز بوضوح للمرأة.

لقد عانى بطل هذه الحكاية من خسارة مأساوية لزوجته الشابة الجميلة، والمحبة، فوقع في حالة عُصاب تسيطر عليها فكرة مسؤوليته عن سوء حظه («لقد كسر مزهريته الجميلة»)، لم يعد قادراً على التواصل مع النساء، وشعر بالكره تجاه الزواج أو أي علاقة حب طويلة الأمد حيث اعتبرها عقله اللاوعي إنكاراً للحب الذي يكنه لزوجته المتوفاة، ولكن يرى عقله الواعي بأنها علاقات ستجلب الحظ السيئ لأي امرأة، فقد تقتل المرأة نفسها من أجله، وهكذا دواليك؛ (بالتالي ليس عليه الاحتفاظ بالمزهريّة بشكل دائم!)، بما أنه يمتلك رغبة جنسية قوية، فليس مستغرباً أبداً أن يرى العلاقات مع النساء المتزوجات، العابرة بطبيعتها، على أنها نوع العلاقات الأنسب بالنسبة له، (تأتي من هنا أهمية احتفاظه بمزهريّة شخص آخر).

يمكن تأكيد هذه الرمزية في العاملين التاليين: أولاً، لقد خضع هذا الطبيب للعلاج النفسي لحالة العصاب، وضمن الجلسة التي تحدث فيها عن كسر المزهريّة الخزفية، ذكر موضوع علاقاته مع

النساء، وقال إنه مُتطلب بشدة، وأصرّ على وجوب أن تكون المرأة ذات جمال خارق، أكد ذلك بوضوح حقيقة أنه ما زال يحب زوجته (التي ماتت، وبالتالي لا تنتمي للأرض)، ولا يريد جمالاً أرضياً عادياً، وبالتالي كسر المزهرية الأرضية، يشير العامل الثاني إلى أنه في الوقت ذاته ضمن سياق التحويل، ابتكر خيالاً للزواج من ابنة الطبيب، وقدم مزهرية كهدية للطبيب كما لو كان يُشير إلى نوع الهدية التي يرغب في الحصول عليها في المقابل، يمكن القول بأن المعنى الرمزي للزلة يتأثر بالعديد من الخيارات الأخرى مثل عدم الرغبة في ملء المزهرية، وما إلى ذلك؛ يبدو لي مدهشاً أن وجود عدة دوافع (اثتان على الأقل) تعمل بشكل منفصل في العقل ما قبل الوعي، والعقل اللاواعي، مما ينعكس على تكرار الزلة: كسر المزهرية، ثم إسقاط القطع مرة أخرى ¹⁰⁷.

5. يمكن القول بأن خبط الأشياء، وإسقاطها، وتحطيمها عبارة عن طريقة للتعبير عن سلسلة أفكار اللاواعي، ويمكن إثبات ذلك بالتحليل، ورؤيته واضحاً جلياً في الأفكار الخرافية أو المضحكة الواردة في الأقوال الشائعة، يعلم الجميع ما يشير إليه رشح الملح أو الطرق على كأس النبيذ، وإسقاط السكين بحيث تلتصق تتجه لأسفل، وتلتصق بالأرض، وهكذا؛ سأعود لاحقاً للحديث عن الادعاءات التي تثير انتباهنا مثل هذه الخرافات، سأشير هنا فقط إلى أن الفعل الأخرق المنعزل ليس له معنى ثابت بأي حال من الأحوال، ولكنه يحدث كوسيلة للكشف عن نية أو أخرى بحسب الظروف.

تحطمت في الآونة الأخيرة كميات غير عادية من الزجاج، والأواني الصينية في منزلي، وقد ساهمت بنفسى بإتلاف العديد من الأشياء، يمكن بسهولة تفسير ذلك الوباء النفسي الصغير العنيف في منزلي بالإشارة إلى أن ذلك حدث في الأيام التي سبقت زفاف ابنتي الكبرى، يُشاع عادةً في المناسبات الاحتفالية مثل حفل الزفاف كسر الأشياء عن قصد، لتمني الحظ، والتوفيق، قد توحى هذه العادة بالتضحية، ويكون لها معنى رمزي آخر.

عندما يسقط الخدم شيئاً هشاً، وينكسر لا يخطر ببالنا التفسيرات النفسية، ولكن هناك احتمال بوجود دوافع خفية متورطة بالأمر، ما من أمر أبعد عن عقل الشخص غير المتعلم من تقدير الفن، والأعمال الفنية، كما يسود العداء غير المُعلن تجاه القطع الفنية بين طبقات الخدم لا سيما عندما تمنحهم هذه

الأشياء التي لا يفهمون قيمتها عملاً إضافياً، غالباً ما يبرهن الأشخاص من نفس الأصل، والتحصيل العلمي المهارة، والموثوقية العالية في التعامل مع الأشياء الدقيقة في المعاهد العلمية بمجرد معرفتهم لأصحاب العمل، واعتبار أنفسهم أعضاء مهمين في فريق العمل.

أضيف هنا بعض الملاحظات من فني شاب ستساهم في تقديم نظرة ثاقبة على الآلية التي يمكن عبرها إتلاف الممتلكات عمداً، كنت أعمل منذ بعض الوقت مع العديد من الزملاء في معمل الجامعة على مجموعة من التجارب المعقدة حول المرونة، وقد كانت مهمة تطوعت من أجلها إلا أنها بدأت تستغرق وقتاً أطول مما توقعنا، عندما ذهبت ذات يوم إلى المختبر مع زميلي ص. قال أن علينا عدم إضاعة الوقت اليوم بالتحديد؛ فقد كان لديه الكثير من الأشياء الأخرى ليقوم بها في المنزل؛ فلم أستطع إلا أن أتفق معه، وقلت نصف مازحاً في إشارة إلى شيء ما حدث في الأسبوع السابق: «حسناً، لنأمل أن تتعطل الماكينة مرة أخرى حتى نتمكن من التوقف عن العمل، والعودة إلى المنزل مبكراً!»، عندما أوكلت إلينا المهام، كان على زميلي س. التحكم في صمام المكبس الهيدروليكي مما يعني ترك السائل تحت الضغط يتدفق ببطء من المُجمّع إلى الأسطوانة عن طريق فتح الصمام بعناية، كان المسؤول عن التجربة واقفاً بجوار مقياس الضغط، وصرخ بصوت عالٍ «توقف!» عندما وصول القياس إلى درجة الضغط المناسبة، استجابةً لهذا الأمر، أخذ زميلي س. الصمام، وقلبه بأقصى ما يستطيع إلى اليسار (جميع الصمامات بدون استثناء تُدار إلى اليمين لإغلاقها!)، مما جعل الضغط الكامل للمُجمّع ينتهي في المكبس، ولم يتم تعديل الأنبوب لأخذ هذا التغيير، وانفجرت الوصلة - وهو حادث غير ضار تماماً للآلة، ولكنه كافٍ للتوقف عن العمل لهذا اليوم، والعودة إلى المنزل، عندما كنا نتحدث عن الحادث بعد مرور بعض الوقت، قال صديقي س. أنه لا يتذكر شيئاً على الإطلاق عنها بالرغم من أنني تذكرت الحادثة بتفاصيلها.

دائماً ما يُفسر السقوط، والتعثر، والانزلاق على أنه اضطراب عرضي بحت لحركة الفرد الجسدية، يشير المعنى المزدوج لتعبير «زلة» بحد ذاته إلى نوع التخيلات المخفية التي يمكن الكشف عنها عند فقد التوازن الجسدي بهذه الطريقة، أتذكر عدداً من الاضطرابات العصبية البسيطة لدى النساء، والفتيات التي تجلت بعد سقوط غير مؤذٍ، واعتبرت هستيريا ما بعد الصدمة، ونتجت عن القلق الذي

شعرنَ به عند السقوط، كان لدي انطباع بأن هذا لم يكن التفسير الحقيقي، وأن السقوط نفسه كان نتيجة حالة عصاب معبرة عن تلك التخيلات الجنسية اللاواعية التي يمكن الشك بأنها القوى الدافعة وراء الأعراض، بعد كل شيء هناك مثل يقول: «عندما تسقط شابة، فإنها تسقط على ظهرها»، ويمكن اعتبار ذلك بنفس الطريقة.

يمكن وصف الحالات التي نعطي فيها للمتسول عملة ذهبية بالخطأ بدلاً من قطعة نحاسية أو فضية على أنها أفعال غير مقصودة، يسهل تحديد معنى هذه الزلة باعتبارها تضحيات تهدف إلى استرضاء القدر، وتجنب المحن، وما إلى ذلك، عندما تعبّر أم أو عمة محبة عن قلقها بشأن صحة طفل قبل الذهاب في نزهة، وخلال المشي قدّمت صدقات سخية عن غير قصد بهذه الطريقة، فلا شك في معنى هذا الخطأ الذي يبدو غير مقصود، تساهم هذه الزلات في مراقبة كل تلك العادات الورعة، والخرافية التي لا يستطيع العقل الواعي الاعتراف بها لأن تفكيرنا العقلاني يرفضها بريية.

6. يتقبل الجميع دون تردد حقيقة أن الأفعال العرضية الطارئة مقصودة في الواقع ضمن مجال النشاط الجنسي حيث يبدو الحد الفاصل بين الصدفة، والنية غير واضح حقاً، لاحظت في نفسي قبل بضع سنوات مثلاً جيداً على طريقة استغلال حركة خرقاء ظاهرياً لتحقيق أهداف جنسية، كنت في منزل أحد الأصدقاء حيث التقيت بفتاة صغيرة ضيفة أثارت في داخلي مشاعر؛ كنت أعتقد أنها ولّت منذ فترة طويلة مما جعلني في حالة ذهنية مبهجة، وثرثرة، وودودة، حتى أنني تساءلت لماذا جعلتني الفتاة ذاتها أشعر بالبرود حين قابلتها قبل عام، عندما دخل عمها كبير السن إلى الغرفة، قفزنا كلانا لنجلب له كرسيًا من زاوية الغرفة، كانت أكثر رشاقة مني، وأقرب إلى يد الكرسي فأمسكت بالكرسي أولاً، وحملته أمامها، وظهر الكرسي تجاهها، ويدها على جانبي الكرسي، عندما انضمت إليها لأحمل الكرسي كنت فجأة أقف خلفها مباشرة، ووضعت ذراعي حولها حتى كان يدي للحظة أمام أسفل بطنها، أنهيت الأمر بالطبع بسرعة هائلة، ولا يبدو أن أحدًا لاحظ مدى مهارتي في استغلال حركتي غير الماهرة.

لقد أخبرت نفسي أحياناً أن المحاولة المزعجة، والخرقاء لتجنب شخص آخر في الشارع حين يخطو كل منكما إلى جانب أو آخر لعدة ثوانٍ، ولكن ينتهي بكما الأمر دائماً في نفس الجانب حتى تواجهان بعضكما البعض، وتغلغان الطريق، تتكرر في بعض الأشكال السابقة غير اللائقة من السلوك الاستفزازي، والسعي وراء النوايا الجنسية تحت ستار التصرفات الخرقاء؛ بناءً على تحليلي النفسي للمصابين بالعصاب، أعلم أن ما يُعتبر سذاجة عند الأطفال، والشباب يكون غالباً مجرد تمويه يُمكنهم من التعبير عن الفحش بشكل مباشر، ودون عوائق من الإحراج.

قدّم فيلهم ستيكيل ملاحظات ذاتية مماثلة: «دخلت منزل أحدهم، وأعطيت يدي اليمنى لسيدة المنزل لمساعدتها، وقمت بالخطأ أثناء ذلك بفك العقدة التي تمسك فستان الصباحي الفضفاض، وتبقيه مغلقاً، لم أكن على علم بأي نوايا مخلة بالشرف، إلا أنني قمت بهذه الحركة غير الماهرة ببراعة ساحر.

لقد قدمت مراراً، وتكراراً أدلة على أن الكتاب الأدبيين يرون أن الزلات المختلفة تدلّ على مغزى معين، ووراءها دافع ما بالطريقة التي أقترحها هنا، ليس غريباً إذن العثور على مثال آخر على رؤية الكاتب لأهمية عظمى في حركة خرقاء، واستخدامها كنذير مسبق للأحداث اللاحقة.

نقرأ المقطع التالي في رواية ثيودور فونتان الزانية¹⁰⁸: وقفزت ميلاني، ورمت زوجها بإحدى الكرات الكبيرة كما لو كانت تلقي عليه التحية، لكنها لم تصوب بدقة فطارت الكرة إلى جانب واحد، وأمسكها روبين، عند العودة من الرحلة الاستكشافية التي أدت إلى هذا الموقف الصغير، أجرت ميلاني، وروبين محادثة تُظهر أولى علامات الجذب بينهما، ليتحول هذا الانجذاب إلى شغف، وتترك ميلاني زوجها أخيراً لتمنح نفسها بالكامل للرجل الذي تحبه. (بمساهمة هـ. ساكس).

7. تكون آثار الأفعال غير المقصودة عندما يرتكبها أشخاص عاديون ذات طبيعة غير ضارة جداً، لذا سيكون أمراً مذهباً تحديد إن كانت هذه الأفعال تتدرج تحت هذه الفئات عندما يكون لها عواقب وخيمة، وبعيدة المدى إذا ارتكبها طبيب أو صيدلي على سبيل المثال، نظراً لأنني نادراً ما أمارس مهنة الطب، يمكنني وصف مثال واحد فقط لفعل غير مقصود في سياق طبي من تجربة شخصية، كنت أزور سيدة عجوزاً طاعنة في السن مرتين يومياً لسنوات، وكان نشاطي الطبي في زيارتي

الصباحية لها محصوراً بأمرين: وضع قطرة في إحدى عينيها، وإعطائها حقنة المورفين، كان لدي زجاجتان صغيرتان جاهزتان بانتظام واحدة زرقاء من أجل الكوليريوم، والأخرى بيضاء لمحلول المورفين، كانت أفكارى عادة خلال الإجراءين في مكان آخر فقد قمت بذلك مرات عديدة لدرجة أنني لم أكن بحاجة إلى إعطائها اهتمامي الكامل، إلا أنني ذات صباح لاحظت ارتكابي خطأ أثناء العمل تلقائياً: لقد قمت بغمس قطارة العين في الزجاجاة البيضاء بدلاً من الزرقاء، ووضعت المورفين بدلاً من الكوليريوم في عين المريض، شعرت بالقلق الشديد، ولكن هدأت نفسي بعد ذلك بالتفكير في أن بضع قطرات من محلول المورفين بنسبة 2 في المائة لن تتسبب بأي ضرر حتى في كيس الملتحمة، لذا يبدو أن شعوري بالقلق ناتج عن أمر آخر.

ضمن محاولات تحليل هذه الزلة البسيطة، فكرت أولاً في عبارة (الاعتداء على امرأة العجوز، باستخدام الفعل فيرجريفين -vergreifen بالألمانية الذي يعني أيضاً القيام بفعل غير مقصود)، وتبدو هذه العبارة الطريق الأقصر للإجابة، كنت مازلت أفكر في حلم أخبرني به شاب في الليلة السابقة، ولا يمكن تفسير محتوى هذا الحلم إلا على أنه اتصال جنسي مع والدته¹⁰⁹، يبدو لي أن الحقيقة الغريبة المتمثلة في عدم رفض الأسطورة الكلاسيكية لسن الملكة جوكاستا تشير إلى أنها تحمل فكرة أن الشعور بالحب تجاه والدته لا يتعلق أبداً بشخصيتها الحالية، وإنما بصورتها الشابة في ذكريات الطفولة.

تظهر هذه التناقضات دائماً حين يخطر للعقل الواعي خيال يتأرجح بين فترتين ثم يثبت على إحداها، لقد ذهبت لزيارة المريضة ذات التسعين عاماً وعقلي غارق في هذه الأفكار، وكنت على وشك رؤية التجسيد الإنساني لأسطورة أوديب المتمثل مع المصير الذي تنبأ به أوراكل لأنني ارتكبت خطأ (الاعتداء على السيدة العجوز - بالألمانية سيتش فيرجريفين -sich vergreifen)، بالرغم من ذلك، كانت هذه الزلة غير ضارة في حد ذاتها: حيث اخترت الخطأ الأقل ضرراً من بين الخطأين المحتملين استخدام محلول المورفين كقطرات للعين أو حقن المريضة بقطرات العين، ما زل صعباً القول بإمكانية إرجاع مصدر الأفعال غير المقصودة التي قد تسبب ضرراً جسيماً إلى نية غير واعية بطريقة مماثلة لتلك المذكورة أعلاه.

يخذلني هنا المحتوى النفسي الخاص بي كما هو متوقع، ولا بد لي من الرجوع إلى الافتراضات، والاستنتاجات، يُعرف بأن إيذاء الذات يكون أحياناً أحد أعراض حالات الذهان الشديدة، ولا يمكن استبعاد إنهاء الصراع النفسي بالانتحار في مثل هذه الحالات، لقد رأيت حالات مثبتة للعديد من الإصابات العرضية في ظاهرها، ولكنّها في الواقع إصابات ذاتية يلحقها الفرد بنفسه عند وجود ميل كامن لإيذاء الذات يُعبر عنه عادةً في توبيخ الذات أو يساهم في تشكيل أعراض معينة حيث يستغل الفرد موقف خارجي لإعداء ذاته الفرصة أو منحها المساعدة لتحقيق الأثر المطلوب للإصابة، تعد هذه الحوادث شائعة حتى في الحالات معتدلة الشدة حيث تخدم الدور الذي تلعبه النوايا اللاواعية عبر سلسلة من السمات الخاصة مثل الهدوء الملحوظ الذي يتعامل به المرضى مع ما يزعمون أنه حادث. 110

أقدم شرحاً تفصيلياً لمثال واحد من تجربتي الطبية بدلاً من الاستشهاد بالعديد من الأمثلة:

كسرت شابة أحد عظام ساقها في حادث عربة، واحتُجزت في سريرها لأسابيع حيث تحملت الألم برباطة جأش دون الشكوى من الألم، وشكّل ذلك سمة لافتة للنظر، لقد أدى هذا الحادث إلى إصابتها باضطراب عصبي حاد استمر لفترة طويلة ثم تعالجت بالتحليل النفسي حيث كشف القناع أثناء العلاج عن الظروف المصاحبة للحادث، وبعض الحوادث التي سبقته؛ كانت الشابة، وزوجها الغيور جداً يقيمان في منزل أختها المتزوجة بصحبة العديد من إخوتها، وأزواجهم، قامت الشابة بأداء إحدى مقطوعاتها الاحتفالية في إحدى الأمسيات بحضور هذه الدائرة العائلية المتماسكة حيث رقصت رقصة الكانكان الفرنسية بشكل جيد جداً، ونالت استحسان أقاربها مما أثار استياء زوجها، الذي همس لها بعد ذلك: «ها أنت ذا مرة أخرى، تتصرفين كمومس كالعادة!» لقد زلزلت اتهاماته المنزل، لكننا سنترك مسألة ما إذا كان يشير إلى رقصها فقط، لقد نامت بشكل سيئ في تلك الليلة، وقالت في صباح اليوم التالي إنها تود الذهاب في جولة حيث اختارت عربة الخيول بنفسها رافضةً أحد العربات، ومُصرة على واحدة بعينها، لقد أرادت أختها الصغرى أن يذهب طفلها، وممرضته في الجولة لكنها عارضت تلك الفكرة بقوة، تصرفت بعصبية أثناء القيادة، وحذرت المدرب من أن الخيول أصبحت مضطربة، وعندما تسببت الحيوانات المتوترة بالفعل في مشكلة مؤقتة؛ قفزت من العربة في حالة

انزعاج، وكسرت ساقها، في حين وصل الآخرين الذين بقوا في العربة سالمين، بمجرد معرفة هذه التفاصيل، هل يمكن لأي شخص أن يشك في أن هذا الحادث قد نُظِم مسبقاً؟ يجب أن نُشير بإعجاب إلى المهارة التي تسببت فيها بوقوع الحادث لجعل العقوبة مناسبة للجريمة بشكل جيد حيث لن تكون السيدة قادرة على رقص كانكان لفترة طويلة قادمة. لا أقول بأنني تسببت لنفسني بأي إصابات في أوقات الهدوء الذهني، لكن يحدث ذلك حين أكون تحت الضغط، إن اشتكى أحد أفراد عائلتي من عض لسانه أو قرص إصبع أو ما إلى ذلك، فأنا أميل إلى التساؤل: «لماذا فعلت ذلك؟» بدلاً من التعاطف معهم كما هو متوقع، لقد قرصت إبهامي بنفسني على نحو مؤلم جداً بعد أن أخبرني مريض صغير خلال ساعة علاجه أنه يخطط للزواج من ابنتي الكبرى (لم آخذه على محمل الجد بالطبع)، بينما كنت أعلم أنها كانت مستلقية في مصحة في تلك اللحظة بالذات تواجه خطر مميت على حياتها.

كان أحد أبنائي ذو المزاج المفعم بالحيوية لدرجة يصعب على أي شخص الاعتناء به في مرضه قد دخل نوبة غضب ذات صباح، لأننا طلبنا منه قضاء الصباح في السرير، وهدد بقتل نفسه حيث أخذ هذه الفكرة من الصحيفة، لقد أظهر لي ذلك المساء نتوءاً على قفصه الصدري نتج عن اصطدامه بمقبض الباب، وعندما سألته لماذا فعل ذلك، وما الفكرة من ذلك، أجاب ابني ذو الأحد عشر عاماً كما لو استنار فجأة: «أوه، لقد كانت محاولتي الانتحارية التي هددت بها هذا الصباح»، أعتقد أن أبنائي لا يعرفون أي شيء عن آرائهم حول الإصابات الذاتية في ذلك الوقت. إن أي شخص يعتقد بحدوث الإصابات الذاتية شبه المتعمدة - إن أمكنني وصفها بهذه الطريقة الخرقاء - سيكون مستعداً لتقبل وجود حالات أخرى بعيدة عن حالات الانتحار الواعي، والمتعمد حيث تكون محاولات انتحار شبه مقصودة يقوم الشخص بها لأسباب غير واعية مُستغلاً المواقف التي تهدد الحياة ببراعة، ويتجاوزها باعتبارها حوادث مُصادفة، تجدر الإشارة إلى شيوع هذه الحالة في كثير من الأحوال حيث تتوفر الرغبة في الانتحار إلى حد ما لدى العديد من الأفراد الذين لم يحاولوا بالفعل قتل أنفسهم، لذا تعد الإصابات الذاتية عموماً حلاً وسطاً بين هذا الدافع، والقوى التي تعاكسه، حتى حين تتغلب الرغبة في الانتحار على الأمور الأخرى يكون هذا الميل المكبوت موجود منذ فترة طويلة إما بدرجة أقل أو في اللاوعي.

تتحين النية الواعية للانتحار وقتها، وطريقتها، وفرصتها، وينطبق ذلك على النية اللاواعية حيث تنتظر وقت مناسب لتعمل كسبب جزئي مُحركة من قمع قوى الرفض عبر تقديم مطالب أخرى¹¹¹، إن هذه الأفكار الخاصة بي ليست بأي حال من الأحوال طرح عشوائي، فقد سمعت عن العديد من الحالات لحوادث عربات التي تبيّن بالتحقيق أن فيها أسباب بيّنة للاشتباه بأنها محاولات انتحار غير واعية.

سقط ضابط أثناء سباق خيل بين بعض ضباط الجيش، وأصاب نفسه بجروح بالغة لدرجة أنه توفي بعد بضعة أيام، وقد كان سلوكه عندما عاد إلى الوعي مذهلاً من نواحٍ عديدة، لكن الأهم من ذلك كان سلوكه قبل السباق، لقد كان مكتئباً للغاية لوفاة والدته التي كان يحبها جداً، وتغلب عليه نوبات بكاء برفقة رفاقه، وقد أخبر أصدقاءه المقربين أنه سئم الحياة قائلاً إنه يخطط لترك الجيش، والذهاب للقتال في حرب في أفريقيا لا علاقة لها به¹¹²، لقد كان فارساً جريئاً لكنه الآن يتجنب ركوب الخيل كلما أمكن ذلك، أعرب هذا الضابط عن إحساسه بنذير شؤم قبل السباق إلا أنه لم يستطع التراجع، وبرأيي لم يكن مستغرباً أن تتحقق رؤياه، قد يعترض أحدهم على ذلك بالقول أن عدم قدرة الرجل المصاب بالاكتئاب العصبي على التحكم في حصانه كما لو كان بصحة جيدة أمراً طبيعياً، أتفق مع ذلك تماماً لكنني أحدد آلية تثبيطه الحركي من خلال وصف «قلقه» في نية الانتحار التي كنت أصفها هنا.

لقد سمح لي ساندرو فرينزي من بودابست بالاطلاع على تحليله لحالة إصابة بغيار ناري عرضية ظاهرياً، وفسرها على أنها محاولة انتحار غير واعية، ولا يسعني إلا أن أتفق مع تحليله: «يعمل السيد س. البالغ 22 عاماً كصانع خزائن، وجاء لمراجعتي في 18 يناير حيث أراد مني إخباره ما إذا كانت الرصاصة التي دخلت صدغه الأيسر في 20 مارس 1907 يمكن أو ينبغي إزالتها بعملية، لقد كان يشعر بصحة جيدة بعيداً عن الصداغ العرضي الذي لم يكن سيئاً جداً، ولم يُظهر الفحص سوى الندبة السوداء المميزة على صدغه الأيسر بسبب دخول الرصاصة، لذا نصحت بعدم إجراء العملية، عندما استفسرت عن ملابس الحالة قال إنه أطلق النار على نفسه بالصدفة حيث كان يلعب بمسدس أخيه معتقداً أنه غير مُذخر، وصوبه على صدغه الأيسر بيده اليسرى (لم يكن هذا الرجل أعسر)، ووضع إصبعه على زند البندقية، وانفجرت؛ كانت هناك ثلاث طلقات في المسدس الذي كان به ست

غرف، سألتها ما الذي دفعه إلى التنازل للمسدس، فأجاب بأنه على وشك الخضوع لفحص اللياقة البدنية لأداء خدمته العسكرية، وقد أخذ البندقية معه إلى الحانة في الليلة السابقة، لأنه كان يخشى الانخراط في شجار، لقد تبين عند إجراء الفحص الطبي أنه غير لائق لأداء الخدمة العسكرية بسبب إصابته بدوالي الأوردة، الأمر الذي أشعره بالخجل، عندما عاد إلى المنزل عبث بالمسدس لكن دون أي نية لإيذاء نفسه، ثم وقع الحادث؛ عندما طرحت المزيد من الأسئلة حول ما إذا كان سعيداً بحياته من نواحٍ أخرى، تنهد، وأخبرني أنه كان يحب فتاة تبادلته المشاعر لكنها تركته على كل الأحوال، وهاجرت إلى أمريكا لمجرد أنها أرادت كسب بعض المال، كان يود أن يتبعها لكن والديه منعه، غادرت حبيبته في 20 يناير 1907 أي قبل شهرين من الحادث، إلا أنه أصرّ برغم كل العوامل المشبوهة على أن إصابته بالطلقه مجرد «حادث» في الواقع.

بعيداً عن إصراره، مازلت مقتنع تماماً بأن إخفاقه في التحقق من السلاح لتأكيد خلوه من الذخيرة قبل اللعب به نتج عن عوامل نفسية، وكذلك إصابته الذاتية، لقد كان الشاب تحت التأثير المُحبط لعلاقة حبه التعيسة، ويبدو جلياً أنه أراد الانضمام إلى الجيش لينسى، فعندما حُرِمَ حتى من هذا الأمل لعب بالبندقية - أو بالأحرى قام بمحاولة انتحاره دون وعي، إن حمله المسدس في يده اليسرى، وليس اليمنى يدعم فكرة أنه كان «يلعب» بالسلاح، ولم يقصد الانتحار بوعي.

شاركني أحد الأشخاص الذي لاحظ حالة إصابة ذاتية ظاهرياً تحليلاً مختلفاً، وذكر المقولة الشائعة: «من حفر حفرة لأخيه وقع فيها»، كانت السيدة ص. من خلفية اجتماعية متوسطة جيدة، ومتزوجة، ولديها ثلاثة أبناء، لقد كانت تعاني من العصاب بدرجة بسيطة، ولم تكن بحاجة إلى علاج مكثف على الإطلاق حيث كانت قادرة على التعامل مع الحياة بشكل جيد بما فيه الكفاية، شوهت وجهها ذات يوم بشكل مؤقت، ولكن ضل أثر ذلك واضحاً إلى حد ما في الوقت الحاضر على النحو الآتي، لقد تعثرت بكومة من الحجارة في شارع حيث تجري بعض الإصلاحات، وضرب وجهها بجدار أحد المباني، تعرض وجهها لخدوش حادة وأصبح لون جفونها أزرق، وأصيبت بكدمات، فشعرت بالخوف من تعرض عينيها للضرر، واتصلت بي كطبيب، عندما هدأت مخاوفها حول هذه النقطة سألتها: «ولكن ما الذي جعلك تسقطين هكذا؟»، قالت إنها قبل خروجها بقليل حذرت زوجها الذي عانى لعدة أشهر

من اضطراب في المفاصل جعله يفقد توازنه على قدميه، وطلبت منه الحذر الشديد خلال المشي في ذلك الشارع، وقد لاحظت أنها في كثير من الأحيان حين تُحذر شخصاً آخر من التعرض لحادث ما، تتعرض للحادث ذاته، لم أكن راضياً عن هذا التفسير لحادثتها، وسألتها إن كان بإمكانها إخباري بأي شيء آخر، أخبرتني حينها أنها قبل وقوع الحادث مباشرةً كانت قد شاهدت صورة جميلة في متجر على الجانب الآخر من الشارع، واعتقدت أنها ستبدو لطيفة لو علقتها في غرفة أطفالها، لقد قررت شرائها على الفور، وتوجهت مباشرة نحو المتجر متجاهلةً النظر إلى الطريق فتعثرت فوق كومة الحجارة، وسقطت على جدار المبنى دون أن تبذل أدنى محاولة لحماية نفسها بيديها، ثم نسيت على الفور رغبتها في شراء الصورة، وذهبت مباشرة إلى المنزل، سألتها: «لكن لماذا لم تنتهي أكثر للطريق؟»، فقالت: «حسناً، ربما كانت عقوبة! بسبب تلك الحادثة التي أخبرتك عنها بسريرة»، فسألت: «هل ما زالت تطارد عقلك، إذن؟»، أجابت: «أوه نعم، فقد ندمت على ذلك كثيراً، وشعرت أنني شريرة، ومجرمة، وغير أخلاقية، لكنني أتفهم حالتي العصبية المتردية تمامًا في ذلك الوقت»

تشير الحادثة التي تحدثنا عنها إلى عملية إجهاض خضعت لها بموافقة زوجها لأن وضعهم المالي لا يسمح بوجود المزيد من الأطفال، لقد شجعهم على الفكرة أخصائي إجهاض غير قانوني، لكن كان لابد من إتمام العملية على يد أخصائي مؤهل، أضافت: «كثيراً ما أقول لنفسي: لقد قتلت طفلك، أليس كذلك؟ كنت أخشى أن ذلك لن يمر دون عقاب، بعد أن أخبرتني الآن أنني لن أواجه أي مشكلة في عيني، أشعر بتحسن كبير: لقد عوقبت بما فيه الكفاية»

«إذن كانت هذه الحادثة بمثابة عقوبة للتكفير عن خطيئتها من جهة، وإصابة ذاتية من جهة أخرى تهدف إلى الهرب من العقاب المجهول الذي قد يكون أكثر سوءاً، الأمر الذي خافت منه باستمرار منذ شهور، أثناء مسارعتها إلى المتجر لشراء الصورة، كانت اليد العليا لذكرياتها عن الحادث مع كل مخاوفها الفعالة في اللاوعي حيث كانت تحذر زوجها من الشارع، يمكن إعادة ترتيب أفكارها في كلمات تتماشى مع العبارة الآتية: لماذا تحتاجين إلى شيء جميل لغرفة أطفالك؟ لقد قتلت طفلك! أنت قاتلة! العقاب في طريقه إليه بالتأكيد!

لم تصل هذه الفكرة إلى عقلها الواعي، ولكنها انتهزت الفرصة بدلاً من ذلك لما يمكن أن يسمى «اللحظة النفسية لمعاقبة ذاتها» باستخدام كومة الحجارة التي بدت مجرد وسيلة صحيحة لتحقيق غايتها، لذا لم تمد يديها حتى تنقذ نفسها عندما سقطت، ولم تشعر بالخوف الشديد؛ أما العامل الثاني الأقل أهمية في التسبب بالحادث فيتمثل بالعقاب الذاتي لرغبتها اللاواعية في رؤية زوجها خارج حياتها - لأنه بعد كل شيء مذنباً أيضاً، لقد تخلت عن هذه الرغبة بتحذيرها له، ومطالبتها بتوخي الحذر الشديد في الشارع حيث تتكوم الحجارة، الأمر الذي يعد غير ضروري على الإطلاق حيث أن زوجها يمشي بحذر شديد بالفعل نتيجة لعدم قدرته على المشي بشكل جيد¹¹³.

إذا نظرنا إلى جميع الظروف المحيطة بالحالة التالية، فسنبذل إلى الاتفاق مع يوهانس شتارك¹¹⁴ عندما يصف حرق أصابت به سيدة نفسها بالصدفة ظاهرياً، ولكنها كانت تقدم «تضحية»:

«لقد حرقت سيدة قدمها، وكان على زوج ابنتها أن يذهب لأداء خدمته العسكرية في ألمانيا، كانت ابنتها ستجلب طفلاً قريباً، ولم يكن التفكير في مخاطر الحرب بطبيعة الحال شيئاً يُفرح الأسرة ككل، لقد دعت السيدة ابنتها، وزوجها على العشاء في اليوم السابق لمغادرته، وطهت الوجبة بنفسها في مطبخها، ولكنها في البداية خلعت بغرابة الحذاء ذي الأربطة العالية الذي تمشي فيه براحة، وترتديه عادة في المنزل، ولبست نعال زوجها ذو المقاس الكبير بالنسبة لها، والمفتوح من الأعلى، أثناء إبعادها القدر الكبير المليء بالحساء المغلي عن النار، أسقطته على الأرض مما تسبب في حروق بالغة في قدم واحدة بما في ذلك الجزء الخلفي منها الذي لم يكن محمياً بالنعال المفتوح، يبدو طبيعياً أن يعزو الجميع هذا الحادث إلى حالتها «العصبية» لأسباب مفهومة، خلال الأيام القليلة الأولى التالية لتقديم هذه «القربان المحترق»، كانت السيدة حريصة جداً في التعامل مع أي شيء ساخن، إلا أن ذلك لم يمنعها من حرق معصمها بالمرق الساخن بعد بضعة أيام فقط¹¹⁵.

يتخفى الغضب الموجه نحو الذات، وسلامتها، وحياتها على شكل صدف، وتصرفات خرقاء، وانعدام الكفاءة الحركية ظاهرياً، لذا يمكن الاعتقاد بإمكانية تطبيق المفهوم ذاته في الزلات مما يشكل خطراً مُحققاً على حياة، وصحة الآخرين؛ يأتي الدليل الذي يمكنني تقديمه على صحة هذه الفكرة من

تجربتي مع العصاب، وبالتالي لا يتوافق تمامًا مع المتطلبات الحالية، لذا سأصف حالة لفعل معين ليس من الأفعال غير المقصود، وإنما فعل عرضي طارئ، والذي مهدّ الطريق الصحيح لأتمكن من حل النزاع الذي يعاني منه المريض، كنت ذات مرة أحاول المساهمة في تحسين الحياة الزوجية لرجل ذكي جداً لديه بعض الأسباب الفعلية للشجار مع زوجته الشابة التي أحبته كثيراً، لكنه اعترف بنفسه بأن هذه الأسباب ليست كافية لتفسير الموقف، والشجار بشكل كامل.

كانت تراوده أفكار الطلاق باستمرار، واستبعدتها بعد ذلك مرة أخرى لأنه أحب طفليه الصغيرين كثيراً، إلا أنه استمر في العودة إلى الفكرة، ولم يحاول بأي وسيلة لجعل هذا الزواج محتملاً، ومقبولاً؛ أرى أن عدم القدرة على التعامل مع الصراع يدل على أن الدوافع اللاواعية، والمكبوتة قد عززت بالفعل الدوافع الواعية العكسية، أحاول عندها حل النزاع في مثل هذه الحالات عن طريق التحليل النفسي، أخبرني الرجل ذات يوم عن حادثة صغيرة أزعجته كثيراً حيث كان يلعب مع طفله الأكبر المفضل لديه بالطبع بأرجحته في الهواء للأعلى، وللأسفل ومن ثم مرة واحدة في بقعة معينة من الغرفة أرجح الطفل عالياً حتى كادت قمة رأسه تصطدم بالثريا المعلقة في السقف، هل كادت تصطدم أم حدث ذلك بالفعل؟ لم يُصب الطفل بأذى على أي حال لكنه أصيب بدوار شديد من الذعر، فوقف الأب فرعاً، والطفل بين ذراعيه، وكانت الأم في حالة هستيرية، تشير مهارة هذه الحركة غير الحذرة، وردود الفعل المتطرفة للوالدين إلى وجوب اعتبار الحادث كفعل عرضي دالّ يُعبّر عن سوء نية تجاه طفل محبوب جداً، يمكنني توضيح التناقض بين هذا الفعل، والحب الحقيقي للأب تجاه طفله بالإشارة إلى جذور دافع إيذاء الطفل حيث تعود إلى الفترة التي كان فيها هذا الابن الطفل الوحيد، وما زال صغيراً جداً، ولم تتشكّل تجاهه أي مشاعر اهتمام أو حب لدى والده، عندها يمكنني أن أفترض أن هذا الزوج المستاء من زوجته في تلك الفترة قد فكّر أو توقع شيئاً على هذا المنوال: لست مغرمًا على الإطلاق بهذا المخلوق الصغير؛ إذا مات سأكون حراً، ويمكنني الحصول على الطلاق من زوجتي؛ إذن ما زال الزوج دون وعي يتمنى موت الطفل الذي أصبح الآن يحبه جداً، كان سهلاً الانطلاق من هذه النقطة نحو تفسير الطريقة التي تحولت فيها الرغبة بموت الطفل إلى دافع ثابت غير واعي، لقد كان لدى المريض دافع قويّ في ذاكرته الطفولية حول وفاة شقيقه حيث أُلقت والدته

باللوم على إهمال والده في ذلك مما نتج عنه شجارات عنيفة بين الوالدين، وتهديدات بالطلاق، لقد ساهم التأثير الناجح للعلاج على المسار اللاحق لزواج المريض في تأكيد استنتاجاتي.

قدّم يوهانس شتارك¹¹⁶ مثالا على عدم تردد الكتاب في استبدال فعل غير مقصود بفعل آخر متعمد بطريقة تؤدي إلى أخطر العواقب: تتضمن المشاهد التمثيلية لهيرمان هيرمانز¹¹⁷ مثال على فعل غير مقصود أو بتعبير أدق (خطأ فادحًا) يستخدمه المؤلف كموضوع درامي.

يأتي المشهد التمثيلي بعنوان «توم وتيدي»، وتضم شخصيتين لزوجين غواصين يمثلان في مسرح ترفيهي حيث يظلان تحت الماء لفترة طويلة، ويقومان بالحيل في خزان حديدي بجوانب زجاجية، كانت الزوجة على علاقة برجل آخر يعمل كمدرّب حيوانات، وقبض عليهما الزوج في غرفة تبديل الملابس قبل العرض فتجمدا، وتبادل الزوج، والرجل الآخر نظرات التهديد، ثم قال الغواص: «فقط انتظر ما سيحدث لاحقاً» وبدأ العرض، يكون الزوج على وشك القيام بأصعب حيله بحسب إعلان المسرحية حيث يبقى دقيقتان ونصف تحت الماء في وعاء محكم الإغلاق، لقد قاموا بهذه الخدعة مرات كثيرة حيث تُغلق الحاوية، وتُظهر الزوجة «تيدي» المفتاح للجمهور ليبدأ التحقق من الوقت على ساعاتهم، ثم تُسقط الزوجة المفتاح في الخزان عدة مرات عن قصد ثم تغوص بسرعة لتأخذه حتى تتواجد في المكان المحدد عندما يكون الخزان جاهزاً للفتح.

«حُبس توم في مساء يوم 31 يناير كالعادة بأصابع زوجته الصغيرة المرحّة حيث كان يبتسم خلف الفتحة، وكانت تلعب بالمفتاح تنتظره ليعطي الإشارة، بينما يقف وراء الكواليس الطرف الثالث في المثلث الأبدي أي مدرّب الحيوانات في معطفه الأنينق بربطة عنق بيضاء، والسوط حيث أطلق صافرة قصيرة لجذب انتباهها فنظرت إليه، وابتسمت ثم بخراقة شخص مشّت انتباهه رمت المفتاح في الهواء بعنف حتى سقط المفتاح بجانب الخزان بعد دقيقتين وعشرين ثانية بالضبط من بدء العرض، واستقر على الرايات التي تغطي الحوامل، ولم يره أحد، ولم يستطع أحد رؤيته في الواقع، كان المشهد بالنسبة للحضور خدعة بصرية حيث اعتقد الجمهور أنهم رأوا المفتاح يسقط في الماء، ولم يلاحظ أي من عمال الديكور ذلك لأن الرايات كتمت صوت سقوط المفتاح، ابتسمت تيدي،

وصعدت دون تردد فوق حافة الخزان، وكان توم مبتسماً، وبخير، ثم نزلت السلم مبتسمة، واختفت لتبحث عن المفتاح تحت الحوامل، عندما فشلت في العثور على المفتاح، انحنت، ووقفت أمام الحوامل المغطاة بالرايات مع تعبير مدهش على وجهها يسرق المشهد كما لو أنها تقول: «أوه، ما هذه الحفرة!»

كان توم أثناء ذلك يصنع وجوهاً مضحكة خلف الفتحة كما لو أنه يشعر بالقلق أيضاً، كان بإمكان المتفرجين رؤية اللعان الأبيض لأسنانه الاصطناعية، وشفثيه تعملان تحت شاربه الأشقر، والعمل الكوميدي لنفخ الفقاعات الذي قام به من قبل عندما تناول تفاحة، وكان بإمكانهم رؤية مفاصل أصابعه بيضاء اللون بينما كانت يديه تتشبثان، وتتلويان من الألم، وكانوا يصرخون ضاحكين كما فعلوا في الأيام السابقة لهذا المساء.

دقيقتان وثمانية وخمسون ثانية ...

ثلاث دقائق وسبع ثوان ... اثنتا عشرة ثانية ...

أحسننت! أحسننت! أحسننت!

لكن بعد ذلك ساد الفزع في المسرح، وبدأت الأقدام تركض فقط الأرضية حيث بدأ عمال الديكور، ومدرّب الحيوانات البحث عن المفتاح أيضاً، وسقط الستار قبل فتح الخزان، كان المشهد التالي يضم ست فتيات إنجليزيات يرقصن على خشبة المسرح ثم تبعهن الرجل مع المهر، والكلاب، والقردة، وما إلى ذلك؛ عَلم الجمهور في صباح اليوم التالي بوقوع حادث، وأصبحت تيدي الآن أرملة...» يوضح هذا المشهد التمثيلي بوضوح مدى فهم مؤلفه لطبيعة الفعل العرضي الدال مما مكنه من تقديم عرض مقنع جداً حول السبب الكامن وراء الأفعال الخرقاء المميّنة.



الفصل التاسع: الأفعال العرضية الدالة

تتصف كافة الأفعال التي وصفناها حتى هذه النقطة بوجود نية لا واعية دخلت حيز التنفيذ، وظهرت على أنها تشويش لأفعال أخرى مقصودة، واختبأت خلف ستار الحركات الخرقاء، تختلف الأفعال العرضية الدالة التي سيناقشها هذا الفصل عن الأفعال غير المقصودة بأنها لا تحتاج إلى أي نية واعية تدعمها، وبالتالي لا تحتاج إلى عذر حيث إنها قائمة بحد ذاتها، ويتسامح معها المرء لعدم افتراض وجود أي غرض أو نية وراءها، تحدث هذه الأفعال «دون تفكير»، و«بالصدفة البحتة»، و«لشيء ما يتعلق بأيدي الشخص»، ويعتمد الإنسان هذه الملاحظات للقضاء على أي محاول للتحقيق في معنى هذه الأفعال لأنها لا تدعي الحركات الخرقاء عذراً لها، وتستوفي شروطاً معينة تجعلها تتمتع بمكانة استثنائية: لا بد من أن هذه الأفعال غير مزعجة، وآثارها طفيفة.

لقد جمعت عدداً كبيراً من هذه الأفعال العرضية من دراساتي الخاصة، ودراسات الآخرين، وأعتقد بعد الدراسة الشاملة للأمثلة المختلفة بوجود وصف هذه الأفعال بأنها «عرضية دالة»، تعبر هذه الأفعال عن أمور تمرّ مرور الكرام دون أدنى شك حتى من قبل الشخص الذي يقوم بهذه الأفعال حيث لا ينوي التعبير عنها بل يود الاحتفاظ به لنفسه، لذا تُعد هذه الأفعال كأعراض دالة مثل جميع الظواهر الأخرى التي درسناها في هذا العمل حتى الآن.

يمكن العثور على أغنى محتوى نفسي لمثل هذه الأفعال العرضية الدالة في العلاج التحليلي النفسي للمصابين بالعصاب، لذا سأقدم مثالين من هذا المجال لتوضيح مدى اتساع، ودقة هذه الحوادث الصغيرة الناشئة عن الأفكار اللاواعية، يمكن القول بأن الحد الفاصل بين الأفعال العرضية الدالة، والأفعال غير المقصودة ضبابي إلى حد كبير حيث كان يمكنني وضع الأمثلة الآتية في الفصل السابق.

1. أخبرتني شابة خلال جلستها عن أمر حدث معها حيث كانت تقص أظافرها في اليوم السابق، وجرحت لحمها أثناء محاولة إزالة الجلد الناعم في قاعدة الظفر، بدا الأمر تافهاً للغاية حتى أنني تساءلت بدهشة عن سبب تذكرها لذلك، وسبب ذكره أمامي، ثم بدأت أشك في أننا نتعامل مع فعل

عرضي دال حيث تعرّض إصبع خاتم الزواج لهذا الحدث البسيط، وذلك في ذكرى زواجها مما أعطى إصابة الجلد معنى مميزاً جداً، وسهل تحديده، لقد أخبرتني في الوقت ذاته عن حلم يوضح حماقة زوجها، وافتقاره للمشاعر الجنسية في زواجها، لكن، لماذا تؤذي نفسها بإصبع خاتم الزواج في يدها اليسرى بينما ترتدي خاتم الزواج عادةً في يدها اليمنى؟ يعمل زوجها كمحامٍ، وهو دكتور في القانون (بالألمانية: دكتور ديه ريخته - Doktor der Rechte، وكلمة ريخت - Rechte تعني القانون واليمين)، وقد كانت هذه الشابة انجذبت سرّاً إلى دكتور في الطب (وُصفته مازحة بأنه دكتور ديه لينك - Doktor der Linke أي طبيب على الجانب الأيسر)، كما أن الزواج على الجهة اليسرى [شراكة دون سند قانوني] له معناه الخاص.

2. أخبرتني شابة غير متزوجة بالقصة الآتية: «لقد مزقت في الأمس عن غير قصد ورقة نقدية بمائة غولدن إلى نصفين، وأعطيت أحد النصفين لسيدة تزورني، هل يُسمى هذا الفعل عرضي دال أيضاً؟»، لقد كشف الاستفسار الدقيق عن التفاصيل الآتية، إن بدأنا بالورقة النقدية، نجد أن الشابة كرسّت جزءاً من وقتها، ومن مواردها للأعمال الخيرية فقد كانت تموّل تنشئة طفل يتيم برفقة سيدة أخرى، وكانت ورقة المائة غولدن مساهمة هذه السيدة الأخرى حيث وضعتها في ظرف فوق مكتبها مؤقتاً، كانت الزائرة المذكورة سيدة مميزة ساعدتها في مشروع خيري آخر، وأرادت تدوين أسماء الأشخاص الذين قد يتقدمون بطلب الدعم منها، لم يكن هناك ورق جاهزة يمكن أن تعطيها الشابة لهذه السيدة؛ فالتقطت الظرف الموجود على مكتبها، ومزقته إلى نصفين دون التفكير بمحتوياته، وأخذت نصف المغلف لتكتب عليه نسخة من قائمة الأسماء، وإعطاء النصف الآخر للزائرة، نلاحظ أن هذا الفعل غير مؤذي رغم من أنه غير مألوف، حيث لا تفقد ورقة المائة غولدن قيمتها إذا تمزقت طالما يمكن إعادة تجميع القطع الممزقة لإعادتها كاملة، تضمن أهمية قائمة الأسماء المكتوبة على قطعة الورق أن الزائرة لن ترمي الورقة، وبلا شك ستعيد محتويات المغلف بمجرد أن تدرك وجودها.

لكن ما الفكرة اللاواعية التي عبّر عنها فعل الصدفة الناتج عن النسيان؟ تتفق الزائرة على العلاج الذي كنت أقدمه للشابة المريضة، وقد كانت هي من أوصتها بمراجعتي في الماضي، وأعتقد أن الشابة شعرت بالامتنان للسيدة، ونصيحتها، هل قصدت أن تُمثّل نصف ورقة المائة غولدن نوعاً من

الرسوم مقابل مساعيها؟ لا، ما زال ذلك غريباً، يتضمن الموقف أمور أخرى أكثر عمقاً، لقد سألت سيدة تتوسط بنوع آخر من الأمور أحد أقارب المريضة عما إذا كانت الشابة ترغب في التعرف على رجل بعينه، وقد وصلت رسالة الخاطب يطلب ما يُريد في الصباح قبل ساعات قليلة من زيارة السيدة الأخرى، وأثارت لديها فرحاً كبيراً؛ عندما افتتحت الزائرة الحديث بالسؤال عن حالتها الصحية ربما فكرت المريضة الشابة بما يلي: «نعم، لقد أوصيتني بالطبيب المناسب لكنني سأكون أكثر امتناناً إن أمكنك مساعدتي في العثور على الزوج المناسب (و «الطفل»، فكرة مستترة وراء فكرة الزوج)، لقد ساهمت هذه الفكرة المكبوتة في جعلها تدمج السيدتين في شخص واحد، وأعطت الزائرة الرسوم التي كانت مستعدة في خيالها لمنحها للمرأة الأخرى، سيصبح هذا التفسير أكثر إقناعاً إن أضفت أنني كنتُ أخبر مريضتي عن مثل هذه الأفعال العرضية الدالة في الليلة السابقة للحادثة - وقد انتهزت الفرصة الأولى لإنتاج شيء مماثل.

يمكن للمرء أن يقسم حدوث الأفعال العرضية الدالة المتكررة بطبيعتها إلى فئات مختلفة: أفعال تحدث كعادة متكررة أو أفعال تحدث بانتظام في ظروف معينة أو أفعال تظهر على نحو منعزل، يشير النوع الأول (مثل اللعب بسلسلة الساعة أو تدوير الشارب، وغيرها) إلى ما يبدو تقريباً كعادات شخصية، وتكون مشابهة للعديد من أنواع التشنجات اللاإرادية العصبية، وربما ينبغي دراستها بناءً على ذلك. أما النوع الثاني، فيضم اللعب بعصا يحملها الفرد، الخربشة بقلم رصاص في يده، العبث بالعملات المعدنية الصغيرة في الجيب، عجن الفئات، والمواد البلاستيكية، العبث بالملابس بعدة طرق، وغيرها من الأفعال الأخرى، يُظهر العلاج النفسي عمومًا أن المعنى، والمنطق اللذين حُرما من الظهور، والتعبير عنهما يختفيان وراء هذه الأنشطة المرحية.

عادةً لا يُدرك الشخص المعني أنه يقوم بأي شيء من هذا القبيل أو أنه يُجري التعديلات على أفعاله المعتادة، ولا يلاحظ أثر ذلك، فلن يسمع على سبيل المثال الصوت الذي يصدر عن العملات المعدنية، وسيتفاجأ إن أشار أحدهم لهذا الصوت، وعليه، يُعتبر العبث بالملابس الذي يمر دون أن يلاحظه أحد أمرًا هاماً يستحق اهتمام الطبيب، أن أي تغيير في المظهر المعتاد للفرد، وأي إهمال بسيط كترك الزر مفتوحاً يُشير إلى أمر ما لا يريد الشخص الذي يرتدي هذه الملابس أن يقوله

مباشرةً بشكل مباشر، ولا ينوي في الواقع قوله على الإطلاق بشكل عام، يظهر تفسير هذه الأفعال العرضية، والدليل على صحتها بوضوح دائماً من الظروف المذكورة أثناء الجلسة، والموضوع قيد المناقشة، والأفكار التي تظهر عند توجيه انتباه المريض إلى شيء ما يبدو أنه حدث بالصدفة، يجعلني السياق هنا أمتنع عن دعم نظرياتي عبر الاستشهاد بأمثلة المرضى، وتحليلها، ولكنني أذكر هذه الأشياء لاعتقادي بأهميتها في حياة الأشخاص العاديين كأهميتها في حياة مرضى العصاب، بالرغم من ذلك كله، لا يمكنني الامتناع عن تقديم مثال واحد على الأقل يوضح مدى ارتباط الفعل العرضي الدالّ بشكل وثيق بالعوامل الأكثر حميمية، وأهمية في حياة الشخص السليم¹¹⁸:

كما علمنا الأستاذ فرويد، تلعب الرمزية دوراً أكبر في طفولة الأشخاص العاديين أكثر مما توقعت دراسات التحليل النفسي السابقة، يتمتع التحليل القصير التالي بهذا الصدد بأهمية بالغة حيث يضم رؤية الطيبة، عندما قام طبيب بإعادة ترتيب أثاثه في المنزل الجديد، عثر على سماعة طبية خشبية قديمة¹¹⁹ فتوقف للحظة ليقرر المكان الذي يجب أن يضعها فيه، ثم اضطر لوضعه على جانب مكتبه حيث تقع بين كرسيه، والكرسي المخصص للمرضى، كان الفعل بحد ذاته غريباً لأن السماعة الطبية القديمة لم تخدم في المقام الأول أي غرض؛ حيث كان يستخدم دائماً سماعته الطبية الحديثة، وكان يحتفظ بجميع أجهزته، وأدواته الطبية في الأدراج باستثناء هذا الجهاز الوحيد إلا أنه لم يفكر في الأمر على الإطلاق حتى أخبرته واحدة من المرضى ذات يوم أنها لم تَرَ قط سماعة طبية خشبية، وسألته عنها فأخبرها، ثم سألته لماذا يُبقيها في هذا المكان تحديداً، فأجاب بطريقة غير مباشرة أن ذلك المكان لا يختلف عن غيره، جعله ذلك يبدأ في التفكير، ويتساءل عما إذا كان هناك أي دافع غير واعي لهذا الفعل، وكوني مهتم بالتحليل النفسي طلب مني التحقيق في الأمر.

تتمثل الذكرى الأولى التي خطرت بباليه في صدمته حين كان طالب طب حيث استغرب عادة متدرب المستشفى الذي كان يحمل سماعة طبية خشبية دائماً في جولهته على جناح المرضى بالرغم من أنه لم يستخدمها أبداً، لقد كان معجباً جداً بهذا المتدرب، ومرتبطاً به كثيراً، عندما أصبح متدرباً في وقت لاحق اعتمد العادة ذاتها، وكان يشعر بعدم الارتياح الشديد إذا غادر مكتبه دون أن يحمل الأداة لتتأرجح في يده، لقد أظهرت هذه العادة انعدام هدفها لأنه لم يستخدم سوى السماعة الطبية العادية

التي يحملها بجيبه، ولأنه كان متدرباً في قسم الجراحة، ولم يكن بحاجة إلى سماعة طبية على الإطلاق، يظهر جلياً أن الفكرة من الأداة المعنية قد أصبحت بطريقة أو بأخرى مستثمرة بأهمية نفسية أكبر مما ترتبط بها عادةً [...]، سأحبط بقية التحليل بقول إن هذه الفكرة الثانوية تشير إلى قضيب [...].

خطر بباله بعد ذلك مجموعة من ذكريات طفولته المتعلقة بطبيب العائلة، لقد كان مرتبطاً بشدة بهذا الطبيب في طفولته، وخلال التحليل خرجت ذكرياته المدفونة طويلاً من الوهم المزدوج الذي راوده في عامه الرابع فيما يتعلق بميلاد أخته الصغرى: (1) أنها ابنته، ووالدته بينما يغيب والده عن الصورة، (2) أنها كانت ابنته، والطبيب المذكور؛ لقد لعب الدور الذكوري، والأنثوي في هذا الوهم.

لقد فحص هذا الطبيب صدره مراراً، وتكراراً في سن السادسة، وتذكر بوضوح الإحساس الحسي برأس طبيبه بالقرب منه، وهو يضغط بالسماعة الخشبية على صدره، وحركة تنفسية المنتظمة شهيقاً، وزفيراً، لقد صدمته عادة الطبيب بحمل سماعة الطبيب داخل قبعته فقد وجد الأمر مثير للاهتمام أن يحمل الطبيب أدواته الرئيسية مخفية حيث تكون دائماً في متناول اليد عندما يذهب لرؤية المرضى، وأنه كان عليه فقط خلع قبعته (أي جزء من ملابسه) و «يُخرجها»، لقد تأثر كثيراً في سن الثامنة عندما أخبره صبي أكبر منه عن عادة هذا الطبيب في النوم مع مرضاه النساء في السرير، لابد من أن الطبيب الشاب الوسيم كان يتمتع بشعبية كبيرة بين نساء الحي بما في ذلك والدته الطبيب صاحب الوهم، لذا شكّل الطبيب، و «أداته» موضع اهتمام كبير طوال فترة طفولته.

قد يكون التماهي اللاوعي مع طبيب العائلة شكّل الدافع الرئيسي في اختيار هذا الشخص لمهنة الطب، كما هو الحال في العديد من الحالات الأخرى، لقد كان الأمر يخضع لشرطين: (1) تفوق طبيب العائلة ضمن مناسبات معينة على الأب الذي كان يغار منه الطبيب صاحب القصة، (2) معرفة الطبيب بالموضوعات المحظورة، والفرص المتاحة له للتساهل غير المشروع، لقد اعترف الطبيب بأنه تعرّض في عدة مناسبات لإغراءات جنسية حول مرضاه من النساء؛ لقد وقع في حب اثنتين من مرضاه الإناث، وتزوج إحداهن.

كانت الذكرى التالية تشير إلى حلم ذكره سابقاً في أحد المطبوعات¹²⁰، له طبيعة مثلية جنسية، وماسوشية؛ حيث يتضمن رجل ثبت أنه شخصية بديلة لطبيب العائلة، وقد هاجم الطبيب الموضوع بـ «سيف»، وقد ذكرته فكرة السيف بمقطع في القصيدة الملحمية نيبولونغن حيث ينام سيغورد، وسيفه العاري بينه، وبين برونهيلدا، ولطالما صدمت هذه الحادثة خياله.

أصبح الآن معنى الفعل العرضي الدال واضحاً أخيراً؛ لقد وضع الطبيب السماعة الخشبية بينه، وبين مرضاه تماماً كما وضع سيغورد سيفه (رمز مقابل) بينه، وبين الفتاة التي لم يكن بإمكانه لمسها، لقد شكّل الفعل العرضي تسوية؛ فقد ساهم هذا الفعل بخياله في إرضاء رغبته المكبوتة بالدخول في علاقات أقرب مع مريضة جذابة (مداخلة معنى القضيب)، وذكره في الوقت ذاته بأن هذه الرغبة لن تصبح حقيقة (مداخلة معنى السيف)، لقد كان سحرًا ضد الاستسلام للإغراءات إن صح التعبير.

أود إضافة مقطع من مسرحية ريشيليو التي كتبها اللورد ليتون، وتركت انطباعاً رائعاً على صبي: «تحت حكم الرجال العظماء، يكون القلم أقوى من السيف¹²¹»، لقد أصبح هذا الصبي كاتباً غزير الإنتاج ويستخدم قلم حبر كبير بشكل غير اعتيادي، وعندما سألته عن سبب حاجته إليه، أجاب بشكل مميز: «لدي الكثير لأقوله»، يذكرنا هذا التحليل مرة أخرى بالرؤى بعيدة المدى في الحياة النفسية التي تقدّمها لنا الأفعال البريئة، وغير المجدية وكيف يتطور الميل إلى الترميز في وقت مبكر من الحياة».

أضيفُ سرداً لحالة من تجربتي في العلاج النفسي حيث قدّمت يد شخص بليغ بمجرد اللعب ببعض فتات الخبز، كان المريض صبيّاً لا يتجاوز الثالثة عشر من العمر، ويعاني من هستيرية شديدة منذ عامين تقريباً، وبدأت علاجه النفسي، لقد أمضى وقتاً طويلاً في منتجع صحي لكنّه لم يُظهر أي تحسن، لقد افترض أن الصبي قد خاض تجارب جنسية، وكان منزعجاً من هذه الأمور حيث يُعد ذلك طبيعياً بالنسبة لصبي في سنّه، غير أنني كنت حريصاً على عدم مساعدته بتقديم التفسيرات لأنني أردت اختبار افتراضاتي، لقد كنت حتماً أشعر بالفضول لمعرفة كيف ستظهر فيه الحقائق التي كنت أبحث عنها، راقبته ذات أثناء دحرجته لشيء ما بأصابع يده اليمنى، ومن ثم يضع يده في جيبه حيث

يستمر في اللعب بها ثم يُخرجها مرة بعد أخرى، وهكذا، لم أسأله عن ذلك، لكنّه جعلني أرى ذلك الشيء عندما فتح يده فجأة، لقد كانت تحتوي على بعض فتات الخبز المعجن معًا في كتلة واحدة، أحضر معه في الجلسة التالية كتلة أخرى من نفس النوع، وبينما كنا نتحدث شكّلها على هيئة مجسمات صغيرة لأشخاص بسرعة غير عادية، وأبقى عينيه مغمضتين، لقد جذبت المجسمات اهتمامي، كانت تضم بلا شك رجال صغار الحجم برأس، وذراعان، ورجلين مثل الأصنام الأكثر بدائية في عصور ما قبل التاريخ، وبنّوء صغير بين الساقين سحبه الصبي إلى نقطة بعيدة، لم يكّد الصبي ينتهي من تشكيلها حتى عجنها مرة أخرى لتشكّل كتلة واحدة ثم ترك فيما بعد مجسم واحد لكنه سحب العجين إلى نتوءات مماثلة على ظهر المجسم، وفي أماكن أخرى لإخفاء أهمية النتوء الأول، لقد أردت أن أخبره بأنني فهمت لكن دون إعطائه أي عذر يجعله يدعي بعدم وجود أي شيء في ذهنه أثناء صناعة المجسمات، لذا سألته فجأة إن كان يتذكر قصة الملك الروماني الذي رد على مبعوث ابنه في التمثيل الصامت في حديقته، فادّعى الصبي بأنه لا يتذكرها بالرغم من كونه سمعها مؤخراً بلا شك أكثر مما سمعتها أنا، لقد سألت إن كانت إجابة القصة المذكورة مكتوبة على جمجمة عبد حليق، فأجبت: « لا، كان ذلك خارج التاريخ اليوناني»، وأخبرته القصة الرومانية: لقد أرسل الملك تاركوينيوس سوبيربوس ابنه سكستوس ليستقصي الأخبار، والآراء في الخفاء في مدينة لاتيوم المعادية، بعد أن وجد الابن أتباعاً هناك أرسل للملك رسولاً يسأله عن الخطوة التالية، لم يُجب الملك بالكلمات بل ذهب إلى حديقته، وجعل الرسائل يُكرر السؤال، ونزع أكبر، وأجمل رؤوس الخشخاش التي تنمو هناك بصمت، لم يستطع الرسول إخبار سكستوس بأكثر من ذلك، لكنه فهم والده، وأدرك أنه تلقى تعليمات باغتيال أبرز المواطنين.

بينما كنت أتحدث توقف الصبي عن عجن المجسم، وعندما أخبرته عن إجابة الملك التمثيلية في الحديقة مزّق رأس المجسم بحركة البرق بمجرد أن وصلت إلى عبارة «نزع بصمت أجمل رؤوس الخشخاش»، لقد فهم ما قصدته، وعرف أنني فهمته، عندها أصبح بإمكانني أن أطرح أسئلة مباشرة، وأن أعطيه المعلومات التي يحتاجها، وسرعان ما استطعنا وضع حد لمرض العصاب عنده.

إن تلك الأفعال العرضية الدّالة التي نلاحظها بكثرة لدى الأصحاء، والمرضى تستحق اهتمامنا لعدة أسباب، تقدّم هذه الأفعال مساعدة قيمة للطبيب في إيجاد طريقه تحت ظروف جديدة أو غير مألوفة، كما تكشف الطبيعة البشرية لمن يراقبها حتى أنها أحياناً تكشف له أكثر مما يريد أن يعرفه، يجب أن يشعر أي شخص يفهم هذه الأفعال مثل الملك سليمان الذي يعرف لغة الحيوانات في أساطير الشرق.

كان عليّ في أحد الأيام إجراء فحص طبي لشاب لم أكن أعرفه قبلاً في منزل والدته، عندما جاء لمقابلتي لاحظت بقعة كبيرة من بياض البيض على سرواله يمكن معرفتها بحافتها المميزة الواضحة، وبعد لحظة إحراج اعتذر الشاب موضحاً إنه كان يأكل بيضة نيئة لتخفيف صوته الأجش، ولابد أن بعض بياض البيض الزلق قد انسكب على ملابسه، وأشار على سبيل التأكيد إلى أن قشر البيض لا يزال ملقى على طبق صغير في الغرفة، كان هذا التفسير غير كافٍ للبقعة المذكورة، ولكن عندما تركنتا والدته وحدنا شكرته على تسهيل تشخيصي؛ فحصلت فوراً على إقراره بأنه يُعاني من العِلل المصاحبة للاستمناء كنقطة بداية لحديثنا.

كنتُ في مناسبة أخرى أزور سيدة غنية تتصف بالجشع، والغباء بقدر غناها، وكانت تجعل طبيبها يحاول التوصل إلى التشخيص عبر مجموعة هائلة من الشكاوى قبل أن يصل إلى السبب البسيط لحالتها، عندما وصلت كانت تجلس على طاولة صغيرة تلعب بالعملات النقدية، وتصنع منها أكوام صغيرة، وعندما نهضت أوقعت بعض العملات المعدنية على الأرض، ساعدتها في التقاطها، وسرعان ما قطعت وصفها لحالتها الصحية البائسة، وسألتها: «عزيزتي، هل أهدر صهرك الكثير من مالك؟»، لقد أنكرت الفكرة بمرارة ثم انطلقت بعد ذلك بوقت قصير في سرد القصة المثيرة للشفقة عن القلق الذي أصابها حول إسراف صهرها للمال، لم تتصل بي مرة أخرى، لا يمكن القول بأن الأشخاص الذين نخبرهم بمعنى أفعالهم العرضية يحبون ذلك.

قدّم الدكتور فان إمدن من لاهاي حالة أخرى عن «اعتراف» من خلال زلة: «عندما كنت أدفع الفاتورة في مطعم صغير في برلين ادّعى النادل أن سعر طبق معين قد ارتفع بمقدار عشرة قروش بسبب الحرب، وعندما تساءلت عن سبب عدم ظهور هذا الارتفاع في السعر على قائمة الطعام، قال:

«لابد من أن ذلك لم يُذكر عن طريق الخطأ، لكن يمكنني التأكيد لك أنني على حق»، بينما كان يستلم المال الذي دفعته تخبّط في التعامل مع العملات، وترك قطعة نقدية من فئة عشرة قروش تسقط على الطاولة كما لو أنها لي! قلت: «حسناً، الآن أعرف على وجه اليقين أنك جعلتني أدفع مبلغ إضافي، هل تريد أن أستفسر عند الصندوق؟»، فقال: «هل يمكنك أن تنتظر لحظة...» ثم ذهب، سمحت له بطبيعة الحال أن يذهب لحفظ ماء وجهه، وعاد بعد دقيقتين معذراً، وقال إنه لسبب غامض خلط طبقاً بآخر، فأعطيته العشرة قروش لمكافأته على مساهمته في علم النفس المرضي للحياة اليومية.

إن أي شخص يراقب رفاقه الرجال أثناء الأكل سيلاحظ بعض الإجراءات العرضية الممتعة، والمفيدة جداً.

يُقدم الدكتور هانس ساكس المثال الآتي: «صادف أنني كنت حاضراً عندما كان اثنان من عائلتي (زوجان عجوزان) يتناولان وجبتهما المسائية، كانت السيدة تعاني من معدتها الحساسة، وعليها الالتزام بنظام غذائي صارم جداً، وضع للزوج طبق اللحم المشوي، وطلب من زوجته التي لم يُسمح لها بتناول هذا الطبق أن تمرر الخردل، فتحت زوجته الخزانة الجانبية، ومدت يدها، وأخذت قنينة قطرات الجهاز الهضمي الصغيرة الخاصة بها، ووضعتها على الطاولة أمام زوجها، لم تكن علبة الخردل التي تشبه البرميل تشبه بأي شكل من الأشكال زجاجة قطرات الجهاز الهضمي، لذا لم يكن هناك أي تشابه يُفسّر الخطأ، لكنّ الزوجة لاحظت ما فعلته فقط عندما أشار إليها زوجها بابتسامة، لا يحتاج معنى هذا الإجراء العرضي الدال أي تفسير.

أقتبس مثال ممتاز من هذا النوع، وضّحه الدكتور برنارد دانتير من فيينا ببراعة شديدة حيث شهدته بنفسه: كنتُ جالساً في مطعم أتناول الغداء مع زميلي من قسم الفلسفة الدكتور س. حيث تحدث عن تجارب، ومحن الأكاديميين الذين كانوا في فترة الاختبار، وذكر عرضاً بأنه قبل نهاية دراسته كان سكرتير السفير التشيلي أو بالأحرى الوزير الشيلي المفوض، وأضاف: «إلا أن الوزير انتقل بعد ذلك إلى مكان آخر، ولم أقدم نفسي إلى الشخص الذي حل محله» بعد أن قال هذه الجملة الأخيرة، حمل قطعة من الفطيرة إلى فمه، ولكنّه أسقطها من الشوكة كما لو كانت ناتجة عن حركة خرقاء، رأيت

فوراً المعنى الخفي لهذا الفعل العرضي الدال، وقلت لزميلي الذي لم يكن على دراية بالتحليل النفسي كما لو كان الأمر عفويًا: «حسنًا، لقد تركت لقمة الاختيار تذهب هناك» لم ينتبه إلى أن ملاحظتي قد تنطبق بنفس القدر على تصرفاته العرضية الدالة، وكرر ما قلته للتو بالضبط بنبرة جذابة، ومدهشة بشكل مفاجئ كما لو كنت قد أخرجت الكلمات من فمه حرفيًا: «نعم، لقد كانت حقًا لقمة اختيار سمحت لي بالذهاب هناك»، ثم كشف عن مشاعره، وخفف على نفسه بإخباري عن تفاصيل الإحراج الذي أفقده منصبه الذي يتقاضى فيه أجرًا جيدًا.

يمكن تسليط المزيد من الضوء على تصرفاته العرضية الدالة بالإشارة إلى حقيقة أن زميلي شعر ببعض الارتباك أثناء إخباري عن ضغوط موارده المالية بما أنني لست صديقًا مقربًا، وأن الفكرة التي خطرت لعقله ظهرت على هيئة فعل عرضي يعبر بشكل رمزي عما يجب أن يبقى مخفيًا، ويساعد المتكلم اللاوعي على التخلص من مشاعره.

يقول الدكتور ب. دانتير: «زار أحد زملائي فتاة كان يعرفها، ومولعًا بها في شبابه لأول مرة منذ زواجها، أخبرني عن هذه الزيارة، وقال إنه كان ينوي البقاء معها لفترة قصيرة فقط إلا أنه لم يتمسك بهذه النية، الأمر الذي فاجأه، أخبرني بعدها عن زلة غريبة ارتكبها أثناء وجوده هناك، لقد بحث زوج صديقه الذي شارك في المحادثة عن علبة الثقاب حوله، وقد كانت موجودة على الطاولة عندما وصل زميلي، لقد فتش زميلي أيضًا عن علبة الكبريت في ملابسه ليرى إن كان قد «التقطها» عن طريق الخطأ، ولكن دون جدوى (إن الضمير «هذه» المستخدم مع علبة الثقاب يُقابله في الألمانية الضمير «ساي-sie» والذي حين يوافق تأنيث «علبة الثقاب» يدل على الضمير «هي»)، وجد علبة الثقاب بعد مرور بعض الوقت في جيبه، ولاحظ أنه لم يتبقَ فيها سوى عود ثقاب واحد، لقد رأى زميلي حلم بعد بضعة أيام برز فيه رمز علبة الثقاب مع صديقة شبابه، مما أكد تفسيره لأفعاله العرضية التي تشير إلى محاولته لاستعادة حقه في الأولوية، وإثبات ملكيته لهذه السيدة وحده (كان هناك عود ثقاب واحد في علبة الثقاب).

يصف الدكتور هانس ساكس الحادثة التالية: إن خادمتنا مغرمة بشكل خاص بأكل فطيرة معينة، وهذه حقيقة لا تقبل الشك، لأنها الطبق الوحيد الذي كانت دائماً تُعده بشكل جيد دون استثناء، كانت ستقدم لنا هذه الفطيرة في أحد أيام الأحد، ووضعتها على الطاولة الجانبية، وأخذت الأطباق، وأدوات المائدة المستخدمة لأكل الطبق السابق، ووضعتها على الصينية التي كانت تحمل عليها الفطيرة؛ ثم أعادت الفطيرة مرة أخرى إلى الصينية فوق كومة الأطباق بدلاً من وضعها على الطاولة أمامنا، وحملتها مرة أخرى إلى المطبخ، اعتقدنا في البداية أنها قد رأت شيئاً على الفطيرة يجب تصحيحه، ولكن عندما لم تظهر مرة أخرى، قرعت زوجتي الجرس، وسألتها: «بيتي، ماذا حدث للفطيرة؟»، فأجابت بحيرة: «ماذا تعنين؟» لقد كان علينا أن نشير إلى أنها أخذت الفطيرة معها حيث وضعتها على الصينية، وأخرجتها من غرفة الطعام، ووضعتها في المطبخ مرة أخرى «دون أن تلاحظ»، عندما كنا على وشك تناول ما تبقى من الفطيرة في اليوم التالي لاحظت زوجتي أن كل ما تبقى من الفطيرة في اليوم السابق ما زال موجوداً، وقد امتنعت الخادمة عن تناول حصتها من طبقها المفضل، عندما سُئلت عن سبب ذلك، قالت بشيء من الإحراج إنها لا تشعر بالرغبة في ذلك، هناك علامات واضحة على موقف طفولي في كلتا المناسبتين؛ أولاً، الجشع الذي يشبه الطفل الذي لا يريد مشاركة ما يحب مع أي شخص آخر، ثانياً رد الفعل الطفولي، والمتحدي: إذا لم تسمح لي بأخذها يمكنك الاحتفاظ بها لا أريدها.

تكون لهذه الأفعال العرضية الدالة التي تحدث في الزواج أهمية بالغة، ويمكن أن تتوقع الأشخاص الذين لا يعرفون شيئاً عن سيكولوجية العقل اللاواعي بأن يصدقوا التكهانات، والنذور، فمثلاً ليست بداية جيدة للزوجة الشابة أن تفقد خاتم زواجها في شهر العسل بالرغم من أنه يضيع لفترة قصيرة في معظم الحالات، وسرعان ما تعثر عليه مرة أخرى، أعرف سيدة مطلقة الآن من زوجها وضلت لسنوات خلال زواجها تُوقع على المستندات المتعلقة بإدارة ممتلكاتها باسمها قبل الزواج قبل أن تعود إلى هذا الاسم رسمياً، كنت أزور زوجين شابين، واستمعتُ إلى حكاية الزوجة الشابة عن تجربتها الأخيرة ضاحكة: لقد زارت شقيقتها غير المتزوجة في اليوم التالي لعودتها إلى المنزل من رحلة حيث اعتادت الذهاب للتسوق بينما زوجها في العمل، رأت فجأة رجلاً نبيلاً على الجانب الآخر من الشارع فوكزت شقيقتها، وقالت: «أوه، انظري، هذا السيد س.»، لقد نسيت أن السيد س. زوجها

بالفعل لعدة أسابيع، لقد شعرت بقشعريرة تسري في عمودي الفقري أثناء سماعي لهذه الحكاية لكنني لم أجرؤ على استخلاص النتائج، لقد تذكرت الحادثة الصغيرة بعد سنوات عديدة حين انتهى هذا الزواج بنهاية غير سعيدة.

أقتبس الملاحظة الآتية التي كان يمكن إدراجها في الفصل الخاص بـ «النسيان»، من الأعمال الشيقة ألفونس مايدر¹²²، المنشورة بالفرنسية في زيورخ، «أخبرتني سيدة مؤخرًا أنها نسيّت تجربة فستان زفافها، ولم تتذكر ذلك إلا في الثامنة مساءً من اليوم السابق لحفل زفافها، وقد كانت الخياطة قد فقدت الأمل في رؤية هذه العروس مرة أخرى، يشير هذا التفصيل بشكل كافٍ إلى أن المخطوبة لم تكن سعيدة جدًا بارتداء فستان الزفاف، وكانت تحاول نسيان هذه الفكرة المؤلمة، إن هذه السيدة اليوم مطلقة»

«أخبرتني صديقة تعلّمت الانتباه إلى الإشارات ذات المغزى بأن إليونورا دوز قامت بفعل عرضيّ دالّ في أحد أدوارها مما بيّن بوضوح براعتها كممثلة، كانت المسرحية تتحدث عن الزنا حيث كانت شخصية إليونورا قد تشاجرت للتو مع زوجها، ووقفت تُفكّر قبل أن يقترب منها أحد مغويها، خلال هذه الوقفة القصيرة، لعبت الشخصية بخاتم الزواج في إصبعها، وخلعته، ووضعتته ثم خلعتته مرة أخرى، وأصبحت عندها جاهزة للرجل الآخر.

سأضيف هنا بعض الملاحظات التي كتبها ثيدور ريك حول الأفعال العرضية الدالة الأخرى التي تتضمن خاتم الزواج، «نحن ندرك الأفعال العرضية التي يقوم بها المتزوجون عند خلع خاتم الزواج، ووضعه مرة أخرى، وصف زميلي س. سلسلة كاملة من الأفعال العرضية المتشابهة، كان قد تلقى خاتمًا كهديّة من فتاة أحبها، وأخبرته أنه إذا أضاعه فستعلم أنه توقف عن حبها مما جعله يشعر بقلق متزايد حول فقدان هذا الخاتم، عندما كان يخلعه بين الحين، والآخر لغسل يديه مثلاً، كان يُضيّعه بانتظام، ويضطر في كثير من الأحيان إلى البحث لفترة طويلة قبل العثور عليه مرة أخرى، عندما وضع ظرفاً في صندوق البريد شعر بالخوف من أن تسحب أطراف فتحة صندوق البريد خاتمه، وبمجرد قيامه بذلك بشكل أخرق؛ وقع خاتمه في الصندوق، كانت هذه الرسالة المعنية وداعاً لحبيبة

سابقة شعر بالذنب تجاهها، مما أيقظ مشاعره، ورغبته فيها، الأمر الذي يتعارض مع مشاعره الحالية تجاه حبيبته¹²³.

يُظهر موضوع الخاتم، ورمزيته مدى صعوبة اكتشاف المحلل النفسي لأي فكرة جديدة لم تخطر من قبل لكاتب مبدع، تضم رواية قبل العاصفة لـ ثيودور فونتان لعبة من التنازلات حيث يقول مستشار العدل تورغاني: «صدق أو لا تصدق، أن التنازلات أيها السيدات دليلٌ على أعماق أسرار الطبيعة البشرية»، وكان أحد الأمثلة التي قدمها لإثبات فائدة ادعائه كما يلي: «أتذكر زوجة البروفيسور التي ظهرت عليها سُمّة منتصف العمر¹²⁴، واستمرت في سحب خاتم زواجها من إصبعها، واسمحوا لي أن أمتنع عن وصف السعادة الزوجية لتلك الأسرة»، كان هناك رجل نبيل يشاركنا الجلسة لم يتعب أبداً من إسقاط سكين الجيب الإنجليزي في أحضان السيدات، وقد كانت تضم عشر شفرات، ونازعة السدادات الفلينية، وحجر القدح، ومسن السكاكين، بعد التسبب بالشقوق في الملابس، وتمزيق الفساتين الحريرية، وفي مواجهة احتجاجات الجميع، اختفت وحشية السكين تلك.

ليس مستغرباً استخدام شيء ما ذو أهمية رمزية عالية كالخاتم في زلات لها معنى معين، ولكنها لا تدل على ارتباط جنسي كما هو الحال مع خاتم الزواج أو الخطوبة، لقد شاركني الدكتور م. كاردوس المثال الآتي على هذه الحوادث: «منذ عدة سنوات، تعلّق بي رجل أصغر مني بغير حيث شاركني اهتماماتي الفكرية، وكان علاقتي به في بعض النواحي تشبه علاقة الطالب بمعلمه، أهديته خاتم في مناسبة معينة مما جعله يقوم ببعض الزلات أو الأفعال العرضية عدة مرات بالفعل كلما أغضبه أمر ما في علاقتنا، أخبرني مؤخراً بالحالة الآتية التي يمكن تفسيرها بسهولة: لقد قدّم بعض الأعداء لتغيبه عن الاجتماع الأسبوعي الذي اعتاد رؤيتي فيه، والتحدث معي بانتظام لأنه كان على موعد مع فتاة شابة تُمثل بالطبع مستقبل أكثر جاذبية، لاحظ في صباح اليوم التالي أن الخاتم لم يكن في إصبعه بعد وقت طويل من مغادرته المنزل، لم يفكر بذلك كثيراً على افتراض أنه ترك الخاتم على الطاولة بجانب السرير حيث يضعه كل مساء، وسيجده هناك عند العودة إلى المنزل مرة أخرى، بحث عنه الخاتم بمجرد عودته إلى المنزل لكن دون جدوى فبدأ يبحث عبثاً في الغرفة بأكملها، تذكر أخيراً أنه

منذ أكثر من عام يخلع الخاتم ليلاً، ويضعه فوق الطاولة الجانبية للسرير بجانب سكين صغير يضعها في جيب معطفه، وبدأ يفكر بأنه قد يكون «شارد الذهن» وضع الخاتم مع السكين.

لقد بحث داخل الجيب فوجد الخاتم الذي كان يبحث عنه بالطبع، مثله مثل الرجل الذي يضع خاتم زواجه في جيبه حين يخطط لخيانة المرأة التي أعطته إياه، لقد جعل ضمير صديقي يعاقب نفسه أولاً («أنت لا تستحق أن ترتدي هذا الخاتم بعد الآن»)، وأن يعترف بخيانتته ثانياً بالرغم من أنها مجرد زلة لا شهود عليها، اعترف هذا الصديق بفعل «الخيانة» الصغير الذي ارتكبه خلل العملية الملتوية لإخباري بالحادثة، ونتيجتها التي يمكن توقعها بسهولة.

لقد سمعت أيضاً عن رجل نبيل كبير في السن تزوج فتاة صغيرة جداً، وكان ذاهباً لقضاء ليلة الزفاف في فندق المدينة قبل الذهاب في شهر العسل، ما إن وصل الزوجان إلى الفندق، أدرك الرجل بقلق أن محفظته مفقودة، وتحتوي على كامل المبلغ المخصص لرحلة شهر العسل، وقد أضاعها أو فقدها، اتصل الرجل بخادمه عبر الهاتف، وعثر الخادم على المحفظة المفقودة في المعطف الذي كان العريس يرتديه في حفل الزفاف، وأحضرها إلى الفندق حيث كان الزوج المفلس الذي لم يكن لديه ما يقدمه لعروسه ينتظر، وعليه، استطاع الرجل أن يذهب برحلة شهر العسل مع زوجته الشابة في صباح اليوم التالي، إلا أنه في ليلة الزفاف نفسها لم يكن لديه «ما يقدمه لها» كما تنبأت مخاوفه تماماً.

إنه لمن المريح الاعتقاد بأن طريقتنا البشرية في «ضياع» الأشياء قائمة على أفعال عرضية دالة أكثر مما نتخيل، وبالتالي لا تعد خسارة هذه الأشياء غير مرغوبة في النوايا السرية للفرد حيث غالباً ما تدل على رأي سلبي أو كراهية سرية للأشياء المفقودة أو الشخص الذي قدمها، لقد انتقلت الرغبة في فقدان الأشياء إلى الشخص المعني من الأشياء الأخرى الهامة عبر سلسلة أفكار رمزية، يُعبر فقدان الأشياء القيمة عن جميع أنواع الدوافع العاطفية حيث تمثل الخسارة فكرة مكبوتة بشكل رمزي، وبالتالي تكرر تحذير لا نُفضل سماعه، ولكنها قد تكون قبل كل شيء تضحية القوى المظلمة للقدر

التي مازلنا نشعر بوجوب استرضائها، فيما يلي بعض الأمثلة لتوضيح ملاحظاتي أعلاه حول فقدان الأشياء:

قدّم دكتور ب. داتنر المثال الآتي: «أخبرني أحد الزملاء أنه خسر بشكل غير متوقع قلم رصاص بينكلا الذي كان يملكه منذ أكثر من عامين، وقد فكّر كثيراً بالأمر لأنه كان قلماً جيداً، أظهر التحليل أن زميلي تلقى رسالة غير سارة في اليوم السابق من شقيق زوجته حيث يقول فيها: «ليس لدي الوقت أو الرغبة الآن لدعم سلوكك الطائش، والكسول»، لقد كانت المشاعر التي أثارته الرسالة قوية جداً لدرجة أن زميلي ضحّى في اليوم التالي بقلم رصاص بينكلا الذي أهداه له شقيق زوجته ليتجنب الاضطرار إلى الشعور بالامتنان الشديد له»

أعرف سيدة امتنعت عن الذهاب إلى المسرح لأسباب مفهومة أثناء حدادها على والدتها العجوز، قبل انتهاء الحداد الرسمي العام بأيام قليلة، سمحت لبعض الأصدقاء بإقناعها بقبول تذكرة لأداء مسرحي مذهل، وحين وصلت إلى المسرح اكتشفت أنها أضاعت التذكرة، واعتقدت أنها تخلصت منها مع تذكرة الترام عندما خرجت من العربة، تفخر هذه السيدة بأنها لا تفقد أي شيء بإهمال، لذا يجب أن يفترض المرء أنها حين تفقد شيء ما يكون وراء الأمر دافعاً حاسماً، عند وصولها إلى منتجع صحي، قررت زيارة نزل أقامت فيه في مناسبة سابقة، رحب بها الجميع كصديقة قديمة، واستمتعت كثيراً، وعندما أرادت دفع ثمن وجبتها أخبروها بأنها ضيفة، ولن تدفع برغم عدم رضاها عن ذلك، سُمح لها بترك بقشيش للنادلة ففتحت حقيبتها لتضع ورقة نقدية بقيمة مارك¹²⁵ واحد على الطاولة، جاء خادم نزل في ذلك المساء، وبحوزته ورقة نقدية بقيمة خمسة مارك عُثر عليها تحت الطاولة، ويعتقد صاحب المنزل الداخلي، بأنها تخصها حيث أسقطتها من حقيبتها حين أخرجت إكرامية النادلة - ربما كانت تحاول دفع فاتورتها بعد كل شيء.

كتب أوتو رانك بحثاً مطولاً¹²⁶ يُسلط الضوء على موقف التضحية وراء مثل هذه الأفعال، ودوافعها الأكثر عمقاً بمساعدة تحليل الأحلام¹²⁷، يُضيف في ذلك البحث أمراً مذهباً؛ حيث يرى بأن العثور على الأشياء تُحدده دوافع سابقة تماماً مثل فقدانها، تُظهر ملاحظاته الخاصة التي أقتبسها هنا كيفية

إدراك، وفهم هذه الفكرة، يبدو جلياً أنه عند فقدان شيء ما تكون طبيعته معروفة بالفعل، بينما عند العثور على شيء ما يجب تحديد طبيعته أولاً.

رأت فتاة شابة تعتمد مالياً على والديها قطعة مجوهرات رخيصة الثمن، وأرادت شرائها، وحين سألت عن سعرها في المتجر شعرت بالأسف لأن تكلفتها أعلى من مدخراتها، بالرغم من أن مجموع المبلغ الذي منعها من التمتع بهذه المتعة الصغيرة لا يتجاوز اثنين كرون، كانت تسير إلى منزلها في مزاج كئيب وسط عجلة، وصخب شوارع المدينة خلال المساء، أدركت فجأة خلال سيرها في واحدة من أكثر الأماكن ازدحاماً بأنها رأت، بالرغم من غرقها في أفكارها، قطعة ورق على الأرض، ومرت بها دون أن تلاحظ، استدارت للخلف، والنقطة لتجد أنها ورق نقدية مطوية بقيمة اثنين كرون، قالت لنفسها: «لقد وضعها القدر في طريقي لأتمكن من شراء قطعة المجوهرات التي رأيتها» ، وعادت بسعادة إلى الورا لتتفقد الفكرة، لكنها في نفس اللحظة طلبت من نفسها ألا تفعل ذلك لأن هذا الورقة النقدية التي عثرت عليها «ورقة حظ»، ولا يفترض أن تنفقها.

يمكن استخلاص التحليل البسيط المطلوب لفهم هذا الفعل العرضي الدال من الموقف على الأرجح حتى دون المعلومات التي قدمتها الفتاة نفسها، قد تكون الأفكار التي شغلت بالها في طريقها إلى المنزل قد اشتملت في الطليعة على أفكارها حول فقرها، والقيود المادية، وقد نشك بأن هذه الأفكار اتخذت شكل تحقيق الرغبة حين تخيلت أن تتحرر من ظروفها الصعبة، لم تكن أفكارها حول كيفية الحصول بسهولة على مبلغ المال الذي تحتاجه بعيدة جداً عن عقلها، حيث كانت مهتمة بإشباع رغبتها المتواضعة، وقد تكون هذه الفكرة اقترحت الحل البسيط للعثور على المال، وهكذا كان عقلها اللاواعي (أو ما قبل الوعي) منفتحاً بالفعل على فكرة العثور على المال حتى لو لم تُدرك ذلك تماماً بسبب شروود ذهنها، وتشتت انتباهها (كانت تفكر بعمق)، بناءً على أساس تحليل حالات مماثلة، يمكن القول بأن «الاستعداد اللاواعي للبحث» قد يؤدي بسهولة إلى النجاح بالمهمة أكثر من اتخاذ قرار واعٍ، ومتيقظ للقيام بذلك، يصعب العثور على أي تفسير آخر للطريقة التي يمكن بها لهذا الشخص من بين مئات الأشخاص في الشارع أن يعثر على المال، الأمر الذي فاجأها بشدة، لا سيما تحت إضاءة الشوارع الخافتة في المساء، وجموع الناس الكثيفة التي لم تنتفع بفرصتها، يتضح مدى قوة هذا

الاستعداد اللاواعي أو ما قبل الوعي في أن الفتاة حتى بعد عثورها على المال - أي بعد أن أصبح استعدادها للعثور على شيء ما غير ضروري، ولم يعد له وجود في عقلها الواعي - عثرت الفتاة أيضاً على منديل في مكان مظلم، ومعزول في أحد شوارع الضواحي بينما كانت في طريقها إلى المنزل¹²⁸.

تجدر الإشارة إلى أن الأفعال العرضية الدالة توفر في كثير من الأحيان أفضل طريقة للتوصل إلى فهم الحياة النفسية الخاصة للبشر، ضمن أنواع الأفعال العرضية الدالة التي تظهر على نحو منعزل، سأختار مثلاً يمكنني من الحصول على تفسير أعمق حتى دون تحليل حيث يوفر توضيح مقنع للظروف التي تظهر فيها هذه الأعراض بشكل غير واضح، كما سيمكنني هذا المثال من إضافة ملاحظات ذات أهمية عملية تطبيقية.

بينما كنتُ مسافراً في عطلة صيفية، كان عليّ الانتظار بضعة أيام في مكان معين لحين وصول رفيقي في السفر، تعرفت خلال هذا الوقت تعرفت على شاب يبدو أنه يشعر بالوحدة أيضاً، ومستعداً للحفاظ على صحبتي، كنا نقيم في الفندق ذاته مما جعلنا نقع بسهولة في عادة تناول جميع وجباتنا معاً، والذهاب في نزهات المشي مع بعضنا، أخبرني صديقي الجديد بعد ظهر اليوم الثالث أنه ينتظر وصول زوجته بالقطار السريع ذلك المساء، أثار ذلك اهتمامي من الناحية النفسية حيث لاحظت بالفعل في ذلك الصباح أنه رفض اقتراحي بالمشي لمسافة أطول كما لم يرغب بالسير في طريق معين بينما كنا نتمشى في نزهة صغيرة قائلاً إنه شديد الانحدار، وخطير، قال لي خلال مسيرتنا بعد ظهر ذلك اليوم فجأة: « لا بد أنك جائع، عليك ألا تؤخر وجبتك المسائية من أجلي»، حيث سيتناول الطعام مع زوجته بعد وصولها، لقد فهمت التلميح، وجلست على مائدة العشاء بينما ذهب إلى المحطة، التقينا صباح اليوم التالي في بهو الفندق، وعرفني على زوجته، وأضاف: «أتمنى أن تتضمن إلينا لتناول الإفطار؟»، كان عليّ الذهاب لشراء شيء من الشارع المقابل، وأخبرتني بأنني سأعود قريباً، عندما دخلت مكان الإفطار رأيتُ الزوجين جالسين على نفس الجانب من طاولة صغيرة بالقرب من النافذة، ولم يكن هناك سوى كرسي واحد على الجانب الآخر من الطاولة حيث كان معطف الرجل الضخم، والثقل ملفوفاً على ظهره مُغطياً المقعد، لقد عرفت بالطبع سبب وضعه

للمعطف بهذه الطريقة، لم يكن ذلك مقصوداً بالتأكيد، ولكنه كان أكثر بلاغة ليقول: «ليس هناك مكان لك، أنت غير ضروري الآن»، لم يلاحظ الرجل أنني أقف بجانب الطاولة غير قادر على الجلوس، لكنّ السيدة لاحظت ذلك، ولكزت زوجها على الفور، وهمست: «انظر، لقد أخذت كرسي الرجل».

ضمن هذا الموقف، ومواقف أخرى مشابهة، أستنتج أنّ الأفعال التي يقوم بها المرء دون قصد تُشكّل مصدر لسوء الفهم في التواصل البشري، فالفاعل لا يدري عن ارتباط هذه الأفعال بالنوايا، ولا يدين نفسه بها، ولا يعتبر نفسه مسؤولاً عنها، بينما يعرف الطرف الآخر المعني بالعمليات النفسية للشخص الأول، ومعانيها أكثر مما يعتقد هذا الشخص بأنه يعرف أو ما هو مستعد للاعتراف به نتيجة لاستخلاصه الاستنتاجات بانتظام حول نوايا، وموقف الشخص الأول من هذه الأفعال، سيكون الفاعل غاضباً إذا واجهه أحدهم بأي استنتاجات من هذا القبيل بناءً على أفعاله العرضية الدّالة، ويعتبر أنها أفعال دون أساس لأنه لم يعلم بأي نية لتنفيذها، وسيشتكي من أن الشخص الثاني قد أساء فهمه، ينشأ سوء الفهم هذا بالمعنى الدقيق للكلمة من عملية فهم عظيمة جداً، وخفيّة للغاية، فكلما كان الشخصان «منفعلان» تزداد احتمالية نشوب خلافات أكثر حيث ينكر كل منهما مسؤوليته تجاهه الأفعال العرضية، بينما يعتبر الطرف الآخر الأمر مثبتاً، قد يُمثل ذلك العقوبة التي ندفعها مقابل خداعنا الداخلي بالسماح لأنفسنا بالتعبير عن أفكار معينة من خلال النسيان، والأفعال غير المقصودة، وغير المتعمدة، والأفكار التي من الأفضل أن نعترف بها لأنفسنا، وللآخرين حتى لو لم نتمكن من السيطرة عليها، يمكن القول بأن الفرد يُجري دائماً تحليل نفسي لمن حوله، ونتيجة لذلك يعرفهم أكثر مما يعرفون أنفسهم، يمكن للمرء تنفيذ النصيحة الأزلية الشهيرة «أعرف ذاتك» عن طريق دراسة أفعاله، وزلاته، ونسيانه الذي يبدو عرضياً.

من بين جميع الكتاب المبدعين الذين عبروا عن آرائهم حول الأفعال العرضية الصغيرة، والزلات أو استخدموها بطريقة ما في عملهم، لم يعترف أي منهم بالطبيعة السرية بوضوح أو وصفهم بمثل هذا الإخلاص المذهل، مثل أوغست ستريندبرغ - الذي استند بإدراكه المذهل إلى اختلافه النفسي العميق، لقد أشار كارل فايس¹²⁹ إلى المقطع التالي في أحد أعماله (الغرف القوطية):

«لقد وصل الكونت بعد فترة، وصعد بهدوء إلى إستير كما لو أنه رتب موعدًا معها».

- هل انتظرت طويلاً؟

سأل بصوت هادئ.

أجابت إستير:

- ستة أشهر كما تعلم، لكن ألم تراني في الأمس؟

- لماذا تسألين، نعم رأيتك في الترام، ونظرت في عينيك، وشعرت كما لو أنني أتحدث معك.

- لقد حدث الكثير منذ آخر مرة.

- نعم، لقد اعتقدت أن الأمر انتهى بيننا.

- لماذا؟

- كل الهدايا الصغيرة التي قدمتها لي انكسرت بأغرب الطرق، وأكثرها غموضاً، إلا أن ملاحظة هذه الأشياء ليس بالأمر الجديد.

- أوه، يا إلهي! لماذا بعد أن قلت ذلك، أتذكر الآن سلسلة كاملة من الحوادث التي اعتبرتها صدفة، بينما كنا على علاقة جيدة أعطتني الجدة نظارة أنفية مصنوعة من الكريستال الصخري المصقول، وكانت مفيدة جداً أثناء إجراء عمليات التشريح، لقد كانت رائعة بالفعل، وقد اعتنيت بها بشدة، تشاجرت ذات يوم مع الجدة، وغضبت مني، وفي المرة التالية التي أجريت فيها تشريح سقطت العدسات، واعتقدت أن النظارة الأنفية قد انكسرت، وأرسلتها للتصليح لكن دون فائدة حيث لم تناسبني لذا وضعتها في الدرج، وفقدت أثرها.

- حسنًا، فكّر في ذلك! كم هو غريب أن يكون كل شيء يتعلق بالعيون شديد الحساسية! لقد أعطاني صديق نظارة أوبرا¹³⁰ مناسبة لعيناي بشدة، وسررت لاستخدامها ثم اختلفت مع صديقي، أنت تعرف كيف تحدث هذه الأشياء، بدون سبب واضح يبدو كما لو أن المرء لا يستطيع الاتفاق مع الطرف الآخر، عندما استخدمت نظارة الأوبرا بعد ذلك لم أتمكن من الرؤية بوضوح خلالها حيث شعرت بأن عامود النظارة قصير جدًا، ورأيت صورتين بدلاً من واحدة، لا أحتاج إخبارك أن العمود لم يصبح أقصر من ذي قبل، ولم تزداد مسافة العدسات عن عيني! يحدث طوال الوقت أشياء غريبة مثل تلك بالرغم من أن الأشخاص الذي لا يُركّزون فيها لا يلاحظونها، إذن ما التفسير؟ لماذا، يجب أن تكون القوة النفسية للكرهية أكبر مما نعتقد؛ أوه، حتى هذا الخاتم الذي أعطيته لي فقدَ الحجر، ولم أتمكن من إصلاحه أبداً كما لو أنه يرفض ذلك؛ لذا - هل تريد الانفصال عني الآن؟

يجب على المحللين النفسيين إعطاء الأسبقية لكتّاب الأدب في مجال الأفعال العرضية الدّالة، حيث لا يسعنا إلا أن نكرر ما قالوه منذ زمن بعيد، لقد لفت السيد فيلهلم ستروس انتباهي للمقطع التالي في الرواية الفكاهية الشهيرة حياة السيد النبيل تريسترام شاندي (الجزء السادس، الفصل الخامس):

«لستُ مندهشًا على الإطلاق من أن غريغوريوس النزينزي عند ملاحظة إيماءات جوليان المتسارعة، وغير المرغوبة تنبأ بأنه سيصبح يومًا ما مرتدًا، أو أن القديس أمبروسيوس سيترد مساعده خارجاً بسبب حركة رأسه غير اللائقة حيث كان رأسه يتحرك للوراء، والأمام مثل مِخْبَاط¹³¹، أو أن ديموقريطس عليه إقناع بروتاغوراس ليكون عالمًا بعد رؤيته يربط حزمة حطب، ويدفع الأغصان الصغيرة إلى الداخل، تابع والدي: «هناك ألف فتحة لا يلاحظها أحد تسمح للمرء بنظرة ثاقبة إلى روح الرجل، وأصرّ على أن الرجل العاقل لا يخلع قبعته عند دخوله إلى غرفة ما أو يلبسها عند الخروج منها، وبالرغم من ذلك يفلت منه شيء ما، ويكشفه.

فيما يلي مجموعة بسيطة من الأنواع العديدة للأفعال العرضية الدّالة التي لوحظت لدى أشخاص أصحاء، ومرضى عصاب:

• خسر أحد الزملاء الأكبر سناً ضمن إحدى الأمسيات مبلغاً كبيراً من المال، وقد كان يكره الخسارة في لعب الورق، دفع المبلغ دون تذمر، ولكن ضمن إطار ذهني صامت بشكل ملحوظ، عندما عاد إلى المنزل اتضح أنه ترك وراءه كل شيء تقريباً: نظارته، وعلبة السيجار، ومنديله، يمكن ترجمة أفعاله إلى كلمات: حسناً، أيها اللصوص لقد خدعتموني ببراعة شديدة.

• أشار رجل يعاني من عجز جنسي بسبب علاقته الوثيقة بوالدته في الطفولة إلى أنه اعتاد تمييز كتاباته، ورسوماته بحرف السين الذي كان الحرف الأول لاسمها، لم يستطع تحمّل وجود الرسائل الخاصة من عائلته مع الرسائل الأخرى الأقل قدسية على مكتبه، وكان مضطراً للاحتفاظ بالرسائل الخاصة في مكان آخر.

• فتحت سيدة شابة باب غرفة الاستشارة فجأة حيث كان المريض السابق لا يزال جالساً، اعتذرت، وقالت إن السبب «عدم التروي»، ولكن سرعان ما تبين أنها تُظهر نفس النوع من الفضول الذي دفعها إلى اقتحام غرفة نوم والديها في الماضي.

• إن الفتيات اللواتي يفتخرن بشعرهن الجميل يرتبن أمشاطهن، ودبابيس شعرهن بمهارة شديدة بحيث لا بد أن ينزلق شعرهن في منتصف المحادثة.

• يُبعثر العديد من الرجال نقود معدنية من جيوب بناطيلهم أثناء استلقائهم للعلاج، وبالتالي يدفعون رمزياً رسوم الجلسة وفقاً لتقديراتهم الخاصة لقيمتها.

ينسى المرضى أشياء أحضروها معهم عند زيارة الطبيب (النظارة، القفازات، المحفظة) للإشارة إلى أنهم يستصعبون المغادرة، ويريدون العودة قريباً، يقول إدوارد جونز: «يمكن للمرء أن يقيس تقريباً نجاح الطبيب في العلاج النفسي من خلال حجم مجموعة المظلات، والمناديل، والمحافظ، وغيرها من أشياء المرضى التي يجمعها في غضون شهر».

إن أبسط الأفعال التي تجري بشكل معتاد، ودون وضوح مثل خلع الساعة قبل النوم، وإطفاء الضوء قبل مغادرة الغرفة مباشرةً، وما إلى ذلك، قد تكون عرضة للاضطرابات التي تُوضح بشكل واضح تأثير العقد اللاواعية على العادات التي تبدو أكثر رسوخًا.

يكتب مايدر في مجلة كوينوبيوم عن طبيب مستشفى كان لديه عمل هام في المدينة بإحدى الأمسيات، وقرر الخروج من كونه في مناوبة، وعليه ألا يغادر المستشفى أبدًا، عند عودته تقاجاً برؤية غرفته مضاءة؛ حيث نسي إطفاء الضوء عند مغادرته، الأمر الذي لم يحدث من قبل، سرعان ما حدد الدافع وراء نسيانه: إن مدير المستشفى الذي يعيش في المبنى ذاته سيستنتج من رؤية الضوء أن هذا الطبيب ما زال موجوداً في المبنى.

أخبرني رجل يعاني من قلق شديد، ونوبات اكتئاب أحياناً؛ بأنه كان يجد أن بطارية ساعته نفذت في الصباح عندما تبدو له الحياة قاسية جداً في المساء السابق، كان الفشل في ملء ساعته تعبيراً رمزياً عن عدم رغبته في مواجهة اليوم التالي، كتب لي رجل آخر لا أعرفه شخصياً: «عندما أصابتي مصيبة قاسية من القدر، بدت لي الحياة عدائية لدرجة أنني شعرت بعدم قدرتي على استدعاء القوة لأعيش يوماً آخر ثم لاحظت أنني نسيت يوماً تقريباً ملء ساعتي، الأمر الذي لم أكن معتاداً على نسيانه من قبل حيث كنت أفعل ذلك بانتظام دون وعي أو ميكانيكياً تقريباً قبل الذهاب إلى الفراش، أما الآن فنادراً ما أتذكر أن أقوم بملئها، وأفعل ذلك حين يكون لدي بعض المشاريع الهامة في اليوم التالي أو إن كان سيحدث أمر ما اهتم به، هل يمكن أن يكون ذلك إجراء عرضي أيضاً؟ لم أستطع شرح ذلك لنفسني على الإطلاق.

أن أي شخص مثل يونج ومايدر¹³² يتحمل عناء الاستماع إلى الألحان التي يدندنها الناس بشكل لا إرادي، سيلاحظ غالباً وجود بعض الارتباط بين الكلمات، واللحن الذي يدندنه المرء، والموضوع الذي يشغل باله، إن التحديد الدقيق للطريقة التي نعبر بها عن أفكارنا في الحديث أو الكتابة يستحق دراسة دقيقة، نعتقد عمومًا بأن الإنسان يختار الكلمات التي نُغطي بها أفكارنا أو الصورة التي نرسمها بها، تُظهر المراقبة الدقيقة أن هذا الاختيار يحدث لأسباب أخرى، وأن الشعور الأعرق،

وغير المتعمد في كثير من الأحيان يظهر بشكل طفيف في الشكل الذي اتخذته الفكرة، نادرًا ما تكون الصور، والأسلوب الذي يستخدمه الأفراد لتفضيلها على صلة بتقييم شخصياتهم، بينما تشير العبارات الأخرى غالبًا إلى الموضوع الذي يسيطر بقوة على المتحدث، لقد سمعت ذات مرة رجل يستخدم التعبير الآتي في المناقشة النظرية: «عندما ينطلق (باستخدام كلمة شوت - Shoo أي يُطلق النار) شيء ما فجأة في ذهنك (بالألمانية: كوبف - Kopf، أي الرأس)»، لقد كنتُ أعلم بأنه سمع مؤخرًا أن رصاصه روسية مرت عبر قبعة الجيش التي كان ابنه يرتديها على رأسه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



الفصل العاشر: ارتكاب الأخطاء

يمكن التمييز بين ارتكاب الأخطاء في تذكر الحقائق، وبين النسيان المصحوب بذاكرة كاذبة عن طريق سمة واحدة فقط: أننا عند ارتكاب الأخطاء لا ندرك ارتكابنا للخطأ، ونعتقد أننا على صواب، يبدو أن استخدام مصطلح «خطأ» يعتمد على جانب مختلف للظاهرة، نتحدث عن «ارتكاب الأخطاء» بدلاً من الذاكرة الخاطئة عندما نريد التأكيد على الحقيقة الموضوعية للمحتوى النفسي الذي نتذكره أي عندما نريد تذكر شيئاً ما خارج حياتنا النفسية، الشيء الذي يمكن تأكيده أو دحضه عبر ذكريات الآخرين، ضمن هذا السياق، يصبح الجهل مُعاكس للذاكرة الخاطئة.

في كتابي تفسير الأحلام (1900)¹³³، كنتُ مذبذباً بسلسلة من تزوير الحقائق التاريخية والمحتوى النفسي الواقعي بشكل عام، ولم أدرك ذلك إلا بعد نشر الكتاب، وكنتُ شديد الدهشة، تبين عند التحليل الدقيق أن ذلك لم ينبع من جهلي، وإنما يرجع إلى أخطاء الذاكرة التي يمكنني توضيحها عن طريق التحليل.

(1) الصفحة 266/الطبعة الأولى: كنتُ قد قلت إن مسقط رأس شيلر في مدينة ماربورغ في هيسين، ويمكن إيجاد اسم هذا المكان في مدينة ستيريا أيضاً، يأتي هذا الخطأ ضمن تحليل الحلم الذي حلمت به أثناء السفر ليلاً، وأيقظني منه الحارس عندما نادى محطة ماربورغ؛ حيث يشير محتوى الحلم إلى أحد كتب شيلر، لم يولد شيلر في مدينة ماربورغ الجامعية، وإنما ولد في مارباخ في شوابيا، وأنا متأكد من أنني كنت أعرف ذلك دائماً.

(2) الصفحة 135: كتبت اسم والد هانيبال على أنه هاسدروبل، أجد هذا الخطأ مزعج للغاية لكنّه ساهم بشكل كبير في تأكيد أفكاري حول الطريقة التي تحدث بها مثل هذه الأخطاء، يعرف بعض قراء الكتاب عن تاريخ عائلة برشلونة أكثر من المؤلف نفسه، إلا أنني وضعت الاسم الخطأ، وتركته يمر عبر ثلاث مراحل من المسودات، كان اسم والد هانيبال (هاملكار برشا)، بينما (هاسدروبل) اسم شقيق هانيبال، وكذلك اسم شقيقه الذي سبقه كقائد للجيش القرطاجي.

3) الصفحة 177 والصفحة 370: قلت إن زيوس قد قام بإخصاء والده كرونوس واستولى على عرشه، لقد نقلت هذا الفعل المروع بالخطأ إلى الجيل التالي، فقد كان كرونوس في الأساطير اليونانية من قام بإخصاء والده أورانوس¹³⁴.

كيف يمكنني شرح الطريقة التي قدمت بها ذاكرتي معلومات خاطئة حول هذه النقاط بينما يرى قراء الكتاب بأنها وضعت بين يدي محتوى مختلف بطبيعة غامضة، وغير عادية؟ والأهم من ذلك، كيف فاتتني رؤية الأخطاء كأني أصبت بالعمى المفاجئ، وأنا أصح بدقة ثلاث مسودات قبل الطباعة؟

يقول جوته عن ليشتنبرغ: «عندما يقول نكتة، هناك مشكلة وراءها»، يمكنني قول أمر مشابه عن مقاطع كتابي المذكورة أعلاه: حيثما ارتكبت خطأ ما، هناك نوعاً من الكبت وراءها، أو بدقة أكثر هناك نوعاً من عدم الصدق أو التشويه الذي يستند في النهاية إلى الكبت، ضمن تحليل الأحلام الذي قدمته في الكتاب، كانت أفكار الأحلام تتعلق بموضوعات ذات طبيعة تعني في بعض الأحيان أنني اضطررت إلى إيقاف التحليل قبل اكتماله، وأني في أحيان أخرى اضطررت إلى تشويه تفاصيل غير دقيقة لطمس النقطة التي تشير إليها، لم يكن لدي خيار آخر، ولا أي بديل إن كنت أريد الاستشهاد بأية أمثلة، وتقديم أي دليل حيث كان الموقف الذي وجدت نفسي فيه مستمداً حتماً من طبيعة الأحلام، وقدرتها على إظهار ما قُمع، وعدم قدرتها على التعبير الواعي، وإن كانت قادرة على ذلك يبدو أنها ستسبب بالضرر لأمر أكثر حساسية، إن تعديل الأفكار أو حذفها عند معرفتي بكيفية استمرارها لا يمكن أن يحدث دون ترك أي أثر، ما أردت كبته شق طريقه رغماً عني إلى ما قلته، وظهر كخطأ ثم مر دون أن يلاحظه أحد، يكمن الموضوع نفسه في قلب الأمثلة الثلاثة التي ذكرتها أعلاه؛ لقد نشأت أخطائي من الأفكار المكبوتة المتعلقة بوالدي الراحل.

1) سيكون واضحاً جزئياً لقارئ الحلم الذي جرى تحليله في الصفحة 266 ، وسيكون قادر على استخلاص المزيد من الاستنتاجات من بعض التلميحات التي أوقفتها لتعبيرها عن انتقادات سلبية لوالدي، يعتمد جزء من سلسلة الأفكار، والذكريات على قصة مؤلمة تتضمن كتباً، وصديق والدي في العمل - رجل اسمه ماربورغ - الاسم نفسه الذي أيقظني من النوم عندما سمعت الحارس ينادي به

في محطة ماربورغ على السكة الحديد الجنوبية، أثناء تحليل الحلم كنت أرغب في عدم ذكر السيد ماربورغ، وإخفاء وجوده عن نفسي، وعن قرائي، لكنه انتقم لنفسه بالتطفل على المكان الذي لا ينتمي إليه بتغيير اسم مسقط رأس شيلر من مارباه إلى ماربورغ.

(2) يأتي خطأ استخدام اسم هاسدروبل بدلاً من هاملكار، وإعطاء اسم شقيق هانيبال بدلاً من والده ضمن سياق يتعلق بأوهام هانيبال حين كنت في المدرسة الثانوية، وكرهت موقف والدي تجاه «أعدائنا»، كان بإمكانني الإشارة إلى التغيير الذي حدث في علاقتي بوالدي بعد رحلة إلى إنجلترا حيث قابلت أخي غير الشقيق من زواج والدي الأول الذي عاش في تلك البلد، يتقارب عمر ابن أخي الأكبر من عمري لذا لم يكن هناك فارق في السن مما عزز تخيّلتي حين فكرت كم سيكون الأمر مختلفاً لو كنت جئت إلى العالم بصفتي ابناً لأخي، وليس لأبي، أدت هذه التخيّلات المكبوتة إلى تزوير نص كتابي حيث أوقفت التحليل بوضع اسم شقيق هانيبال بدلاً من والده.

(3) يأتي تغيير لتوقيت الأوهام الأسطورية التي فرضتها آلهة اليونان القديمة من جيل إلى آخر نتيجة لتأثير ذاكرة الأخ ذاتها، لقد كانت أحد النصائح التي قدمها لي، وظلت في ذهني لفترة طويلة: «باستمرار حياتك، لا تتس أنك في الجيل الثالث بدلاً من الجيل الثاني من الدنيا»، لقد كان والدنا في الواقع كبير في السن عندما تزوج مرة أخرى؛ لذا كان أكبر بكثير من أبنائه من ذلك الزواج الثاني، لقد ارتكبت الخطأ المذكور أعلاه في الكتاب في نفس المكان الذي كنت أناقش فيه العلاقة الواجبة بين الوالدين، والأبناء.

لقد أخبرني بعض الأصدقاء، والمرضى الذين وصفت أحلامهم أو أشرت إليها في تحليل الأحلام أن سردي للتفاصيل التي شاركوني إياها غير دقيق، يمكن القول بأن هذه الأخطاء تاريخية بطبيعتها لأنني راجعت المقاطع المختلفة المعنية بعد تصحيحها، وأدركت أن أخطاء ذاكرتي في سرد الحقائق حدثت فقط عندما قمت بتشويه أو إخفاء جزء من التحليل عن قصد، إذن هي أخطاء مرت دون أن يلاحظها أحد كبديل للنسيان أو الكبت المتعمد.

يمكن التمييز بوضوح بين الأخطاء الناتجة عن الكبت، والأخطاء الناتجة عن الجهل الحقيقي، كان جهلاً واضحاً حين اعتقدت مثلاً أنني رأيت ايمرسدورف¹³⁵ حيث عاش الثوري فيشوف¹³⁶، بينما كنت في رحلة استكشافية إلى منطقة واتشاو، في الحقيقة هناك مكانان بهذا الاسم، وكانت ايمرسدورف التي عاش فيها الثوري فيشوف في مدينة كارينثيا، لكنني لم أكن أعرف ذلك.

4) أذكر خطأ مهني آخر، ولكنّه مفيد، وأصفه بأنه حالة جهل مؤقت، ذكرني أحد المرضى ذات يوم أنني وعدته بإعارته كتابين عن البندقية لقراءتهما استعداداً لقضاء عطلة عيد الفصح، أخبرته أنني قد أعددت الكتب له، وذهبت إلى مكتبتي لجلبها، لقد نسيت في الحقيقة البحث عن الكتب لأنني لم أكن راضياً عن رحلة مريض، فقد اعتبرتها انقطاعاً غير ضروري في علاجه، وضرراً مالياً بالنسبة لي كطبيب، ألقيت نظرة سريعة حول المكتبة بحثاً عن الكتابين اللذين فكرت فيهما: أحد الكتب عن فن البندقية، وكنت متأكداً من أن لديّ عملاً تاريخياً آخر في سلسلة مماثلة، وكان هناك بالفعل: عائلة ميديشي، أخرجت الكتاب من الرف، وأعطيته للمريض المنتظر ثم اعترفت بخطئي مُحرجاً، لأنني كنتُ أعرف حقاً أن عائلة ميديتشي لا علاقة لها بالبندقية، لكن بدا لي للحظة وجيزة أن الربط بينهما ليس مستحيلاً على الإطلاق، بما أنني أشرت كثيراً إلى أفعال المريض العرضية الدالة، لم أستطع عندها استعادة سلطتي في عينيه إلا بالصدق، وبإخباره بالأسباب التي لم أذكرها له حول تحفظي على رحلته.

يُدْهَشْنِي بشكل عام أن الدافع لقول الحقيقة أقوى بكثير مما نعتقد عادةً، قد يكون ذلك نتيجةً لدراستي للتحليل النفسي، لكنني الآن أجد صعوبة كبيرة في الكذب، وكلما حاولت المراوغة ارتكب خطأ أو زلة أخرى تكشف نواياي الخادعة كما في هذا المثال، وفي الأمثلة السابقة.

تبدو آلية ارتكاب الأخطاء أكثر مرونة من أنواع الزلات الأخرى مما يعني أن ارتكاب خطأ بشكل عام يدلّ على تعارض النشاط العقلي المعني مع التأثيرات التخريبية، إلا أن طبيعة الخطأ لا تتحدد بحسب نوع الفكرة التخريبية التي تظل غامضة، أود أن أضيف على هذه النقطة أن الأمر نفسه ينطبق على كثير من الحالات البسيطة من زلات اللسان أو القلم، عندما نرتكب هذه الزلة، يجب أن نفترض

أن العمليات العقلية البعيدة عن النية قد عطلت ذلك، لكن على المرء الاعتراف بأن زلات اللسان، والقلم تحدث غالبًا عبر تشابه الأصوات أو الكسل أو الميل إلى التسرع، ولا ينجح العامل التخريبي في إظهار طبيعته في الخطأ الناتج، إن إجراء العمليات العقلية على جانب المادة اللفظية فقط يُسهّل، ويجد من تحديد الخطأ في الوقت ذاته.

لتجنب ذكر أخطائي الخاصة فقط، أضيف هنا بعض الأمثلة التي يمكن تصنيفها بشكل جيد على أنها زلات لسان أو أفعال لم تترك بصماتها، لكن لا تحدث فرقًا كبيرًا في التشابه بين جميع أنواع الزلات.

(5) كان لديّ مريض يريد إنهاء علاقة، ونصحته بشدة ألا يتحدث مع حبيبته عبر الهاتف لأن كل محادثة إضافية تجعل الانفصال عنها أصعب بالنسب له، أخبرته أن يكتب لها بدلاً من ذلك؛ برغم وجود بعض الصعوبة في تسليم الرسائل إليها، لقد زارني في الساعة الواحدة ليخبرني أنه وجد طريقة للتغلب على هذه المشكلة، وسألني من بين أمور أخرى عما إذا كان بإمكانه الاستشهاد برأيي الطبي، عند الساعة الثانية صباحًا أثناء انشغاله بكتابة رسالة الوداع، قاطع نفسه فجأة، وقال لأمه التي كانت في الغرفة ذاتها: «أوه، لقد نسيت أن أسأل البروفيسور إن كان بإمكانني ذكره بالاسم في الرسالة»، سارع بعد ذلك إلى الهاتف، واتصل بي، وطرح سؤال: «هل يمكنني من فضلك التحدث إلى البروفيسور إذا انتهى من غدائه؟»، وأذهلته الإجابة: «هل فقدت عقلك يا أدولف؟»، لو كان اتبع نصيحتي لما سمع ذلك مرة أخرى، لقد «ارتكب خطأ» ببساطة، واتصل برقم حبيبته بدلاً من رقم طبيبه.

(6) كانت سيدة شابة ستزور صديق متزوج حديثًا في حي هابسبورغ، كانت تتحدث عن زيارتها حول مائدة العائلة لكنها قالت عن طريق الخطأ إنها مضطرة للذهاب إلى حي بابنبرغ، فأشار الجالسين على الطاولة ضاحكين إلى الخطأ - أو زلة اللسان، إن صح التعبير، كان الجمهورية النمساوية في فيينا قد أعلنت قبل يومين، واختفى اللونين الأسود، والأصفر للإمبراطورية السابقة ليحل محلها الأحمر، والأبيض في أوستمارك القديمة موطن آل بابنبرغ، وجرّد آل هابسبورغ من السلطة، لذا

قامت المتحدثة بنفس الاستبدال في عنوان صديقها، هناك شارع مشهور جداً في فيينا يسمى شارع بابنبرغ، ولكن لم يُشر إليه سكان فيينا على أنه حي أو زقاق.

(7) كان مُعلم المدرسة الشاب الوسيم، لكن الفقير في منتجع سياحي يغازل ابنة رجل من المدينة يمتلك فيلا هناك، حتى وقعت الفتاة في حبه، بالرغم من الاختلافات العرقية، واختلاف المكانة الاجتماعية بينهما، أقنعت الفتاة عائلتها بالموافقة على الزواج، كتبت مُعلم المدرسة في أحد الأيام رسالة لأخيه، مُعلّقة: «إن الفتاة ليست جميلة، لكنّها لطيفة جداً لذا سيكون كل شيء بهذا الخصوص على ما يرام، إلا أنني لا أستطيع معرفة إن كنتُ سأتمكن من دفع نفسي للزواج من يهودية في النهاية»، عندما أرسل هذه الرسالة إلى خطيبته، فُسخت الخطبة، وفوجئ شقيقه برسالة مليئة بوعود المحبة، أكد لي الشخص الذي أخبرني بهذه القصة أنها كانت حقاً خطأ، وليست حيلة ذكية، سمعت أيضاً عن حالة أخرى لسيدة غير راضية عن طبيبها لكنّها لا تريد أن تقول ذلك، وتتركه علانية، وبدلاً من ذلك حققت غايتها بالخلط بين رسالتين، ويمكنني الجزم هنا أن هذه الطريقة المألوفة كانت خطأ حقيقي، وليس طريقة استخدمتها بوعي.

(8) يقدم بريل حكاية سيدة سألت عن امرأة أخرى يعرفانها، ونادتها باسمها قبل الزواج بالخطأ، عندما لفتَ بريل انتباهها إلى الخطأ، اعترفت بأن زوج صديقتها لا يعجبها، ولم تكن سعيدة على الإطلاق بزواجها.

(9) يمكن تسمية الخطأ التالي بزلّة لسان: ذهب والد صغير إلى مكتب المسجل لإخباره عن ولادة ابنته الثانية، عندما سُئل عن اسم الطفل أجاب: «حنا»، فقال له المسجل: «لكن لديك بالفعل طفل اسمه حنا»؛ نستنتج أن الابنة الثانية لم تكن إضافة مرحب بها إلى الأسرة مثل الابنة الأولى.

(10) فيما يلي بعض الملاحظات الإضافية للأسماء التي يُخلط بينها، تجدر الإشارة إلى إمكانية تضمينه هذه الأسماء تحت فصول أخرى من هذا الكتاب، أنجبت سيدة ثلاث بنات تزوجت اثنتان منهن بينما لم تُخطب الابنة الأصغر بعد، قدمت سيدة أخرى، صديقة العائلة، هدية متطابقة في حفل الزفاف، وكانت عبارة عن طقم شاي فضي ثمين، كلما ذكر أحدهم طقم الشاي هذا، ترتكب الأم خطأ

الإشارة إلى ابنتها الثالثة كمالكة للهدية، يبدو جلياً أن خطأ الأم يُعبر عن رغبتها في زواج ابنتها الثالثة، والأخيرة أيضاً؛ حيث كانت تقترض أنها ستحصل على نفس هدية الزفاف، يسهل حقيقةً تفسير الحالات المتكررة التي تختلط فيها الأم أسماء بناتها أو أبنائها أو أصهارها.

11) قدّم السيد ج. أثناء تواجده في مصحة مثال سهّل شرح الخلط المستمر بين الأسماء عبر الملاحظة الذاتية: «ذات يوم على طاولة العشاء في المصحة قلتُ عبارة تُشير لتفاصيل تتعلق بالسيدة التي تجلس بجواري أثناء محادثة لم تكن تهمني كثيراً، وتقليدية جداً من حيث المضمون، لم تتمكن هذه السيدة التي تتقدم في السن، ولم تتزوج بعد، ألا تقول ملاحظة تشير فيها إلى أنني لم أكن عادةً أنتبه للتفاصيل الخاصة بها، ولم أكن مؤدب تجاهها - لقد عبّرت ملاحظتها عن ندم معين، ولكنها كانت بوضوح إشارة مهينة للسيدة التي نعرفها كلانا، واعتدت أن أعيرها اهتماماً أكبر، لقد علمت في الحال ما كانت تعنيه بالطبع، أثناء ما تبقى من محادثتنا أشارت جارتي عدة مرات إلى أنني قد خاطبتها للتو باسم السيدة التي رأتها كمنافسة أكثر نجاحاً فيما يخص عواطفِي، الأمر الذي كان مُخرجاً جداً بالنسبة لي.

12) أشير هنا إلى حالة أخرى جدّية أخبرني بها شاهد معنيّ بشكل وثيق، وأصفها بأنها «خطأ»؛ كانت سيدة تقضي الأمسية في الخارج مع زوجها بصحبة رجلين آخرين، وكان أحدهما في الواقع صديق مقرب جداً لها لكن الآخرين لا يعرفون ذلك، ويجب ألا يفعلوا، رافق الصديقين الزوجين إلى باب المنزل، وودعاهما منتظرين فتح الباب، انحنت السيدة لأحد الرجلين، وصافحته قائلة بضع كلمات ودية، ثم أخذت ذراع حبيبها غير المعروف، والتفتت إلى زوجها، وكانت على وشك أن تودعه بالطريقة ذاتها، فهم الزوج الأمر، وخلع قبعته، وقال بأقصى درجات اللباقة: «حسناً، وداعاً لك أيضاً، سيدتي!، عندها تخلت الزوجة عن ذراع حبيبها في حالة جزع قبل أن يظهر البواب، وكان لديها الوقت لتتهدد: «يا إلهي، يا له من عمل سخيف!»، كان زوجها أحد هؤلاء الرجال المتزوجين الذين يرغبون في الاعتقاد باستحالة أن تكون زوجاتهم غير مخلصات، وكثيراً ما قال إنه في حال وجود سبب للشك ستكون أكثر من حياة واحدة في خطر، لذا كان لديه أقوى الدوافع اللاواعية لعدم ملاحظة التحدي الكامن في خطأ زوجته.

13) كرر أحد مرضاي خطأ معين بمعنى مُعاكس، لذا أعتقد بأنه مقال مفيد جداً: وعد شاب مرهق بعد صراع داخلي طويل مع نفسه فتاة أحبته منذ فترة طويلة بالزواج حيث كان يحبها فعلاً، أوصل خطيبته إلى المنزل، وودعها، واستقل الترام في حالة من البهجة الشديدة، وطلب من قاطع التذاكر في القطار الحصول على تذكرتين، تزوج الشاب بعد ستة أشهر لكنه لم يتكيف بعد مع فوائد الحياة الزوجية، فتساءل إن كان قد فعل الصواب حيث افترق أصدقائه القدامى، وكان لديه كل أنواع الاعتراضات على والدي زوجته، أحضر زوجته الشابة من منزل والديها في إحدى الأمسيات، وركب معها الترام، وطلب من قاطع التذاكر حينها أن يعطيه تذكرة واحدة فقط.

14) يقدّم مايدر مثلاً جيداً على الطريقة التي قد يُحقق بها «الخطأ» رغبة مكبوتة على مضض، أراد أحد الزملاء الاستمتاع بيوم إجازة دون إزعاج، لكن كان عليه إجراء زيارة إلى لوسيرن ولم يكن يتطلع لذلك، قرر بعد الكثير من التفكير أنه سيقوم بالزيارة في نهاية المطاف، لكي يشغل ذهنه قرأ الصحف اليومية في رحلته من زيورخ إلى آرث، وغولداو ثم بدّل القطار في المحطة الأخيرة، واستمر في القراءة، خلال الرحلة، أخبره قاطع التذاكر أنه في القطار الخطأ: لقد اشترى تذكرة إلى لوسيرن، لكنه الآن في طريق عودته من غولداو إلى زيورخ¹³⁷.

15) فيما يلي مثال لمحاولة مماثلة لتحقيق رغبة مكبوتة عبر الآلية ذاتها، وإن لم تكن ناجحة، وقدم الدكتور فيكتور توسك هذا المثال تحت عنوان «الذهاب في الطريق الخطأ».

«ذهبت في إجازة من الجيش إلى فيينا، وسمع مريض سابق أنني هناك فأرسل لي رسالة يسألني إن كنتُ سأزوره فقد كان طريح في الفراش، وافقت على طلبه، وقضيت معه ساعتين، وعندما غادرت سألني بكم يدين لي، فأجبته: «أنا هنا في إجازة ليس كمستشار، أرجوك فكّر بهذه الزيارة على أنها زيارة صديق.»، اعترض المريض على ذلك فربما شعر بعدم أحقيته في المطالبة بالخدمات المهنية لمجرد الصداقة، لكنّه وافق أخيراً، وقال بنبرة محترمة تملئها سعادته بتوفير المال أنني كمحلل نفسي أعرف بالتأكيد ما الشيء الصحيح الذي يجب فعله، بدأت أشك بعد ذلك بقليل في صحة نهجي النبيل، وبينما كنتُ مليئاً بهذه الشكوك - التي لم يظهر عليها أي غموض - دخلت في خط الترام الكهربائي

س. ، واضطرت بعد رحلة قصيرة التغيير إلى الترام ص. أثناء انتظاري في المحطة نسيت الرسوم، وفكرت في أعراض المريض، وفي تلك الأثناء جاء الترام الذي كنت أنتظره، وركبت، لكن كان عليّ النزول مرة أخرى في المحطة التالية، كنت دون أن ألاحظ قد ركبت الترام س. بدلاً من الترام ص. عن طريق الخطأ، وبذلك في كنت في الطريق الذي أتيت منه لتوي، كأنني أזור المريض الذي رفضت أن أتقاضى منه المال، لكن عقلي اللاواعي أراد أن يأخذها¹³⁸.

16) لقد طبقت ذات مرة على نفسي خدعة مشابهة جداً لتلك الموصوفة في المثال 14، لقد اتفقت مع أخي الأكبر صاحب الأفكار الصارمة إلى حد ما على زيارة طال انتظارها لمنتجع ساحلي إنجليزي في ذلك الصيف، ولأنني كنت متأخراً قررت السفر بأقصر طريق دون التوقف في الطريق، لقد طلبت منه تأخير الرحلة ليوم إضافي لأقضيه في هولندا، لكنه قال إن عليّ ترك ذلك لطريق العودة، وعليه، كنت ذاهب عن طريق ميونيخ، وكولونيا إلى روتردام، ومدينة هوك هولندا حيث سأستقل القارب للعبور إلى هارويتش في منتصف الليل، اضطرت إلى التغيير في كولون، وتركت القطار من ميونيخ لركوب قطار روتردام السريع لكن لم أستطع العثور عليه، سألت العديد من مسؤولي السكك الحديدية، وأرسلوني من رصيف إلى آخرى، ووجدت نفسي مضطرباً للغاية، وسرعان ما أدركت أنه أثناء هذا البحث غير المُجدي قد فوّت القطار، حين تأكدت أن القطار فاتني تساءلت إن كان عليّ قضاء الليلة في كولون، وقد أوحى لي مشاعر العائلة، والعوامل الأخرى بهذه الفكرة حيث أن أسلافي وفقاً لتقاليد العائلة القديمة قد فروا من كولون أثناء مذبحه؛ قررت رفض هذه الفكرة، وركبت القطار متأخراً إلى روتردام حيث وصلت في وقت متأخر من الليل؛ لذا كنت مجبراً على قضاء يوم في هولندا، لقد استخدمت هذا الوقت لتحقيق رغبتني المنشودة منذ زمن برؤية رامبرانتس الرائعة في لاهاي، ومتحف ريجكس، أثناء تجميع انطباعاتي حول الأمر برمته في صباح اليوم التالي خلال رحلة القطار عبر إنجلترا، ظهرت في ذهني ذكرى واضحة جداً لرؤية لوحة ملاحظات كبيرة في محطة كولون تقول «روتterdam - هوك هولندا» على بعد بضع خطوات من حيث نزلت من قطار ميونيخ على الرصيف ذاته، لقد كان القطار الذي يجب عليّ ركوبه لمواصلة رحلتي ينتظر هناك طوال الوقت، كنت سأفسر أمر تجاهلي لهذه اللوحة الواضحة، والإسراع في البحث عن القطار في مكان آخر باعتباره حالة عمى غير مفهومة، لكنني أفترض أن نيتي الحقيقية تمثلت برغبتني في تحدي

رغبات أخي، ورؤية رامبرانتس في رحلة ذهابي، لقد كان كل شيء قمت به كعرض الهيجان، وظهور نزعة نقية لقضاء الليل في كولونيا مجرد وسيلة لإخفاء نيتي عن نفسي حتى قمت بها.

(17) يصف يوهانس شتارك¹³⁹ حادثاً مشابهاً من تجربته الخاصة، ويبدو ظاهرياً أن سبب الحادث «النسيان»، لكنه ينوي فعلياً تحقيق أمنية تخلى عنها:

«كنت ذات مرة سألقي محاضرة مصورة بالشرائح في قرية معينة، ولكنها تأجلت لمدة أسبوع، كنت قد أجبت على الرسالة التي أبلغتني بالتأجيل، وكتبت التاريخ الذي تغيّر، كنت أرغب في زيارة نفس القرية في ظهر أحد الأيام لرؤية كاتب من معارفي يعيش هناك، لكنني للأسف لم أجد فترة ما بعد الظهر فارغة في جدولي، وتخلّيت بتردد عن فكرة زيارة صديقي، انطلقت يوم المحاضرة بسرعة كبيرة إلى المحطة مع حقيبة مليئة بالشرائح، واضطرت إلى ركوب سيارة أجرة للحاق بالقطار (أغادر منزلي عادةً متأخراً لدرجة أنني اضطرت إلى ركوب سيارة أجرة للوصول إلى المحطة في الوقت المحدد!)، بمجرد وصولي إلى وجهتي، تفاجأت بعدم وجود أي شخص في المحطة يقابلني هناك (كما هو معتاد عندما يلقي المرء محاضرة في بلدة أو قرية صغيرة)، تذكرت فجأة أن المحاضرة تأجلت لمدة أسبوع، وأني قمت الآن برحلة دون جدوى، عندها شتت نسياني بشدة، وفكرت في ركوب القطار التالي إلى المنزل، لكنني بالتفكير أكثر وجدت أنني أمام فرصة ممتازة لإجراء الزيارة التي رغبت بها، وقد فعلت ذلك، لقد خطر لي في الطريق أن رغبتني التي لم تتحقق في تخصيص وقت لهذه الزيارة قد دّبرت مؤامرة بارعة ضدي، فقد كان سحب حقيبتي الثقيلة من الشرائح، والإسراع للحاق بالقطار طرقاً جيدة لإخفاء نيتي اللاواعية بشكل ممتاز».

قد لا يميل البعض إلى الاعتقاد بأن أنواع الأخطاء التي وضحتها هنا كثيرة جداً أو هامة، وذات مغزى، لكنني أعتقد بوجوب التساؤل حول أهمية توسيع حيز التفكير لتقييم تلك الأخطاء الهامة في الحكم التي يرتكبها الناس في حياتهم اليومية وفي الدراسات العلمية، يبدو أن العقول الأكثر تميزاً، وتوازناً تستطيع المحافظة على الصورة المتخيلة للواقع الخارجي من التشويه التي يعاني منها العقل عادةً عبر الفردية النفسية للشخص الذي يدركها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



الفصل الحادي عشر: زلات مُركبة

لم أصف بدقة تامة اثنين من الأمثلة المذكورة في الفصل السابق (خطئي في ربط عائلة ميديتشي بالبندقية، وزلة الشاب في التحدث إلى حبيبته عبر الهاتف بالرغم من نصيحتي له بعدم القيام بذلك) حيث يمثلان عند التحليل الدقيق زلات مركبة: النسيان مع ارتكاب الأخطاء، يمكننا توضيح هذا الجمع بين الزلات بشكل أكثر وضوحاً في بعض الأمثلة الأخرى.

(1) أخبرني صديق عن الحادث الآتي: قبل بضع سنوات قبلت انتخابي للجنة جمعية أدبية معينة، لأنني اعتقدت أن ذلك سيساعدني في تمثيل المسرحية التي كتبتها يوماً ما على المسرح، لذا، حضرت الاجتماعات التي كانت تجري كل يوم جمعة بانتظام دون أدنى اهتمام، تأكدت قبل بضعة أشهر أن مسرحيتي ستنتج على المسرح، وبعد ذلك كنتُ أنسى بانتظام حضور اجتماعات الجمعية، عندما قرأت ما كتبته أنت عن هذه الأمور، شعرت بالخجل من نسياني، ولمتُ نفسي على سلوكي اللئيم في الابتعاد بمجرد عدم حاجتي إلى هؤلاء الأشخاص، فقررت أن أتأكد من حضوري للاجتماع القادم، وعدم نسيانه، ظللت أذكر نفسي بهذا القرار حتى حان الوقت لتطبيقه، وكنتُ عند باب غرفة اللجنة، لاكتشف أن الباب مغلق، وأن الاجتماع قد انتهى بالفعل، لقد أخطأت باليوم - لقد كان ذلك يوم السبت!

(2) يجمع المثال الآتي بين إجراء عرضي دال، وضياح شيء ما: لقد قدّم لي هذا المثال مصدر جيد بالرغم من كونه بعيد.

كانت سيدة تسافر إلى روما مع شقيق زوجها الفنان الشهير، ورحب به المغتربون الألمان الذين يعيشون في روما باحترام كبير، وقدموا له العديد من الهدايا الأخرى منها ميدالية ذهبية كلاسيكية قديمة، شعرت السيدة ببعض الانزعاج لاعتقادها أن شقيق زوجها لا يُقدّر هذه القطعة الجميلة بالشكل الصحيح، عندما جاءت أختها لتحل محلها، وعادت هي إلى المنزل وجدت عند تفريغ أمتعتها أنها أحضرت الميدالية معها، ولم تستطع أن تتخيل كيف حدث ذلك، كتبت على الفور إلى شقيق زوجها لإخباره عن الميدالية، وقالت إنها ستعيدها إلى روما في اليوم التالي، إلا أنها أضاعتها في اليوم التالي

بمهارة لدرجة أن العثور عليها كان مستحيلاً، ظهر عندها المعنى الحقيقي لـ «شرود ذهنها»: لقد أرادت حقاً الاحتفاظ بالميدالية لنفسها.

(3) تتكرر الزلات في بعض الحالات باستمرار، وتتغير طريقة عملها خلال ذلك:

يقول إدوارد جونز¹⁴⁰ أنه ترك رسالة ملقاة على مكتبه لعدة أيام قبل إرسالها لأسباب غير معروفة بالنسبة له، عندما قرر أخيراً إرسالها، عادت إليه من «مكتب إتلاف الرسائل» لأنه نسي كتابة العنوان عليه، كتب العنوان على الرسالة، وأعادها إلى مكتب البريد، لكنّه نسي هذه المرة ختمها، عندها لم يعد بإمكانه تجاهل حقيقة أنه لا يريد إرسال الرسالة على الإطلاق.

(4) قدّم الدكتور كارل فايس من فيينا المثال التالي؛ حيث يصف بوضوح المحاولات الفاشلة لعمل أمرٍ ما يوجد معارضة داخلية عليه:

يتضح في الحادث الآتي الترابط الذي يُظهره اللاوعي مع الوعي عند وجود سبب ما يمنع تنفيذ مشروع ما، وصعوبة معارضة هذا الميل، لقد طلب مني أحد معارفي أن أعيره كتاباً، وأحضره إليه في اليوم التالي، وافقت على الفور بشعور واضح بالتردد لم أستطع شرحه لنفسي في البداية، أدركت السبب لاحقاً: لقد كان الرجل المعني مديناً لي بمبلغ من المال لسنوات، ويبدو أنه لا ينوي سداذه، لم أفكر في الأمر أكثر من ذلك، لكنني تذكرته في صباح اليوم التالي، وشعرت بنفس التردد، وقلت لنفسي على الفور: «سيحاول عقلك أن يجعلك تنسى الكتاب، لكنك لا تريد أن تكون فظاً، لذا ستبذل قصارى جهدك لتذكره»، عدتُ إلى المنزل، ولففتُ الكتاب بقطعة من الورق، ووضعتُه بجانبني على مكتبي أثناء كتابة بعض الرسائل، خرجت بعد فترة من الزمن ثم تذكرت بعد أن قطعت خطوات قليلة أنني تركت الرسائل التي كنت سأرسلها إلى البريد على مكتبي، (اضطرت في أحد الرسائل إلى التعبير عن استيائي لشخص كان عليه دعمي في مسألة معينة)، عدتُ إلى الوراق، وجلبت الرسائل، وخرجت مرة أخرى، تذكرت في الترام أنني وعدت زوجتي بأن أشتري لها شيئاً ما، وكان من دواعي سروري أن أعتقد بأن ذلك سيكون مجرد علبة صغيرة، عندها ربطت فجأةً بالربط بين العلبة، والكتاب، وأدركت أنني مازلت لا أحمل الكتاب معي، لم أنسَ الكتاب في المرة الأولى التي خرجت

فيها، وحسب بل واصلت تجاهله أيضاً عندما عدت لالتقاط الرسائل من نفس المكان الذي وضعت فيه الكتاب».

(5) قدّم أوتو رانك مثالاً مشابهاً، وحلّله بالتفصيل:

«أخبرني رجل يتسم بالدقة، والتنظيم على نحو متعب حول التجربة الآتية التي يراها غير عادية أبداً بالنسبة له، كان في ظهيرة أحد الأيام يمشي في الشارع، وأراد معرفة الوقت، أدرك حينها أنه ترك ساعته في المنزل الأمر الذي ما لم يفعله من قبل، كان لديه موعد يجب الالتزام به في ذلك المساء، ولم يكن لديه الوقت للعودة لساعته الآن، لذا انتهز الفرصة لزيارة سيدة صديقة له لاستعارة ساعتها للأمنية، وكان ذلك مناسباً حيث كان سيزورها في صباح اليوم التالي من أجل موعد حدده سابقاً، ووعده بإعادة الساعة في ذلك الوقت، لكنه عندما كان على وشك إعادة الساعة المستعارة إلى صاحبته في اليوم التالي، أدرك مندهشاً أنه تركها في المنزل، ووضع ساعته الخاصة في جيبه بدلاً من ذلك، اتخذ عندها قراراً حازماً لإعادة ساعة السيدة بعد الظهر، وفعل ذلك، لكنه في طريقه إليها أراد معرفة وقت مغادرته ليتفاجأ منزعاً بشدة أنه نسي ساعته مرة أخرى، لقد اعتقد هذا الرجل المنظم جداً أن تكرار زلته مَرَضِي حتى أنه أراد اكتشاف دوافعها النفسية التي ظهرت على الفور من السؤال التحليلي النفسي إن كان قد عانى من أي تجربة مؤلمة في اليوم الحاسم عندما نسي الساعة لأول مرة، وما السياق في ذلك الوقت، لقد قال فوراً أنه قبل أن يخرج مباشرة، وينسى ساعته كان يتحدث إلى والدته بعد الغداء، وأخبرته عن رسالة أحد أفراد الأسرة الذي يتصرف بعدم مسؤولية، وتسبب سابقاً بقدر كبير من الإزعاج، والخسارة لصديقنا المنظم حيث رهن هذا الشخص ساعته الخاصة، وأحتاج لها في المنزل، لذا ترك رسالة يطلب فيها المال من صديقنا المنظم لاستردادها.

لقد أثرت هذه الطريقة في اقتراض المال التي ترقى تقريباً نوعاً ما إلى الابتزاز على صديقنا بشكل مزعج جداً حيث ذكرته بكل الانزعاج الذي سببه له هذا الفرد على مدى سنوات عديدة، وهكذا ثبت أن الفعل العرضي قد تحدد بعدة طرق، أولاً، عبّر الفعل العرضي عن سلسلة من الأفكار مفادها أنه لن يسمح لأي شخص بابتزاز الأموال منه بهذه الطريقة، وإذا كانت الساعة ضرورية فسيتركها

ببساطة في المنزل؛ لكن نظراً لحاجته إليها للحفاظ على مواعيد المسائي يمكنه تنفيذ هذه النية فقط عن طريق اللاوعي على شكل فعل عرضي دال، ثانياً، إن نسيانه يعني شيئاً ما مثل: إهدار المال على هذا المخلوق عديم الفائدة طوال الوقت سيدمرني، وسأضطر إلى التخلي عن كل شيء.

بالرغم من قوله إنه شعر بانزعاج مؤقت عند سماعه بالرسالة، إلا أن تكرار تصرفاته العرضية أظهر أنه ما زال منزعاً في اللاوعي كما لو كان عقله الواعي يقول: لا يمكنني إخراج هذا الأمر من تفكيري¹⁴¹، إن حقيقة حدوث الأمر نفسه مع ساعة السيدة التي استعارها ليس مفاجئاً نظراً إلى هذا الموقف الذي يتبناه العقل اللاوعي، لكن ربما هناك دوافع أخرى أكثر دقة ساهمت في التحول إلى ساعة السيدة «البريئة». يبدو جلياً أنه أراد الاحتفاظ بهذه الساعة لاستبدال ساعته الخاصة التي ضحى بها، ونسي إعادتها في اليوم التالي، ربما أيضاً أراد الاحتفاظ بالساعة كتذكير للسيدة نفسها، إن نسيان ساعة هذه السيدة التي كان معجباً بها أتاح له فرصة زيارة ثانية لها، حيث كان على موعد لزيارتها في الصباح لأمر آخر، ويشير نسيان للساعة إلى أنه لم يرغب بإعادة الساعة بشكل اعتيادي أثناء زيارة مخطط لها مسبقاً، إن نسيانه للساعة مرتين مما مكنه من القيام بزيارة أخرى لإعادة ساعتها، يشير إلى أنه يحاول دون وعي تجنب حمل كلتا الساعتين في نفس الوقت، حيث لم يرغب في إعطاء هذا الانطباع بالإفراط الذي يتناقض مع حاجة قريبة، كما أراد أن يراقب بحذر نيته الظاهرة بالزواج من السيدة عبر تذكير نفسه بأن لديه التزامات غير قابلة للإلغاء تجاه عائلته (في شخص والدته).

بالإضافة إلى كل ما سبق، سبب آخر لعدم إعادة الساعة هو شعوره بالحرَج في الليلة السابقة حين رأى أصدقائه استخدامه لساعة سيدة كعازب، وقد فعل ذلك بشكل سرّي، ولتجنب تكرار هذا الاحتمال المحرج لم يكن يرغب بوجود الساعة في جيبه مرة أخرى، بما أن عليه إعادة الساعة، كانت النتيجة ظهور فعل عرضي بشكل غير واعي، واتخذ موقع متوسط بين مشاعره المتضاربة، وانتصار اللاوعي الذي تحقق بشق الأنفس¹⁴².

فيما يلي ثلاث ملاحظات قدّمها يوهانس شتارك¹⁴³:

(6) إضاعة الأشياء، وكسرها، ونسيانها كتعبير عن القدرة المكبوتة للإرادة السلبية المضادة: كنت ذات يوم سأعير شقيقي عدة رسوم من مجموعة الرسوم التوضيحية التي جمعتها لعمل علمي، حيث أراد استخدامها كشرائح عرض في محاضرة، لقد خطر ببالي لوهلة أنني أفضل عدم عرضها أو نشرها علناً بأي شكل قبل أن أتمكن من فعل ذلك بنفسني نظراً للقدر الكبير من المتاعب، والصعوبات التي واجهتها لجمع هذه النسخ، لكنني وعدته على أية حال بالبحث عن أفلام الصور «النيجاتيف» التي يريدونها، وتحويلها إلى شرائح، لم أتمكن من العثور على أفلام الصور بالرغم من بحثي المضني في مجموعة الصناديق المتراسة التي تضم أفلام الصور الكاملة حول هذا الموضوع، لقد بحثت بين مائتي فيلم واحد تلو الآخر دون أن أجد تلك التي أبحث عنها، عندها فكرت في الحقيقة بأنني متردد في السماح لأخي بالحصول على الصور، عندما أدركت هذه الأفكار المضطربة، وبذلت قصارى جهدي للتغلب عليها، وجدت أنني قد وضعت أحد الصناديق جانباً أعلى الكومة دون البحث فيه، وكان هذا الصندوق يحتوي أفلام الصور التي كنت أبحث عنها، لقد كان على غطاء الصندوق ملاحظة موجزة لمحتوياته، وربما ألقيت نظرة عابرة عليها قبل وضع هذا الصندوق بالتحديد جانباً، يبدو في الواقع إنني لم أتغلب تماماً على تتردي لأن جميع أنواع الحوادث الأخرى وقعت قبل أن تكون الشرائح جاهزة للإرسال: لقد كسرت أحد الشرائح بينما كنت أمسكها، وأنظف الزجاج فوق الصورة (عادةً لا أكسر الشرائح أبداً)، وأسقطت شريحة أخرى أثناء صنعها، وأنقذتها من الكسر في اللحظة الأخيرة بمدّ قدمي لالتقاطها، وأوقعت العلبة كاملة على الأرض بينما كنت أقوم بتركيب الشرائح لكن لحسن الحظ لم ينكسر أي منها، بعد كل تلك الصعاب، مرت عدة أيام قبل أن أحزم الشرائح، وأرسلها حيث كنت كل يوم أخطط لذلك، وأنسى في كل مرة.

(7) النسيان المتكرر - أفعال تفقد أهميتها عند القيام بها أخيراً: «اضطرت ذات مرة إلى إرسال بطاقة بريدية إلى أحد معارفي لكنني ظللت أؤجل ذلك لأيام متتالية، وكان لدي شك شديد حول السبب: لقد كتب هذا الشخص رسالة لي ليخبرني أن شخصاً ما لم أكن أرغب في رؤيته يخطط لزيارتي في ذلك الأسبوع، عندما انتهى الأسبوع، وأصبح احتمال حدوث الزيارة التي لم أكن أتطلع إليها طفيفاً، كتبتُ البطاقة البريدية، وأخبرته بالموعد الذي يسمح به وقتي.

عندما كتبت البطاقة أردت أن أقول أنني لم أكتب رسالة بسبب ضغط العمل (دروك فيرك - druk werk)، لكنني في النهاية لم أفعل: ما من شخص عاقل يصدق هذا العذر المبتذل، لا أعرف إن كانت هذه الكذبة الصغيرة مازالت تصر على الظهور بطريقة ما، لكنني حين أخذت البطاقة البريدية إلى صندوق الرسائل وضعتها عن طريق الخطأ في الفتحة السفلية المخصصة للمادة المطبوعة (دروكفيرك - Drukwerk).

8) النسيان، والأخطاء: خرجت فتاة ذات صباح جميل لترسم القوالب الجبسية في متحف ريجكس، لقد قررت العمل بجد على الرسم بالرغم من أنها كانت تفضل الذهاب للمشي في نزهة في مثل هذا اليوم الجميل، لكن كان عليها في البداية شراء بعض ورق الرسم، ذهبت إلى المتجر (الذي يبعد عن المتحف حوالي عشر دقائق سيرًا على الأقدام)، واشترت أقلام الرصاص، وأدوات الرسم الأخرى لكنها نسيت الورق، ثم ذهبت إلى المتحف، أدركت حين جلست على كرسيها الصغير جاهزة لبدء العمل أنها لا تملك أي أوراق لذا كان عليها العودة إلى المتجر مرة أخرى.

بدأت بالرسم بمجرد حصولها على الورق، وكانت تبلي حسنًا في عملها حتى سمعت في وقت لاحق عدة دقائق من برج الساعة في المتحف، واعتقدت أن الساعة الثانية عشرة ظهرًا لكنّها استمرت في العمل حتى دق جرس مرور ربع الساعة أخرى، فكرت حينها أن الساعة الآن الثانية عشرة وخمسة عشر دقيقة بلا شك، حينها تركت أدوات الرسم، وقررت أن تتمشى في حديقة فوندل بارك، وتذهب إلى منزل أختها لتناول القهوة (كما يُطلق الهولنديون على الغداء)، عند وصولها إلى متحف سواسو، رأت مندهشة أن الساعة الآن الثانية عشرة ظهرًا بدلاً من أن تكون الثانية عشرة والنصف! لقد تفوق الطقس الجيد المغربي على نواياها الدؤوبة، وعندما دق الجرس في الساعة الحادية عشرة والنصف نسيت أن الجرس في برج الساعة يدق كل نصف ساعة أيضًا.

9) كما تُظهر العديد من الملاحظات أعلاه، يمكن للميل التخريبي غير الواعي أن يُحقق هدفه بتكرار نفس الزلة باستمرار، اقتبس مثالاً مسلياً على ذلك من كتاب صغير بعنوان فرانك ويديكيند، والمسرح

نشرته شركة دري ماكين فير لاغ في ميونيخ، لكنني سأترك لمؤلف الكتاب مسؤولية سرد القصة التي حُكيَت بأسلوب مارك توين.

«تقول إحدى الشخصيات في مسرحية ويديكيند المكونة من فصل واحد (الرقابة) وذلك في ذروة المسرحية: «إن الخوف من الموت فكرة خاطئة» باستخدام الكلمة الألمانية دنكفلر - Denkfehler أي فكرة خاطئة، شعر المؤلف بالرضا عن هذه العبارة، وطلب من الممثل خلال البروفة التوقف لوهلة قبل نطق كلمة (دنكفلر - Denkfehler)، دخل الممثل بعمق روح الشخصية في ذلك المساء، وتوقف لوهلة كما طُلب منه تماماً، لكنّه قال بجديّة: «الخوف من الموت خطأ مطبعي» مستخدماً كلمة (دراكفلر - Druckfehler) أي خطأ مطبعي، أكد المؤلف للممثل عندما سأله بعد العرض أنه ليس لديه أدنى تعليق على تأثير الوقفة التي طُلبت منه، ثم أشار بوضوح إلى نقطة محددة حول أن الجملة المسرحية لم تكن «الخوف من الموت خطأ مطبعي» بل «فكرة خاطئة».

خلال عرض المساء التالي، قال الممثل في النقطة الحاسمة، ومرة أخرى بأهم نبرات الجدية: «إن الخوف من الموت مُذكّرة» مستخدماً كلمة (دينكسيتيل - Denkzettel) أي مذكرة، أثنى المؤلف ويديكيند مرة أخرى على الممثل وأشار بشكل عابر إلى قوله «إن الخوف من الموت مذكرة» بدلاً من فكرة خاطئة، جرى عرض مسرحية الغابة في المساء التالي، وعندما حانت اللحظة الحاسمة للممثل الذي أصبح على علاقة ودية جداً مع المؤلف، وتبادلا وجهات النظر حول الفن في ذلك الوقت، قال الممثل بأقصى درجة من الشعور يمكن تخيلها: «إن الخوف من الموت كتيب مطبوع» مستخدماً كلمة (دروكتيل - Druckzettel) أي كتيب مطبوع، تلقى الممثل استحسان المؤلف غير المحدود، وحظيت المسرحية ذات الفصل الواحد بالعديد من العروض، لكن المؤلف حينها تخلى عن كلمة «فكرة خاطئة» كقضية خاسرة.

درس اوتو رانك أيضاً الروابط المذهلة بين «الزلات، والأحلام¹⁴⁴»، لكن يصعب تتبع هذه الروابط دون تحليل دقيق للأحلام التي ترتبط بها الزلات، حلمت ذات مرة بحلم معقد جداً فقدت فيه محفظتي، وبالطبع لم أعثر عليها في الصباح التالي أثناء ارتداء ملابسني فقد نسيت أن أخرجها من جيب

البنطال، ووضعها في مكانها المعتاد في الليلة السابقة لحلمي، لم أكن غافلاً عن فعل النسيان هذا الذي ربما كان يهدف إلى التعبير عن فكرة غير واعية جاهزة للظهور في سياق الحلم¹⁴⁵.

لا أدعي هنا أن حالات الزلات المركبة تكشف أمور إضافية عن تلك التي تكشفها الزلات وحدها، إلا أن هذا التغيير في شكل الزلة بينما النتيجة واحدة يُعطي انطباعاً واضحاً بأن الإرادة تحاول تحقيق غرض محدد، وأنها تتعارض بشدة مع الفكرة القائلة بأن الزلات تحدث ببساطة عن طريق الصدفة، ولا تحتاج إلى تفسير، إنه أمراً مدهش أن النية الواعية في هذه الأمثلة تفشل تماماً في منع حدوث الزلة؛ فلم ينجح صديقي في حضور اجتماع اللجنة، ولم تكن السيدة قادرة على التخلي عن الميدالية الرومانية، لقد وجدت الدوافع اللاواعية التي تعارض نواياهم طريقة مختلفة للظهور عند كبتها في المرة الأولى، يتطلب الأمر شيئاً أكبر من النية الواعية للتغلب على الدافع اللاواعي؛ يتطلب الأمر تحقيقاً نفسياً لجذب انتباه العقل الواعي إلى شيء غير معروف.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



الفصل الثاني عشر: الحتمية - الإيمان بالصدفة والخرافات - بعض وجهات النظر

أقدم العبارة الآتية كاستنتاج عام استخلصه من المناقشات المختلفة السابقة: إن بعض أوجه القصور في الأداء النفسي، وبعض الأفعال التي يقوم بها الفرد بشكل غير مقصود ظاهرياً تُثبت عند تطبيق أساليب التحليل النفسي عليها أنها ناتجة عن دوافع معينة، وأنها تتحدد بناءً على عوامل لا يدركها العقل الواعي، أَوْضَح أدناه السمات، والخصائص التي تشترك بها كافة الأفعال، وأوجه القصور النفسي المذكورة أعلاه.

لتصنيفها كظاهرة قابلة للتفسير بهذه الطريقة، يجب أن تستوفي الزلة النفسية الشروط الآتية:

1. يجب ألا تتجاوز نقطة معينة: يشير ذلك إلى نقطة معينة يُحددها حُكمي، وأفكاري حول ماهية الأمور التي تُعتبر «ضمن نطاق الحياة اليومية الطبيعية».

2. يجب أن يكون لها طابع الإرباك، والتشويش الوجداني، والمؤقت: يجب أن يكون الفعل قد جرى سابقاً بشكل صحيح أو أن يعتقد الفرد بقدرته على تنفيذ هذا الفعل بشكل صحيح في أي وقت، إذا قام شخص آخر بتصحيح الزلة، يجب أن يعترف الفرد على الفور بعدالة هذا التصحيح، والخلل في العمليات النفسية.

3. إذا لاحظ الفرد زلة معينة، يجب ألا يدرك فوراً أي دافع ورائها في نفسه؛ بل يجب أن يميل إلى تفسير الأمر بالـ «الإهمال» أو «الصدفة».

وعليه، تشمل فئة الزلة النفسية حالات النسيان، والأخطاء التي يرتكبها الفرد رغم معرفته بالطريقة الصحيحة، وزلات اللسان، وزلات القراءة، وزلات القلم، والأفعال غير المقصودة، والأفعال العرضية الدالة.

حتى أن تشكيل الكلمات التي تشير إلى هذه الظواهر في اللغة الألمانية يُعطي مؤشراً لغوياً على التشابه الداخلي لمعظم هذه الظواهر حيث أنها جميعها مشتقة من أفعال تبدأ بنفس البادئة اللغوية (فير - ver - [فيرجيسين - vergessen / فيرسبرشين - versprechen / فيرليس - verlesen / فيشريبين - verschreiben / فيرجريفين - vergreifen / ما عدا الفعل Zufallshandlungen - زوفالشاندلونغين الذي يُشير للأفعال العرضية الدالة].

هناك سلسلة من الملاحظات الهامة لتعزيز التي تحقق فائدة إضافية فيما يتعلق بشرح العمليات النفسية المحددة على النحو الموضح فيما سبق.

1) عند القول بأن بعض الأفعال النفسية غير قابلة للتفسير على أنها «أفعال ناتجة عن نية»، لا نستطيع تحديد درجة تصميم، وإصرار الدوافع في الحياة النفسية للإنسان حيث يصل ذلك إلى أبعد مما نعتقد سواء في هذا المجال أو غيره، أوضح المؤرخ الأدبي آر. إم. ماير في مقاله عام 1900 في جريدة ديت زاييت الألمانية، أنه من المستحيل تأليف شيء ما دون معنى عن قصد، وطواعية، ووضح ذلك بالأمثلة؛ لقد عرفت منذ وقت طويل أنه لا يمكن لأحد أن يُفكر في رقم ما أو اسم بعشوائية تامة، فإذا نظرنا إلى رقم ما مكوّن من عدة خانات وقع الاختيار عليه بشكل عشوائي على سبيل المزاح أو ضمن حالة معنوية عالية، سيتضح أن الرقم حُدّد بدقة تامة على عكس من يبدو ظاهرياً، سأبدأ بشرح موجز لمثال مشابه لاسم وقع عليه الاختيار بشكل اعتباطي، ثم سأحلل مثلاً مشابهاً لرقم «قيل دون تفكير».

1. عندما كنت أكتب تاريخ حالة امرأة مريضة لغايات النشر، تساءلت حول الاسم الأول الذي سأطلقه عليها، لقد كان أمامي متسع من الخيارات، لكن استبعدت بالطبع بعض الأسماء من البداية؛ أولاً، وقبل كل شيء اسمها الحقيقي ثم أسماء عائلتي (سأعترض فيما بعد على هذا الأمر)، بالإضافة إلى أي أسماء نسائية غير عادية، وبالرغم من ذلك ظل أمامي مجموعة واسعة من الأسماء المتاحة، قد يتوقع البعض، مثلما توقعت بنفسني، أن مجموعة كاملة من أسماء النساء ستخطر ببالي من تلقاء نفسها، لكن بدلاً من ذلك لم يخطر ببالي سوى اسم واحد: دورا، تساءلت ما الذي حدد هذا الاسم، من

يحمل اسم دورا أيضاً؟ لقد كنتُ على وشك رفض الفكرة التالية التي خطرت في ذهني باعتبارها مذهلة حيث ذكرتتي أن المربية التي تعنتي بأطفال شقيقتي اسمها دورا، لكن كان لديّ ما يكفي من الانضباط الذاتي أو خبرة كافية في التحليل النفسي لمتابعة تلك الفكرة بصورة أعمق، عندها فكرت فوراً في حادثة صغيرة في الليلة السابقة مما وضح الرابط الذي حدد هذا الاسم، وكنتُ أبحث عنه، لقد رأيت رسالة موجهة إلى السيدة روزا مُلقاة فوق الطاولة في غرفة الطعام في منزل شقيقتي، فسألت متفاجئاً عن هوية روزا، وعلمت أن المربية دورا كانت تُدعى بالفعل روزا لكنها اضطرت لتغيير اسمها عند دخول المنزل لأن اسم شقيقتي روزا، وكانت ستعتقد أن الآخرين ينادونها حين تسمع الاسم، قلت حينها بتعاطف: يا للخدم المساكين، لا يمكنهم حتى الاحتفاظ بأسمائهم! بعد أن فكرت في الأمر لم أقل أي شيء آخر ثم بدأت أتأمل في مواضيع جادة مختلفة، وتتابع أفكاري بعيداً بشكل غامض لكن يمكنني الآن تذكرها في ذهني الواعي بسهولة، لذا عندما كنت أبحث في اليوم التالي عن اسم لشخص لا يُسمح له بالاحتفاظ باسمه خطر ببالي اسم دورا فقط، لقد استندت حقيقة تفكيرى بهذا الاسم دون غيره إلى تشابه كبير في المحتوى حيث يتضمن تاريخ حالة المريضة شخص يؤثر بشكل حاسم على مسار العلاج، ويعمل بصفته خادم في منزل غريب، كمربية.

كان لهذا الحادث البسيط تكملة غير متوقعة بعد سنوات، عندما طرحت تاريخ حالة الفتاة التي أسميتها (دورا) في محاضرة - نُشر تاريخ الحالة قبل فترة طويلة - أدركت أن واحدة من المرأتين في الحضور تُدعى دورا أيضاً، الاسم الذي عليّ أن أذكره كثيراً في العديد من السياقات المختلفة أثناء المحاضرة، التقت إليّ زميلتي الشابة التي كُنت أعرفها بشكل شخصي، واعتذرت قائلة إنها لم تتوقف عن التفكير بأن اسمها دورا، وأنها ستكون ممتنة لو استبدلت الاسم الذي أعطيته لمريضتي باسم آخر في محاضرة اليوم؛ كان عليّ حينها التفكير في اسم آخر على عجل، وكنت أقول لنفسى أنه عليّ ألا أقدم مثلاً سيئاً لزملائي المتدربين على التحليل النفسي باستخدام اسم المرأة الأخرى الحاضرة معنا، سررت جداً عندما خطر لي اسم إرنا كبديل لدورا، واستخدمته في المحاضرة، تساءلت بعد ذلك من أين أتى اسم إرنا، ولم أستطع التوقف عن الابتسام عندما أدركت أن الاحتمال الذي كنتُ أخشاه قد حدث جزئياً على الأقل، لقد كان لقب السيدة الأخرى لوسيرنا، وينتهي بالمقطع إرنا.

2. كتبت إلى صديق أخبرته أنني انتهيت من قراءة مسودة كتاب تفسير الأحلام، ولن أغير أي شيء آخر في العمل «حتى لو كان هناك 2467 خطأ فيه»، حاولت على الفور أن تحليل هذا الرقم بنفسى، وأضفت تحليلي الصغير كملحق إلى رسالتي، أفضل هنا اقتباس ما كتبتة بالضبط حينها في خضم الفعل ذاته:

«أسرد باختصار مساهمة أخرى في علم النفس المرضي للحياة اليومية، ستجد في هذه الرسالة الرقم 2467، باعتباره تقييماً حماسياً اعتباطياً لعدد الأخطاء التي يمكن العثور عليها في كتاب تفسير الأحلام، لقد قصدت استخدام أي عدد كبير يخطر ببالي، وكان هذا الرقم كذلك بالفعل، لكن ما من شيء اعتباطي أو غير محدد في الأمور الذهنية، ستوقع أن عقلي اللاواعي سيعمل بسرعة لاتخاذ قرار حول الرقم الذي يجب أن ينتجه عقلي الواعي، وهذا صحيح، لقد كنت أقرأ للتو مقالاً في الجريدة عن تقاعد الجنرال س. كخبير ذخائر، أبديت اهتماماً بالرجل فقد كان عقيداً حين كنت أؤدي خدمتي العسكرية كطالب في كلية طب، لقد أصيب بالمرض في ذلك الوقت، وقال للأطباء: «عليكم أن تعالجوني في غضون أسبوع، لدي عمل أقوم به، والإمبراطور ينتظره»، لقد قررت عندها متابعة مسيرة الرجل التي وصلت إلى نهايتها الآن (حدث ذلك عام 1899) بعد أن تقاعد برتبة خبير ذخائر، فحاولت معرفة المدة التي استغرقها حتى وصل هذه الرتبة، وافترضت أنني التقيت به في المستشفى عام 1882 أي قبل 17 عاماً، أخبرت زوجتي بالأمر، وعلقت: «إذن، أعتقد بأنك ستقاعد قريباً أيضاً» ثم اعترضت: «لا سمح الله!»، بعد هذا الحوار جلست على مكتبي لأكتب إليك، لكن سلسلة أفكارى السابقة استمر، ولسبب وجيه جداً، إن حساباتي خاطئة، ولدي نقطة مرجعية واضحة لهذه الحقيقة في ذاكرتي، لقد بلغت سن الرشد أعني عيد ميلادي الرابع والعشرين بينما كنت رهن الاعتقال العسكري لتغيبي دون إذن، وذلك عام 1880 أي قبل 19 عاماً، إذن هناك سبب لوجود العدد «24» في الرقم «2467»، فلو أخذنا عمري الحالي 43، وأضفنا له 24 سنة ستكون النتيجة 67، مما يعني أن تفكيرى المتأمل أضاف 24 عاماً أخرى من العمل إلى سني الحالي عندما أشارت زوجتي إلى الرغبة في التقاعد.

يبدو جلياً أنني شعرت بالضيق لأنه طوال فترة تتبعي لمسيرة العقيد لم أكن بعيداً عنه في السن، لكنني شعرت بنوع من الانتصار لأنه متقاعد الآن بينما مازلت أعمل، وأمامي الكثير، لذا يمكنني القول بأن الرقم 2467 الذي أخرجته دون أي نية واعية لم يخرج فعلياً من عقلي اللاواعي»

3. بما أنني درست المثال الأول لشرح اختيار عشوائي لرقم ما، حاولت تكرار التجربة عدة مرات، ونجحت بنفس الدرجة لكن معظم هذه الحالات خاصة جداً في محتواها بحيث لا يمكن مشاركتها.

لذلك، أضيف هنا تحليلاً مذهباً لـ «رقم عشوائي» سمعه الدكتور ألفريد أدلر من فيينا من أحد معارفه، ووصفه بأنه شخص سليم عقلياً¹⁴⁶، لقد قال: «كنت أقرأ علم النفس المرضي للحياة اليومية [إصدار سابق]، وكنت سأنتهي من الكتاب هناك لو لم يمنعني حادث غريب، عندما قرأت المقطع الذي يزعم أن لكل رقم يخطر للذهن الواعي، ويبدو اعتباطي تماماً معنى خاص به، فقررت أن أجري تجربة خطرت لي، الرقم (1734) ثم تبعه سلسلة الأفكار الآتية بسرعة: $(102 = 17 \div 1734)$ ، $(102 = 17 \div 6)$ ، ثم قسمت أرقام العدد على 17 و 34 أبلغ من العمر 34 عاماً، وكما أخبرتك ذات مرة أنني أعتبر العام الرابع والثلاثين للفرد كالعام الأخير من الشباب، لذا شعرت بالكآبة الشديدة في عيد ميلادي الأخير، لقد دخلت فترة تطوّر، وازدهار ممتعة، ومذهلة في نهاية عامي السابع عشر، لذا قسمت حياتي إلى فصول مدتها 17 عاماً، إذن، ما معنى نواتج القسمة أعلاه؟ فكرت في الرقم 102 ، وتذكّرت أنه الرقم المعطى لمسرحية الكراهية، والندم التي كتبها كوتزيبو في سلسلة المكتبة العالمية ريكلام¹⁴⁷، وإن حالتي النفسية الحالية حالة كراهية، وندم، يشير الرقم 6 في المكتبة العالمية (أنا أحفظ عن ظهر قلب عدداً كبيراً جداً من الأرقام الموجودة في هذه السلسلة) إلى رواية الذنب لمولنر، وإنني أتعذب باستمرار لفكرة كوني الملام على عدم تحقيق ما يمكن أن أكون، لقد خطر لي أيضاً أن الرقم 34 في سلسلة المكتبة العالمية يشير إلى قصة كتبها مولنر بعنوان العيار (دير كالبر - Der Kaliber بالألمانية)، لقد قسمت كلمة (كالبر - Kaliber) إلى قسمين (كا - Ka) و (ليبر - liber) ، وأذهلني أنها تحتوي على الكلمتين (علي - Ali) و(كالي - Kali أي البوتاسيوم)، ذكرني ذلك بأنني كنت ذات مرة ألعب باختراع القوافي مع ابني علي البالغ من العمر 6 سنوات، وعندما سألته إن كان يستطيع إيجاد قافية لعلّي لم يستطيع، وعندما سألني عن ذلك، أجبت بعبارة: (علي ينظف فمه

ببرمنجنات البوتاسيوم) مستخدماً كلمة (كالي - Kali)، وضحكنا كثيراً، كان علي طفلاً لطيفاً جداً في ذلك الوقت، لكنني لاحظت مؤخراً للأسف أنه (كا كين ليبر - ka kein lieber Ali) أي لم يعد علي لطيفاً، سألت نفسي بعدها، ما اسم الكتاب رقم 17 في سلسلة المكتبة العالمية؟ لم أستطيع التذكر بالرغم من يقيني بمعرفة ذلك سابقاً، لذا افترضت أنني نسيت الرقم عن قصد، لقد أرهقت عقلي في محاولات التذكر دون جدوى.

لقد أردت استكمال القراءة لكنني كنت أقرأ بشكل تلقائي دون فهم كلمة واحدة لأن الرقم 17 يشغل ذهني، ويضايقني؛ أطفأت الضوء، وواصلت التفكير، حتى ذهلت حين تذكرت أن الرقم 17 مسرحية لشكسبير، لكن أي واحدة من مسرحياته؟ فكرت في مسرحية ليندر، والبطل فجأة لكن أيقنت أنها محاولة سخيفة من رغبتني المُعاكسة لتشتيت انتباهي، نهضت أخيراً، وبحثت عن كتالوج المكتبة، ووجدت أن الرقم 17 يشير إلى مسرحية ماكبث، أدركت مندهشاً أن عقلي لا يتذكر أي شيء تقريباً حول المسرحية بالرغم من أنني أوليتها نفس القدر من الاهتمام مثل مسرحيات شكسبير الأخرى، كل ما فكرت فيه: القتل، الليدي ماكبث، السحرة، «العدالة سيئة»¹⁴⁸، وحقيقة أنني اعتقدت ذات مرة بأن نسخة شيلر من ماكبث جيدة جداً، لا شك بأنني كنت أرغب في نسيان المسرحية، خطر لي بعدها أن حاصلة قسمة الرقم 17 و 34 على الرقم 17 يساوي 1 و 2، يشير الرقمان 1 و 2 في المكتبة العالمية إلى النص (فاوست) لجوته، واعتقدت ذات مرة أنني رأيت العديد من خصال فاوست في نفسي.

لم يساهم التقييم الطبي للأسف بالتفكير أكثر في معنى سلسلة الأفكار هذه حيث يعلق أدلر أن الرجل لم ينجح في تجميع أفكاره التي تبدو غير جديرة بالملاحظة بشكل كامل إن لم تؤدِ إلى استنتاج مفتاح محدد لفهم الرقم (1734)، وسلسلة الأفكار ككل.

تابع الرجل نفسه لأدلر «تعرضت هذا الصباح لتجربة تدعم نظرية فرويد بشكل هائل، سألتني زوجتي التي أيقظتها عندما استيقظت في الليل عما أفعله في كتالوج المكتبة العالمية فأخبرتها القصة، لقد اعتقدت أن الأمر كله مجرد أمور متشابهة لا داعي للتمييز بينها، باستثناء إشارتها إلى وجود شيء ما يتعلق بفكرة ماكبث، وقد رفضتُ الفكرة بشدة، فأضافت أنه إذا فكرت في رقم عشوائي لن

تتمكن من ربطه بأي أفكار، قلت لها: «دعينا نحاول»، فأعطتني الرقم 117، أحببتها على الفور: «يشير الرقم 17 إلى ما أخبرتك به للتو، بالإضافة إلى ذلك كنت أخبرك بالأمس أن هناك فارقاً هائلاً في العمر بين امرأة تبلغ من العمر 82 عاماً، ورجل يبلغ من العمر 35 عاماً»، حيث كنت أضايق زوجتي خلال الأيام القليلة الماضية بالتظاهر بأنها سيدة صغيرة تبلغ من العمر 82 عاماً، 82 + 35 = 117.»

نجد أن الرجل الذي لم يستطع تحديد رقمه الخاص وجد الإجابة على الفور عندما أعطته زوجته رقمًا اختارته ظاهرياً بشكل عشوائي، لقد كان لدى الزوجة فكرة كاملة عن العقدة التي أدت إلى ظهور الرقم الذي فكر فيه زوجها، وأخذت الرقم الخاص بها من العقدة ذاتها التي يتشاركها، لأنها تتعلق بأعمار كل منهما، وكما يوضح أدلر، تصل رغبة الزوج المكبوتة التي تتبعها إلى نهايتها كالاتي: «إن الزوجة الوحيدة المناسبة لرجل يبلغ من العمر 34 عاماً مثلي هي فتاة تبلغ من العمر 17 عاماً».

لئلا نبالغ في ميلنا لرفض ألعاب الكلام¹⁴⁹ باعتبارها غير هامة، أضيف شيئاً سمعته مؤخراً من الدكتور أدلر حيث طلق الرجل المعني زوجته بعد مرور عام من نشر هذا التحليل¹⁵⁰.

4. يقدم أدلر تفسيرات مماثلة حول تكرار الأرقام القهرية الملازمة للفرد، واختيار ما يوصف بـ «الأرقام المفضلة» حيث لا يخلو ذلك من ارتباط هذه الأرقام بحياة الشخص الذي يختارها، ولها أهمية نفسية معينة، أشار رجل إلى تفضيله للرقمين 17 ، 19 ثم أضاف بعد التفكير لوهلة أنه عندما ذهب إلى الجامعة في سن 17 حصل أخيراً على الحرية الأكاديمية التي كان يتوق إليها، وأنه ذهب في سن 19 في رحلته الهامة الأولى، وقام بعد ذلك بوقت قصير بأول اكتشاف علمي له، بالرغم من ذلك، لم يصبح تفضيله لهذه الأرقام ثابتاً إلا بعد عقد من الزمان حين اكتسبت الأرقام ذاتها أهمية في حياته العاطفية، تجدر الإشارة إلى أنه حتى تلك الأرقام التي تُستخدم بتردد معين في ظروف معينة، وتبدو عشوائية ظاهرياً يمكن إرجاعها إلى أهمية غير متوقعة باستخدام التحليل النفسي، حدث مع أحد مرضاي أنه كلما كان منزعجاً يجد أنه من المناسب القول: «لقد أخبرتك بذلك من 17 إلى 36 مرة

من قبل»، وتساءل عما إذا كان هناك أي دافع وراء ذلك، تذكر فجأة أنه ولد في السابع والعشرين من الشهر بينما ولد أخوه الأصغر في السادس والعشرين من الشهر، وشعر أنه مُحق في شكواه من أن القدر قد حرّمه الكثير من الأشياء الجيدة في الحياة ليعطيها لأخيه الأصغر، لقد صور هذا التفضيل للحياة في ذهنه بطرح عشرة من تاريخ ميلاده، وإضافة هذا الرقم إلى عيد ميلاد أخيه « بالرغم من أنني الأخ الأكبر، إلا أنني لم أتحير »

5. أسهب في الحديث لفترة أطول عن تحليل الأفكار المرتبطة بالأرقام لأنني لا أمتلك أي ملاحظات منفصلة أخرى تُثبت وجود عمليات فكرية معقدة جداً يتعذر الوصول إليها من قبل العقل الواعي، ولا أمتلك أي مثال أفضل للتحليل حيث يُمكن استبعاد تأثير الطبيب (عبر الإيحاء) منه بشكل مؤكد، الأمر الذي يُشتبه بوجوده غالباً، بناءً على ذلك، سأقدم وصفاً لتحليل فكرة رقمية أنتجها أحد مرضاي، أحتاج أن أشير إلى أنه الأصغر في عائلة كبيرة، وقد فقد والده الذي كان يحبه جداً عندما كان طفلاً صغيراً، ضمن إطار ذهني مبتهج، فكر في الرقم (426718)، وسأل نفسه: «الآن، ما الذي يمكنني ربطه بهذا الرقم؟ حسناً، أولاً، وقبل كل شيء هناك نقطة سمعتها تقول (إذا عالج الطبيب نزلة البرد التي أصبتَ بها، فستستمر لـ 42 يوماً، وإذا تركتها دون علاج فستستمر لمدة 6 أسابيع» يتطابق ذلك مع الأرقام الأولى في الرقم: $(7 \times 6 = 42)$ ، عندما تردد بعدما تحدث عن هذه الفكرة الأولى، أشرتُ إلى أن الرقم الذي اختاره ذو الـ 6 خانات يحتوي على جميع الأرقام حتى الرقم 8 باستثناء الرقمين 3 و 5، فأكمل تفسيره فجأة: «حسناً، هناك 7 أشقاء في عائلتي، وأنا أصغرهم، بحسب ترتيب العمر، تأتي شقيقتي أ. في المرتبة رقم 3 بينما يأتي شقيقي ل. في المرتبة رقم 5، وكان كلاهما أعدائي، عندما كنتُ طفلاً كنت أدعو الرب في صلاتي كل مساء أن يُخرج الأشخاص الذين يُعذبونني من هذه الحياة، أعتقد أنني كنت أحقق هذه الأمنية بنفسني: لقد تجاوزت الرقمين 3 و 5، شقيقي السيئ والشقيقة التي كرهتها»، قلت له: «إذا كان الرقم يشير إلى أشقائك، فماذا عن الرقم 18 في النهاية، لم يكن هناك سوى 7 أفراد في عائلتك»، فأجاب: «طالما اعتقدت أنه لو عاش والدي لفترة أطول، لن أكون أصغر طفل، لو كان هناك طفل واحد 1 آخر لكان هناك 8 أفراد منا، ولأنني الأكبر سنًا كان سيكون لدي شقيق أو شقيقة لأسيطر عليه.

إذن، كان الرقم خاضع للحساب بطريقة ما، ولكن ما زال علينا معرفة الصلة بين الجزء الأول من التفسير، والجزء الثاني منه؛ يمكن إيجاد تفسير ذلك بسهولة فائقة في الظروف التي حددت آخر رقمين في تفكيره حيث اعتقد أنه لو كان والده قد عاش لفترة أطول» لما كان الأصغر، تشير المعادلة $(7 \times 6 = 42)$ إلى رأيه المتدني بالأطباء الذين لم يتمكنوا من مساعدة والده، مما يعبر عن رغبته في ألا يموت والده، يعكس العدد الكامل تحقيق الأمنتين الطفوليتين حول دائرة عائلته: لقد أراد أن يموت الشقيق، والشقيقة اللذين لا يحبهما، وأراد شقيقاً صغيراً آخر من بعده في الأسرة، أو لتقليص الفكرة إلى جوهرها: تمنى لو مات هذان الشخصان بدلاً من والده العزيز!¹⁵¹

6. فيما يلي مثال صغير من مراسلاتي، كتب مدير التلغراف في منطقة س. ليخبرني أن ابنه البالغ من العمر 18 ونصف (2/1) الذي أراد دراسة الطب، كان مهتماً في الوقت الحالي بعلم النفس المرضي للحياة اليومية، ويحاول إقناع والديه بأن آرائي صحيحة، أعيد تقديم إحدى المحاولات التي قام بها هذا الشاب دون أي تعليق على المناقشة التي أدت إلى ذلك.

«كان ابني يتحدث مع زوجتي حول ما يُسمى عادة بالصدفة، وأخبرها أنها لا تستطيع حقاً الادعاء بأن أي أغنية أو حتى أي رقم قد خطر ببالها «بالصدفة»، جرى الحديث على النحو الآتي، الابن: أعطني رقم - أي رقم، الأم: حسناً، لنقل 79، الابن: بماذا يرتبط هذا الرقم؟ الأم: يجعلني هذا الرقم أفكر في القبة الجميلة التي رأيتها بالأمس، الابن: ما تكلفتها؟ الأم: 158 مارك، الابن: ها أنت ذا، إذن: $158 \div 2 = 79$ ، لقد كانت القبة باهظة الثمن، وأتوقع أنك كنت تفكرين لو أن تكلفتها نصف ذلك فقط كنت ستشترينها، لقد اعترضت في البداية على أفكار ابني مشيراً إلى أن السيدات بشكل عام لسن جيدات في الحساب، وربما لم تكن والدته قد أدركت أن الرقم 79 يمثل نصف المبلغ 158، لذا استندت نظريته إلى فكرة مستبعدة بأن اللاوعي أفضل في الحساب من العقل الواعي، أجابني عندها: «لا على الإطلاق، سأعترف بأن والدتي لم تفكر في ناتج العملية الحسابية $(158 \div 2 = 79)$ ، لكن قد تكون رأيت المعادلة بالصدفة؛ أو قد فكرت بالقبة في أحلامها فاحتسبت ما سيكلفها بنصف السعر فقط».

7. أقتبس هنا تحليل آخر لعدد قدمه إدوارد جونز.¹⁵²، فكر رجل في الرقم 986 ثم تحداه إدوارد أن يربطه بأي شيء يخطر بباله، وباستخدام طريقة الربط الحرة، استدعى هذا الرجل أولاً ذكرى لم تكن موجودة في ذهنه من قبل: قبل ست سنوات في أكثر الأيام حرارة في ذاكرته، رأى نكتة في إحدى الصحف المسائية ذكرت أن درجة الحرارة بلغت 986 فهرنهايت كمبالغة لدرجة الحرارة البالغة تبلغ 98.6 فهرنهايت، كنا في ذلك الوقت نجلس أمام نار شديدة الحرارة فأنسحب إلى وراء، وذكر أنه ربما أثارت هذه الحرارة ذاكرته الخاملة، وعلى الأغلب كان على حق، كنتُ أشعر بالفضول لمعرفة سبب حيوية هذه الذكرى بالتحديد، وسهولة تذكرها حيث أن ذكرى كهذه تُتسى للأبد، ولا يمكن تذكرها ما لم تكن مرتبطة ببعض التجارب العقلية الأكثر أهمية، لقد أخبرني أنه أثناء قراءة النكتة كان يضحك بصوت عالٍ، وأنه تذكرها لاحقاً في مناسبات عديدة باستمتاع كبير، بما أن النكتة كانت بسيطة جداً، وغير مضحكة لهذا الحد للغاية، تأكدت توقعاتي بأن المزيد يكمن وراءها، كانت فكرته التالية حول الفكرة العامة بأن مفهوم الحرارة أثار إعجابه دائماً حيث تعد الحرارة أهم شيء في الكون، ومصدر كل أشكال الحياة، وما إلى ذلك؛ يحتاج هذا الموقف اللافت للنظر لدى شاب واقعي إلى بعض التفسير فطلبت منه مواصلة الروابط الحرة، تمثلت الفكرة التالية في مدخنة مصنع يراها من نافذة غرفة نومه؛ حيث كان يقف في الأمسيات عادةً يراقب اللهب، والدخان المتصاعد منه، ويفكر في الهدر المؤسف للطاقة. الحرارة، والنار ومصدر أشكال الحياة، وإهدار الطاقة الحيوية المنبعثة من أنبوب مجوف قائم - لم يكن صعباً الاستنتاج من هذه الارتباطات أن أفكار الحرارة، والنار مرتبطة في ذهنه دون وعي بفكرة الحب حيث تتكرر في تفكيره الرمزي، وأن هناك عقدة استمناء قوية أكدها.

أقترح لأي شخص يرغب بالتعمق في عمليات الفكر اللاواعي حول الأرقام يجب أن يقرأ مقال يونج بعنوان¹⁵³ (مساهمة في فهم الحلم العددي)، ومقال إدوارد جونز بعنوان¹⁵⁴ (التلاعب غير الواعي بالأرقام).

لقد أذهلني في تحليلاتي الذاتية من هذا النوع أمرين على وجه الخصوص، أولاً: اليقين الذي يُسيرني كالنائم الذي يمشي في نومه، واتبعه لتحقيق هدفه المجهول، والانغماس في سلسلة الأفكار التي

تتضمن حسابات ثم الوصول فجأة إلى الرقم الذي كنت أسعى إليه، ناهيك عن السرعة التي يؤدي بها عقلي بقية الأمور؛ ثانيًا: حقيقة أن الأرقام متاحة بسهولة لعقلي اللاواعي بالرغم من أنني لست جيدًا في الحساب، وأواجه صعوبة أكبر في تذكر التواريخ، وأرقام المنازل بشكل واعي، وما إلى ذلك، أجد أن هذا التلاعب العقلي اللاواعي بالأرقام يُظهر ميلًا للخرافات بداخلي بالرغم من أنني وجدت منذ فترة طويلة أن أصلها غامض¹⁵⁵.

لن نتفاجأ عندما نجد أن الأرقام ليست وحدها، وإنما الأفكار اللفظية أيضاً في مجالات مختلفة تُثبت بشكل منتظم أنها محددة على نحو جيد عند إخضاعها للتحليل.

8. قدّم يونج¹⁵⁶ مثال جيد على اشتقاق كلمة وسواسية تطارد العقل.

«أخبرتني سيدة أن كلمة (تاجانروج) [اسم مكان روسي] ضلت لعدة أيام على طرف لسانها، ولم يكن لديها أي فكرة من أين أتت، سألت السيدة عن أي أحداث ذات طبيعة عاطفية، وأي رغبات مكبوتة لها في الفترة الأخيرة، أخبرتني بعد بعض التردد أنها كانت ترغب في الحصول على روب نوم (مورجنروك - Morgenrock)، لكن زوجها لم يُظهر أي اهتمام لرغبتها تلك، تتشابه كلمة (مورجنروك - Morgenrock)، وكلمة (تاجانروك - Taganrock) التي تعني حرفياً «رداء النهار»، تبدو العلاقة الجزئية بين الكلمات بالمعنى، والصوت واضحة جداً، كما أن تحديد الصيغة الروسية للكلمة مستمد من حقيقة أن السيدة في اليوم ذاته قابلت شخصاً جاء من مدينة تاجانروج.

9. قدّم الدكتور إدوارد هيتسشمان شرح لحالة أخرى حيث استمر سطرين من الشعر في اقتحام مكان معين بالرغم من عدم وضوح السبب، والروابط، أخبرني الدكتور ص. المتخصص في القانون: كنت مسافراً قبل ست سنوات من بياريتز إلى سان سيباستيان، يعبر خط السكة الحديد نهر بيداسوا الذي يُشكّل الحد الفاصل بين فرنسا، وإسبانيا في تلك المرحلة، يطلّ الجسر على منظر رائع يضم وادي واسع، وجبال البرانس من جانب، والبحر الممتد بعيداً من الجانب الآخر، كان يوماً صيفياً رائعاً، ومشرقاً وضوء الشمس الساطع يغمر كل شيء، لقد كنت في عطلة، وأتطلع إلى الوصول إلى إسبانيا حين خطر ببالي هذه الأبيات الشعرية: حرة كالهواء تُحلّق الروح، تحوم في بحر من النور.

أتذكر أنني تساءلت في ذلك الوقت عن مصدر هذه الأبيات، ومن أي قصيدة، ولم أتذكر، إن حكمتُ وفق وزنها فلا بد أنها جزء من قصيدة لكنّها عصيّة على ذاكرتي تمامًا، أتذكر أنني في وقت لاحق مع استمرار عودة السطور إلى ذهني سألت العديد من الأشخاص عنها، ولم يستطع أحد تحديد القصيدة التي اقتبست منها، كنتُ أسافر على نفس امتداد خطة سكة الحديد في طريق عودتي من رحلة إلى إسبانيا العام الماضي، وكان الليل حالك الظلمة، والمطر يتساقط، نظرت من النافذة لأرى إن كنا وصلنا إلى المحطة الحدودية، ولاحظت أننا كنا على جسر بيداسوا، عادت السطور المذكورة إلى ذهني على الفور، ومرة أخرى لم أستطع تذكر من أي قصيدة، صادف بعد عدة أشهر أنني حملت مجلد قصائد أولاند في المنزل، وحين فتحته وقع نظري على السطور التالية: «حرة كالهواء تُحلّق الروح، تحوم في بحر من النور» مُشكلةً خاتمة قصيدة بعنوان «الحاج»، قرأت القصيدة، وتذكرت عندها على نحو غامض أنني كنت أعرفها من قبل منذ سنوات عديدة، تحكي القصيدة قصة تدور أحداثها في إسبانيا، وقد أدهشني ذلك باعتباره الرابط الوحيد الذي ربط الاقتباس مع خط السكة الحديد الذي وصفته، إلا أنني لم أكن راضيًا تمامًا عن اكتشافي، وواصلت تصفح الكتاب بتلقائية، كانت السطور (حرة كالهواء تُحلّق الروح ...) مطبوعة في نهاية إحدى الصفحات، وحين قلبتها وجدت قصيدة بعنوان «جسر بيداسوا» في الصفحة التالية، يجب أن أضيف أن محتوى القصيدة الثانية بدا لي أكثر غرابة من موضوع الأولى حيث تقول سطورها الأولى: يقف قديسًا قديمًا رماديًا على جسر بيداسوا، يبارك إسبانيا بيده اليمنى، وبارك فرنسا في الاتجاه الآخر.

(2) إن تسليط الضوء على تحديد الأسماء، والأرقام التي يبدو اختيارها عشوائيًا يساهم في حل مشكلة أخرى، يستشهد الكثير من الناس بقناعتهم الخاصة بوجود الإرادة الحرة لرفض فرضية الحتمية النفسية حيث أن شعورهم بهذه القناعة حقيقي، ولا يُفسح المجال للاعتقاد بالحتمية، يجب أن يكون هناك ما يُبرر هذا الشعور الحقيقي كغيره من المشاعر الطبيعية، إلا أنه بحسب ما أرى لا يظهر ذلك الشعور في القرارات الحرجة، والهامة حيث يميل المرء في هذه المواقف إلى الشعور بالإكراه النفسي، ونطلب الدعم بسهولة (أف هُنا، ولا يمكنني فعل أي شيء آخر)، يُفضل الناس الاعتقاد بأنهم حين يتخذون قرارات بسيطة غير هامة يُمكنهم كذلك اتخاذ قرارات مختلفة، وبأنهم يتصرفون وفقًا لإرادة الحرة، وليس بناءً على الدافع، تُظهر تحليلاتنا أنه ما من حاجة للجدل حول حق الشخص في

الشعور بقناعته بوجود الإرادة الحرة، إذا ميزنا بين الدوافع الواعية واللاواعية، نجد أن الشعور بهذه القناعة يُشير إلى أن الدافع الواعي لا يمتد إلى جميع القرارات التلقائية (لا يهتم بريثور¹⁵⁷ بالأمور الصغيرة)، إلا أن ما يُترك حراً من جانب يتأثر بدافع من جانب آخر أي اللاوعي، وبالتالي تحدث الحتمية النفسية كما يجب أن تحدث بعد كل شيء¹⁵⁸.

(3) بالرغم من خروج إدراك دوافع الزلات الموصوفة أعلاه عن نطاق العقل الواعي بطبيعة الحال، سيكون من الجيد العثور على دليل نفسي على وجودها، وهو أمر مُحتمل، وذلك لأسباب تتبثق من دراسة دقيقة للاوعي؛ حيث تكون هذه الأدلة موجودة بالفعل في مكانٍ ما، يمكن للظواهر التي تتوافق مع الفهم اللاوعي للدافع أن تظهر في مجالين:

(1). أحد السمات الواضحة، والملاحظة بشكل عام لسلوك المصابين بجنون الارتياب تتمثل بكونهم يولون أهمية قصوى لبعض التفاصيل الصغيرة في سلوك الآخرين بينما يتجاهلها البقية حيث يفسرون هذه التفاصيل بطرق معينة، ويستخلصون منها استنتاجات واسعة النطاق، فعلى سبيل المثال اعتقد المصاب بجنون الارتياب الذي زارني أن كل من حوله متواطئين لأنهم لوحوا بيد واحدة بطريقة معينة عندما غادر محطة السكة الحديد، بينما لاحظ رجل آخر الطريقة التي يسير بها الناس في الشارع بدقة، ويُأرجحون عصيهم، وهكذا دواليك¹⁵⁹، يستبعد المصاب بجنون الارتياب فئة السلوك العرضي الدال الذي لا يحتاج إلى دافع، ويعتبره الشخص العادي جزء من عملياته النفسية، وزلاته العقلية، وذلك حين يتعلق الأمر بالتعبيرات النفسية للآخرين، يرى هؤلاء أن كل ما يلاحظون عن الآخرين هام، وذو معنى، ويمكن تفسيره، يأتي السؤال: كيف وصل لمرحلة يرى فيها الأمور بهذه الطريقة؟ قد يكون ذلك، كما هو الحال في اضطرابات أخرى، نتيجةً لإسقاط عوامل موجودة دون وعي في حالته النفسية على الحالة النفسية للآخرين، إن جميع أنواع الأفكار التي لا يمكن تتبع وجودها في اللاوعي لدى الأشخاص الطبيعيين، والعصابيين إلا من خلال التحليل النفسي، تشق طريقها لدى المصابين بجنون الارتياب نحو العقل الواعي¹⁶⁰، يكون المصاب بجنون الارتياب هنا على حق بشكل جزئي: إنه يُدرك أمور بعيدة عن الإدراك الطبيعي، ويرى باهتمام أكثر من أي شخص طبيعي، إلا أن تصوراتهِ تُصبح باطلة نتيجةً لتعرض الأمور التي يُدركها بهذه الطريقة

للإحاطة بالنسبة للآخرين، أثق بأنه لن يُتوقع مني تبرير التفسيرات الفردية للأشخاص المصابين بجنون الارتياب، إلا أن مقدار التبرير البسيط للأفعال العرضية الذي أشتقه هنا من هذا المرض سيُسَهِّل الفهم النفسي للقناعة التي تحملها كل هذه التفسيرات في ذهن المصاب بجنون الارتياب، هناك شيئاً من الصحة في ذلك: تكتسب أخطائنا في الحكم أي الأخطاء التي لا توصف بأنها مرضية شعورها الخاص بالإقناع بنفس الطريقة، تخضع هذه المشاعر المتعلقة بجزء معين من سلسلة الأفكار الخاطئة أو مصدرها للتبرير، والتفسير ثم توسيعها لتتطبق على بقية السياق.

(2). تظهر علامة أخرى على فهمنا اللاواعي للدوافع في الأفعال، والزلات العرضية من خلال ظاهرة الخرافات، سأشرح ما أعنيه عبر مناقشة الحادث الصغير الذي شكّل نقطة الانطلاق لهذه الأفكار، عند عودتي من الإجازة، فكرت على الفور في المرضى الذين سأعمل معهم في العام الجديد، كانت زيارتي الأولى لسيدة كبيرة في السن أجرى عليها المهام الطبية ذاتها مرتين يومياً لسنوات (انظر مثال ز. ي الفصل الثامن)، بسبب رتابة زيارتي لها، ظهرت الأفكار اللاواعية كثيراً على السطح في طريقي إليها، وبينما كنت أعالجها، كان عمرها أكثر من تسعين عاماً، لذا كان طبيعياً أن تتساءل في بداية كل عام عن المدة التي ستعيشها، كنت في عجلة من أمري في اليوم المعني، لذا ركبت سيارة أجرة إلى منزلها، يعرف كل سائقي سيارات أجرة في الرصيف المقابل لمنزلي عنوان السيدة العجوز لأنهم جميعاً يوصلوني إليها كثيراً، حدث ذلك اليوم أن السائق لم يتوقف عند منزلها بل أمام مبنى يحمل نفس رقم منزلها في شارع مجاور موازٍ لشارعها، وبدا لي في الواقع مشابهاً جداً لمنزلها، أشرت للسائق حول خطئه، واعتذر؛ هل من مغزى لكوني نُقلت إلى مبنى لا أجد فيه السيدة العجوز؟ ليس بالنسبة لي بالتأكيد لكن لو كنت أو من بالخرافات، لكنت رأيت في هذه الحادثة فال معين أو نبوءة من القدر على أن هذا العام سيكون الأخير في حياة السيدة العجوز، لقد استند عدد كبير من التنبؤات المذكورة في السجلات التاريخية إلى رمزية واهية مثل هذه، بالرغم من أنني سأشرح هذا الحادث على أنه صدفة دون أي أهمية أخرى.

كان الأمر سيختلف تماماً لو كنتُ قطعت رحلتي سيراً على الأقدام ثم «سرحت في تفكيري» أو «شرد ذهني ذهن»، وذهبت إلى المبنى في الشارع الموازي بدلاً من الشارع الذي كنت أقصده،

عندها كنتُ سأشرح أن ذلك ليس صدفة بحتة، وإنما فعل جرى تنفيذه بنية غير واعية، ويستدعي التفسير، وكنتُ سأفسر خطئي على أنه إشارة إلى عدم توقعي لزيارة السيدة العجوز لفترة أطول، أود الإشارة إلى الفرق بين تفكيري، وتفكير رجل مؤمن بالخرافات على النحو التالي: لا أعتقد بأنه يمكن لأي حدث لا ينتج بأي شكل عن حالتي النفسية إخباري بأي حقائق خفية حول الشكل المستقبلي للواقع، لكنني أعتقد بأن التعبير غير المقصود عن العمليات الذهنية قد يكشف عن بعض العوامل الخفية التي تنتمي في حد ذاتها إلى الحالة النفسية وحدها، قد أؤمن بالصدفة الخارجية (الحقيقية)، ولكن ليس فيما يتعلق بالأفعال العرضية الداخلية (النفسية)، أما الرجل المؤمن بالخرافات فيرى الأمر على العكس تماماً: لا يعرف شيئاً عن دوافع أفعاله، وزلاته العرضية الدّالة، ويعتقد أن العوامل النفسية العرضية موجودة، ويميل إلى إسناد أهمية بالغة للأحداث العرضية الخارجية التي تُظهر نفسها في الواقع، ويرى المصادفة وسيلة للتعبير عن أمر خفي خارج نفسه، هناك اختلافان جوهريان بيني، وبين هذا الرجل: أولاً، يقوم هذا الرجل بإسناد الدافع لشيء ما خارجه، بينما أبحث عن الدافع في داخلي؛ ثانياً، يفسر هذا الرجل الصدفة على أنها حادثة حدثت، بينما أستمدّها من فكرة، بالرغم من ذلك، ما يبدو مخفياً بالنسبة له يتوافق مع اللاوعي بداخلي، وننتشارك الرغبة في ألا نعتبر الصدفة على أنها عرضية فحسب بل أن نُضفي تفسيراً عليها¹⁶¹.

أفترض أن هذا الجهل الواعي، والفهم اللاواعي لدوافع الأحداث النفسية العرضية يُشكّل أحد جذور الخرافات حيث يجهل الشخص المؤمن بالخرافات الدافع وراء أفعاله العرضية، ولأن هذا الدافع يُجبر الشخص على إدراك وجود هذا الدافع يكون عليه التكيف مع العالم خارج ذاته عن طريق الإزاحة، عند وجود هذا النوع من الارتباط، لا يقتصر الأمر على حالة واحدة إلا ما ندر، أعتقد أن جزء كبير من أي نظرية ترى العالم من وجهة نظر مبنية على الخرافات، والأساطير ليست سوى شكل من أشكال إسقاط علم النفس على العالم الخارجي، ويمتد ذلك بشكل واسع ليشمل أكثر أشكال الدين حداثة، تتعكس وجهة النظر الغامضة (يمكن تسميتها بالإدراك النفسي الداخلي) للعوامل، والظروف النفسية¹⁶² في اللاوعي على عملية بناء حقيقة خارقة للطبيعة سيُعيد جذورها العلم إلى علم نفس اللاوعي - الأمر الذي يصعب شرحه بأي طريقة أخرى، لذا أشير هنا إلى التشابه مع جنون الارتياب -، وعليه يُمكن فهم أساطير الجنة، والهبوط إلى الأرض¹⁶³، والخير، والشر، والخلود، وغيرها

بعبارة: «تحويل أمور ما وراء الطبيعة إلى ما وراء النفس». هناك فجوة أقل بين الإزاحة لدى المصاب بجنون الارتياح، والإزاحة في الخرافات مما قد يبدو عليه الأمر للوهلة الأولى، عندما بدأ البشر في التفكير لأول مرة، شعروا بأنهم مجبرين على حل لغز العالم الخارجي، وتحليله من الناحية البشرية إلى مجموعة متنوعة من الشخصيات بتصورهم الخاص؛ وبالتالي كانت أحداث الصدفة التي فسروها بعبارات خرافية عبارة عن أفعال، وتعبيرات الأشخاص، لقد كان البشر كالمصابين بجنون الارتياح الذين يستخلصون الاستنتاجات من الإشارات البسيطة التي لاحظوها لدى أشخاص آخرين، ومثل أولئك الأشخاص الأصحاء الذين يحكمون بشكل صحيح على الشخصية من خلال الأفعال العرضية الدالة، والأفعال غير المقصودة لغيرهم، تبدو الخرافات في غير محلها فقط في نظرتنا الحديثة، والعلمية، ولكن غير الكاملة للعالم؛ بينما كانت الخرافات لعصور، وشعوب ما قبل العلم مشروعة، ومنطقية. وعليه، يمكن القول بأن الروماني الذي تخلص عن بعض المشاريع الهامة حين رأى الطيور تُحلّق في تشكيل خاطئ كان على حق نسبياً؛ فقد كان يتصرف بشكل منطقي بما يتماشى مع افتراضاته، لكن إن امتنع عن المشروع لأنه تعثر على عتبة بابه (سيعود الروماني إلى الوراثة) فهو بالتأكيد متفوق علينا غير المؤمنين بالخرافات، وطبيب نفس أفضل منا بالرغم من جهودنا الحالية، لقد أظهر له التعثر وجود بعض الشك في الأمر، وأن شيئاً ما داخله يعارض هذا المشروع، وأن قوة هذا الشيء قد تضعف قدرته على تنفيذ نيته عندما كان على وشك تنفيذها، لا يمكن للمرء أن يتأكد من النجاح إلا إذا اتحدت جميع القوى النفسية، والعقلية لتحقيق الهدف المنشود، كما قال فيلهلم تيل¹⁶⁴ في مسرحية شيلر بعد أن تردد لفترة طويلة قبل التصويب على التفاحة فوق رأس ابنه، عندما سأله الحاكم لماذا أخذ سهمًا ثانيًا: [لو كنت قد قتلت طفلي الحبيب، لكان السهم الثاني لك، وكانت هذه الضربة ستجرح بالفعل].

4) يمكن لأي شخص أتيحت له فرصة دراسة المشاعر الخفية للعقل البشري باستخدام طرق التحليل النفسي أن يساهم في بعض الأفكار الجديدة حول جودة الدوافع اللاواعية التي تُعبر عنها في الخرافات، يسهل رؤية كيفية تشكيل الخرافات من المشاعر العدائية، والقاسية المكبوتة لدى الأشخاص المصابين بالعصاب الذين يتسمون بالذكاء الشديد، ولكن يعانون من الأفكار الإقحامية، والوساوس القهرية، تشير الخرافات بدرجة كبيرة إلى توقّع سوء الحظ، ويُرجح أن أي شخص يتمنى

سوء الحظ للآخرين لكنّه يجمع هذه الأفكار لأنه نشأ على وجوب تمنى التوفيق لهم، سيتوقع نزول الحظ السيئ به كعقوبة على سوء نيته اللاواعية، أعترف بأنني لم أستنفد بأي حال من الأحوال كافة جوانب سيكولوجية الخرافات بهذه الملاحظات، لكن يجب أن أتطرق على الأقل إلى الجانب الآخر من السؤال: هل يمكننا رفض وجود أي جذور حقيقية للخرافات تمامًا؟ وهل نحن على يقين بأن الحدس، ونبوءات الأحلام، وتجارب التخاطر، والقوى الخارقة، وغيرها ليس لها أساس في الواقع؟ لا أرغب حقيقةً في استبعاد الظواهر التي لوحظت بتفاصيل ظرفية من قبل المتفوقين فكرياً؛ لذا سيكون من الأفضل اعتبارها موضوع يحتاج لمزيد من الدراسة، قد يأمل المرء بتوضيح هذه الملاحظات من خلال معرفتنا المشرقة بالعمليات العقلية اللاواعية دون إجبارنا على إجراء تعديلات جذرية على آرائنا الحالية¹⁶⁵.

إن كانت الظواهر الأخرى التي يدّعي الروحانيون وجودها يُمكن إثباتها فسيتعين علينا إجراء التعديلات التي يتطلبها هذا الاكتشاف الجديد على «قوانيننا» دون أن يتزعزع إيماننا باتساق الظواهر الأرضية، ضمن سياق هذه الملاحظات، يمكنني أن أجيب على الأسئلة التي تثار بشكل ذاتي فقط أي من تجربتي الخاصة، يجب عليّ أن أعترف بأنني للأسف أحد هؤلاء الأفراد غير الجديرين الذين تتوقف الأشباح عن مطاردتها أمامهم، وأن الأمور الخارقة للطبيعة لا تراودني، لذا لم أكن أبداً في موقف يسمح لي بتجربة أي شيء قد يُقنعني بالإيمان بهذه العلامات الخارقة، والعجائب، لقد مررت كأني شخص آخر بحالات من الشعور بالحدس، وتجربة سوء الحظ، لكن حافظ الأمرين على مسافة بينهما: لم يحدث شيء لتبرير الحدس، وظهر سوء الحظ فجأة؛ عندما كنت شاباً أعيش وحدي في مدينة أجنبي لطالما سمعت أحدهم ينادي اسمي فجأة بصوت شخص محبوب، وبطريقة لا لبس فيها، وقمت بتسجيل اللحظة الدقيقة التي حدثت فيها هذه الهلوسة السمعية، وحين سألت عائلتي بقلق عما حدث في المنزل في ذلك الوقت كانت الإجابة لا شيء، وفي المقابل كنتُ ذات مرة أعمل مع أحد مرضاي، وذهني مرتاح دون أي شعور بالسوء في حين كان طفلي معرضاً لخطر النزيف حتى الموت في الوقت ذاته، لم أتمكن أبداً من الاعتراف بأي من الحالات التي أخبرني بها مرضاي كظواهر حقيقية، لكن عليّ أن أعترف أنه في السنوات الأخيرة مررت بالعديد من التجارب الرائعة التي يمكن شرحها بسهولة كافية إن افترضنا وجود التخاطر الفكري، يؤمن الكثير من الناس بنبوءات

الأحلام، وهو اعتقاد قائم على حقيقة أن العديد من الأحداث المستقبلية تحدث وفقاً للطريقة التي رسمتها فيها رغبتنا سابقاً في الحلم¹⁶⁶، لا يعتبر هذا الأمر مفاجئاً بحد ذاته، وكقاعدة عامة هناك اختلافات واسعة النطاق بين الحلم، وتحقيقه يُفضل الحالم الساذج تجاهلها.

قدّمت لي مريضة ذكية، وصادقة ذات مرة مثلاً جيداً لحلم يمكن تسميته بـ (نبوءة)، وذلك لغايات تحليله بدقة، لقد أخبرتني أنها حلمت ذات مرة بمقابلة صديقها السابق الذي كان طبيب العائلة أمام متجر معين في شارع معين، وعندما دخلت المدينة في صباح اليوم التالي قابلته بالفعل في المكان المحدد في الحلم، يمكنني أن أضيف أن هذه المصادفة المذهلة لم تثبت أهميتها فيما يتعلق بأي تجربة لاحقة، لذا لم يكن هناك أي شيء يتعلق بالمستقبل يمكن تفسيره، إلا أن الأسئلة الدقيقة أثبتت عدم وجود أي دليل حقيقي على أن السيدة تذكرت حلمها بمجرد استيقاظها في الصباح، وقبل أن تمشي، وتلتقي بصديقها، لم تستطع الاعتراض على الحقائق التي تُجرد الحدث من أي أهمية، ولا تعتبره مذهب، وتترك أماننا مشكلة نفسية مثيرة للاهتمام، كانت قد نزلت إلى الشارع المعني في ذلك الصباح، والتقت بطبيبها السابق أمام المتجر، وكانت مقتنعة عندما رآته أنها حلمت بلقائهما في ذلك المكان بالذات في الليلة السابقة، إذن، قد يُشير التحليل إلى احتمال مُرجح حول كيفية تأكدها مما تقول بشكل تام حيث يمكن للقناعة كقاعدة عامة أن تدعي نوعاً من المصادقية، إن الالتقاء بشخص ما في مكان محدد مسبقاً في حين كنت تتوقع هذا اللقاء يشبه إلى حد كبير طبيعة الموعد، لقد ذكرها طبيبها السابق بالأيام الخوالي التي كانت لقاءاتها مع شخص ثالث صديق للطبيب هامة جداً، كانت لا تزال مهتمة بهذا الرجل الآخر، وكانت تتوقع رؤيته في اليوم السابق لحلمها المزعوم، لكنه لم يحضر أبداً، لو كان جائزاً لي تقديم شرح كامل السياق، والظروف المحيطة بالحالة، لاستطعت بسهولة توضيح وُهمها بنبوءة الحلم عندما رأت صديقها من الماضي، وكيف يوازي قول شيئاً مثل: «أوه، أيها الطبيب أنت تذكرني كثيراً بالماضي! لم أضطر أبداً إلى انتظار السيد نون. عبثاً حين كنا نلتقي في موعد في تلك الأيام»

لقد مررت بنفسني بتجربة بسيطة، وسهلة التفسير على «المصادفة الغريبة» الشهيرة لمقابلة شخص ما كان المرء يفكر فيه للتو، وقد تكون نموذج جيد للحالات المماثلة، بعد أيام قليلة من حصولي على

لقب الأستاذ الذي يمنحني الكثير من المكانة في الدول الملكية، كنت أسير في المدينة عندما تحولت أفكارى فجأة إلى خيال طفولي للانتقام من زوجين معينين طلبا مني القدوم لفحص ابنتهما الصغيرة قبل بضعة أشهر، لقد أظهرت الطفلة علامات مثيرة للاهتمام من أعراض الهوس فيما يتعلق بالحلم، لقد أعجبتني حالتها، واعتقدت أنني رأيت كيف تطوّر هوسها لكن رفض والديها السماح لي بعلاجها، وأخبراني بأنهما يُفكران في الذهاب إلى طبيب أجنبي يستخدم التنويم المغناطيسي كعلاج، كنت أتخيل عندها أن جهودها قد فشلت تمامًا، وأن الوالدين يتوسلان لي لأبدأ العلاج قائلين إنهما الآن يثقان بي تمامًا، وما إلى ذلك، وأنني أجبته: أوه، الآن بعد أن أصبحتُ بروفيسور، أنت تثق بي، أليس كذلك؟ إن لقي لا يحدث أي فرق في قدراتي، إن كنت لا تريدني حين كنتُ مجرد محاضر، يمكنك الاستغناء عن خدماتي كبروفيسور»، قاطع خيالي عندها تحية صاخبة: «يوم سعيد بروفيسور!»، فنظرت باتجاه الصوت لأرى نفس الزوجين اللذين كنت قد انتقمتهما للتو في خيالي برفض طلبهما؛ لم تكن فكرتي التالية تتعلق بأي شكل بالاندهاش، لقد كنتُ أسير على طول طريق مستقيم، وواسع، وشبه فارغ، ورأيت أمامي في الاتجاه المعاكس من والدي الفتاة شخصياتهم المهيبة حين رفعت نظري لفترة وجيزة قبل حوالي عشرين خطوة منهم، لكنني رفضت رؤيتي لهما - كما لو كانت هلوسة سلبية - لتلك الأسباب العاطفية التي ظهرت فيما حدث، وبدا أنه ظهور عفوي للخيال.

لقد أخذت المثال التالي حول «تفسير لحدس واضح» من العالم أوتو رانك:

«واجهت قبل فترة نسخة عجيبة من «المصادفة الغريبة» حيث قابلت شخص ما كنتُ أفكر فيه للتو، قبل عيد الميلاد، كنتُ في طريقي إلى البنك النمساوي المجري لتبديل ورقة نقدية بعشرة قطع نقدية (كرون) جديدة من الفضة، وخططت لتقديمها كهدايا، وأنا غارق في أعماق الأوهام الفخمة المرتبطة بالتناقض بين إمكانياتي البسيطة، والأموال المكسدة في البنك، انتقلت إلى الشارع الضيق حيث يقع المبنى، ورأيت سيارة عند المدخل الرئيسي، وعدد كبير من الناس يدخلون، ويخرجون، قلت لنفسى: «حسنًا، لابد أن لدى موظفي البنك وقت للتعامل مع القطع النقدية القليلة، ولن أستغرق الكثير من وقتهم على أي حال؛ سأسلم الورقة النقدية التي أريد تغييرها، وأقول: (أود تبديل هذه بقطع ذهبية من فضلك!) لاحظت عندها خطئي على الفور، لقد كنت سأطلب قطع فضية فعدت إلى الواقع إلى

الأرض من أحلام اليقظة، كنت عندها على بعد خطوات قليلة من المدخل، ورأيت شابًا مألوفًا قادمًا نحوي بالرغم من قصر نظري لم أستطع معرفته على وجه اليقين، عرفته عندما اقتربت منه حيث كان صديق شقيقي في المدرسة، ويدعى غولد (Gold)، وكنت أتمنى الحصول على الدعم من شقيق هذا الرجل عندما شرعت في مهنة أدبية حيث كان كاتب معروف، لكن ذلك لم يحدث، ولم أحصل على النجاح المادي الذي كنت أتمناه، الموضوع الذي كان يشغل مخيلتي، وأفكاري في طريقي إلى البنك، لابد أنني في أعماق تخيلاتي رأيت بلا وعي هير جولد قادمًا نحوي، وقد حوّل عقلي الواعي الذي يحلم بالنجاح المالي هذه الحادثة البسيطة إلى شكل معين جعلني أفكر في أن أطلب من موظفي البنك الذهب بدل الفضة الأقل قيمة، إن تناقض الحقيقة المتمثلة بأن العقل اللاوعي يُدرك شيئاً لم تتعرف عليه عيناى إلا بعد فترة يبدو جزءاً مما يسمى (الاستعداد المعقد) بحسب بلولر حيث يُركّز على الأمور المالية، ويوجهني طوال الوقت على عكس ما أعرفه حقاً إلى مكان يتعاملون فيه فقط مع المعاملات في الذهب، والأوراق المالية¹⁶⁷.

يندرج أيضاً تحت فئة المذهل، والغريب الإحساس الغريب الذي يشعر به المرء كثيراً في العديد من المواقف بأنه قد مرّ بتجربة معينة من قبل أو أنه كان في نفس المكان من قبل، بالرغم من عدم قدرته على النجاح أبداً في تذكر تلك المناسبة السابقة؛ أعلم أنني أعتمد ببساطة مصطلح لفظي غير دقيق لوصف ما يشعر به المرء في هذه اللحظات بأنه إحساس: إنها عملية حكم تشمل التماهي مع المواقف، لكن يكون لهذه الحالات طابعها الفريد، ويجب ألا ينسى المرء أنه غير ممكن أبداً تحديد مكان الذاكرة التي يجري البحث عنها، لا أعرف إن كانت ظاهرة الرؤية المسبقة للأحداث (الديجاو - déjà vu) تدلّ على الوجود النفسي للفرد في وقت سابق، لكنّ علماء النفس وجهوا انتباههم إليها محاولين حل اللغز بجميع أنواع الطرق التأملية، لا أعتبر أي من محاولات شرح هذه الظاهرة كافية حيث لم تدرس هذه الشروحات سوى الميزات، والظروف المصاحبة التي تشجع هذه الظاهرة، بحسب ملاحظاتي، أرى أن العلماء ما زالوا يتجاهلون العمليات النفسية المسؤولة عن توضيح معنى الديجاو أي التخيلات اللاواعية، أعتقد أنه من الخطأ وصف الشعور بالمرور بتجربة معينة من قبل على أنها مجرد وهم حيث تمس هذه المشاعر في مثل هذه اللحظات شيئاً سبق للمرء أن اختبره بالفعل لكن التجربة كانت باللاوعي، وبالتالي لا يمكن تذكرها بوعي، يمكن القول باختصار أن الإحساس

بالديجافو عبارة عن ذكرى الخيال اللاواعي - لأن الخيالات اللاواعية (أو أحلام اليقظة) موجودة تماماً مثل التخيلات الواعية المألوفة لدينا بالتجربة الشخصية، يحتاج هذا الموضوع بحسب علمي إلى دراسة دقيقة جداً، لكنني سأستشهد هنا فقط بتحليل حالة واحدة على ظاهرة الرؤية المسبقة للأحداث (الديجافو - déjà vu) حيث كان الإحساس ملحوظاً بسبب كثافته، ومدته.

تتذكر سيدة تبلغ من العمر 37 عاماً بوضوح زيارتها الأولى لأصدقاء المدرسة في الريف حين كانت في الثانية عشر والنصف من العمر، عندما ذهبت إلى حديقة منزلهم شعرت على الفور بأنها زارت هذا المكان من قبل، وكان لديها نفس الإحساس حين دخلت غرفة المعيشة، وبدا لها أنها تعرف مسبقاً الغرفة المجاورة، والمنظر الذي تطلّ عليه، وما إلى ذلك، إلا أنه من المستحيل أن يكون شعورها بالألفة قد نشأ عن زيارة سابقة للمنزل، والحديقة، بحسب ما أكد والديها، ربما في مرحلة الطفولة المبكرة جداً؛ لم تكن السيدة التي أخبرتي بذلك تبحث عن أي تفسير نفسي، لكنها اعتقدت أن ذلك الإحساس يُنذر بأهمية هؤلاء الأصدقاء في حياتها العاطفية لاحقاً، يشير تحليل الظروف المصاحبة للظاهرة إلى مفهوم مختلف، عندما قامت بزيارتها علمت بأن صديقاتها بنات العائلة لديهن شقيق وحيد مصاب بمرض خطير، وقد رآته أثناء زيارتها، واعتقدت أنه يبدو مريضاً بالفعل، وعلى وشك الموت، كان شقيقها الوحيد قبل بضعة أشهر مصاباً بمرض خطير (الدفتيريا)، وأمضت أثناء مرضه عدة أسابيع بعيداً عن منزل والديها مع إحدى قريباتها، لقد ظنت أن شقيقها رافقها في هذه الزيارة لأصدقائها في الريف، وحتى أنها كانت أول رحلة استكشافية له بعد مرضه، لكن ذاكرتها كانت غامضة بشكل غريب حول هذه النقطة بالتحديد رغم أنها تذكرت كل شيء بوضوح، وتفصيل، لا سيما الفستان الذي كانت ترتديه في ذلك اليوم، لن يُصعب على أي شخص يعرف هذه الأمور أن يستنتج وفقاً للمؤشرات أن توقعات وفاة شقيقها خيّمَت على ذهن الفتاة في ذلك الوقت، ولكن إما أن ذلك لم يكن حاضراً في وعيها أو أنها قمعت هذه الذكرى بشدة حين تعافى لحسن الحظ، لو لم يتعافى شقيقها لكانت في حداد، وترتدي فستاناً مختلفاً، لقد وجدت وضع مشابه في منزل صديقاتها في الريف حيث كان شقيقهن الوحيد في خطر الموت، وقد مات بالفعل بعد ذلك بوقت قصير، كان عليها أن تتذكر في عقلها الواعي أنها كانت في الموقف ذاته قبل بضعة أشهر، ولكنها لم تتذكر الأمر بجمع تلك الذكرى، وبدلاً من ذلك نقلت إحساسها بتذكر شيء ما بالإشارة إلى منزل، وحديقة منزل أصدقائها،

ووقعت ضحية إدراك وهمي بأنها رأت كل هذه الأشياء من قبل، قد نستنتج مما قمعته أن توقّعها لوفاة شقيقها في ذلك الوقت لم يكن بعيداً جداً في طبيعة الحال عن خيال تحقيق الأمنيات: إذا مات ستكون الابنة الوحيدة في العائلة، لقد عانت من العصاب في سن متأخرة، وخافت من فقدان والديها، لقد كشف التحليل كالعادة عن رغبة غير واعية بهذا المعنى وراء خوفها.

لقد تمكنت من تتبع تجاربي العابرة للرؤية المسبقة للأحداث (الديجافو) بطريقة مشابهة للظروف العاطفية في تلك اللحظة، يمكن تفسير هذه الظاهرة على أنها «فرصة أخرى لإحياء الخيال (اللاوعي، وغير المعترف به) الذي يكونه المرء في وقت معين للتعبير عن رغبته في تحسين الوضع» ولم يقبل هذا التفسير حتى الآن إلا شخص واحد فقط، كتب لي الدكتور فيرينزي الذي أدين له بالعديد من المساهمات القيمة في الطبعة الثالثة من هذا الكتاب، حول هذا الموضوع: لقد لاحظت الأمر في نفسي، ولدى الآخرين على حد سواء، واقتنعت بأن الإحساس بالألفة غير المفسر يمكن اشتقاقه من التخيلات اللاواعية التي يتذكرها المرء دون وعي في موقف فعلي، بدت حالة أحد مرضاي مختلفة لكنها في الواقع متشابهة تماماً حيث كان لديه إحساس بالرؤية المسبقة للأحداث في كثير من الأحيان، لكن ثبت أكثر من مرة أن ذلك نتيجة لحلم منسي (أو مكبوت) في الليلة السابقة، يبدو إذن أن الديجافو لا تنشأ من أحلام اليقظة فقط، وإنما من الأحلام الليلية أيضاً.

علمت لاحقاً أن جراست في عام 1904، وضح هذه الظاهرة بطريقة قريبة جداً من طريقتي، كتبت في عام 1913 مقالة قصيرة¹⁶⁸ تصف ظاهرة أخرى تشبه إلى حد بعيد ظاهرة الرؤية المسبقة للأحداث، تسمى هذه الظاهرة (ديجا راكونتي - déjà raconté) أي وهم قول شيء ما مسبقاً، وتكون هذه الظاهرة مثيرة للاهتمام عندما حدوثها أثناء العلاج بالتحليل النفسي، يدعي المريض في هذه الحالة بكل ما يملك من يقين ذاتي أنه قد أخبر الطبيب سابقاً عن ذكرى معينة منذ فترة طويلة، إلا أن الطبيب متأكد من أن مريضه لم يذكر ذلك مطلقاً، ويمكنه عادةً إقناع المريض بأنه مخطئ، يمكن تفسير هذه الزلة المذهلة بأن المريض قد قصد بالفعل إخبار الطبيب بهذه الذكرى لكنه أغفل القيام بذلك، فيستبدل ذكرى النية السابقة بدلاً من ذكرى عدم وضعها موضع التنفيذ، ينطبق الأمر ذاته على «الزلات المفترضة» التي ذكرها فيرينزي¹⁶⁹ حيث يعتقد المرء أنه نسي أو أضاع أو فقد شيئاً ما،

لكن يمكنه إقناع نفسه بعدم حدوث أي شيء من هذا القبيل، وأن كل شيء على ما يرام، تعود مريضة مثلاً إلى غرفة الطبيب للحصول على المظلة التي تقول إنها نسيته هنا، لكن يرى الطبيب أنها بالفعل تحمل المظلة في يدها، لابد من وجود دافع لارتكاب هذه الزلة، وقد كان دافعاً كافياً ليكون بديل عن ارتكاب الزلة بالفعل، بصرف النظر عن هذا الاختلاف، تعد الزلات المفترضة مطابقة تماماً للزلات الحقيقية، ولكن يمكن وصفها بأنها أقل تكلفة.

(5) كنتُ منذ فترة أخبر زميلاً حصل على تدريب في الفلسفة عن بعض حالات نسيان الأسماء، وتحليلها، فأجاب على الفور: «نعم، هذا جيد جداً، لكني لا أنسى الأسماء في بنفس الطريقة على الإطلاق» يبدو جلياً أن هذا ليس سؤالاً سهلاً؛ لا أعتقد أن زميلي فكر من قبل في تحليل نسيان الاسم لذا لم يستطع تحديد الطريقة المختلفة التي ينسى بها، لكن تعليقه يتطرق إلى مشكلة قد يُشير الكثير من الناس إليها: هل السرد الذي قدمته هنا عن الزلات، والأفعال العرضية صحيح بشكل عام أو فقط في بعض الأحيان؟ وإن كانت تنطبق على حالات معينة فقط، في أي ظروف يمكن الاستشهاد بهذه الحالات لشرح الظواهر التي تحدث بطرق أخرى؟ يمكن القول بأن تجربتي تخذلني حين يتعلق الأمر بالإجابة على هذا السؤال، لا يمكنني سوى التحذير من اعتبار أن الروابط التي شرحتها هنا غير شائعة فقد أثبتت نظريتي دقتها كلما وضعتها تحت الاختبار مع نفسي، ومرضاي بحسب الأمثلة المذكورة أعلاه، أو على الأقل توفرت أسباب وجيهة لافتراض دقة هذه النظرية، ليس مستغرباً أن يفشل المرء أحياناً في العثور على المعنى الخفي لفعل عرضي دال حيث يُشكّل مستوى المقاومة الداخلية لإيجاد الحل عاملاً حاسماً، كما لا يمكن للمرء دائماً تفسير كل حلم من أحلامه أو أحلام مرضاه، ولكن يكفي إحراز بعض التقدم في الكشف عن معناه لتأكيد الصلاحية العامة للنظرية، يمكن للحلم الذي يقاوم التفسير في اليوم التالي أن يكشف عن سره بعد أسبوع أو شهر بعد حدوث تغيير حقيقي في القوة المتضاربة للعوامل النفسية، ينطبق الأمر نفسه على تفسير الزلات، والأفعال العرضية الدالة: لقد منحني مثال خطأ قراءة «في حوض عبر أوروبا» الفرصة لإظهار كيف يمكن للأعراض التي لا يمكن فهمها في البداية أن تصبح عرضة للتحليل عندما يتلاشى الاهتمام الحقيقي بالفكرة المكبوتة¹⁷⁰. طالما كانت هناك فرصة في حصول شقيقي على لقب البروفيسور الذي أرغب به، لذا نجد أن زلة القراءة التي ذكرتها صمدت أمام جهود التحليل المتكررة؛ ثم تمكنت فجأة من رؤية

طريقي لحلها بعد أن تبين أنه لن يفعل ذلك على الأرجح. لذا، سيكون خطأ القول بأن جميع الحالات التي تقاوم التحليل تنشأ عبر آلية نفسية غير تلك الموضحة هنا؛ فالأدلة السلبية ليست كافية لمثل هذا الافتراض، إن استعداد الأشخاص الأصحاء بشكل عام للإيمان ببعض التفسيرات الأخرى للزلات، والأفعال العرضية الدالة لا قيمة له كدليل حيث يُعبر بشكل طبيعي عن نفس القوى العقلية التي تسببت بالغموض، وبالتالي تعمل هذه القوى على الحفاظ عليه، ومقاومة تفسيره.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يجب ألا نتغاضى عن حقيقة أن الأفكار، والعواطف المكبوتة لا تتسبب من تلقاء نفسها في الظهور من خلال أفعال، وزلات عرضية، لا بد أن قدرة الأعصاب المتخصصة على ارتكاب الزلات تعمل بشكل مستقل حيث تُستغل هذه القدرة من قبل النية المكبوتة لتظهر إلى الوعي، ضمن حالة الزلات اللفظية، حاول الفلاسفة، وعلماء اللغة عبر دراساتهم المستفيضة تحديد العلاقات الهيكلية، والوظيفية التي تساهم في تنفيذ هذه النية، إذا ميزنا الدافع اللاواعي عن العوامل الفسيولوجية، والنفسية الفيزيائية المتعارضة التي تهيئ ارتكاب الزلة أو الأفعال العرضية الدالة، يضل السؤال مفتوحاً عن وجود عوامل أخرى ضمن نطاق السلوك الطبيعي تؤدي إلى الزلات، والأفعال العرضية الدالة بما يتوافق مع تلك العلاقات التي تشبه الدافع اللاواعي، ولكنها تعمل كبديل له، لا تقع إجابة هذا السؤال ضمن نطاق هذا الكتاب.

لا أنوي تضخيم الفرق بين التحليل النفسي، والمفهوم الشائع للزلات، الفرق الشاسع بما يكفي على أي حال، أود الإشارة بدلاً من ذلك إلى الحالات التي تكون فيها هذه الاختلافات أقل وضوحاً، ما من حاجة إلى تفسيرات معقدة جداً لأبسط الأمثلة، وأقلها لفتناً للانتباه على زلات اللسان، والقلم مثل حالات كبت كلمات معينة أو حذف الكلمات، والحروف؛ تشير وجهة نظر التحليل النفسي إلى أن الاضطراب ضمن هذه الحالات دل على وجود نية، لكن لا يوجد ما يفسر سبب الاضطراب أو نيته حيث لم تفعل أي شيء سوى إعلان وجودها، ضمن هذه الحالات يكون تشجيع الظروف للزلة قائم على العلاقات النفسية السليمة، والواضحة، الأمر الذي لم أجادل به قط، بالرغم من ذلك، يكون مناسب علمياً أن نطلب تحليل الزلات البسيطة للسان أو القلم بما يتلاءم مع الزلات الأكثر وضوحاً التي يمكن عند تحليلها الخروج باستنتاجات واضحة حول الأسباب الكامنة وراء الزلات ككل.

6) منذ تقديم ملاحظاتي على زلات اللسان، اكتفيت بإظهار وجود دوافع خفية وراء الزلات بمختلف أنواعها، وكنت أعمل على فهم هذه الدافع بمساعدة التحليل النفسي، لقد تركت جانباً حتى الآن الطبيعة العامة، وخصائص العوامل النفسية التي تظهر في الزلات، أو على الأقل لم أقم بعد بأي محاولة لتعريفها عن كثب، واختبارها بشكل منتظم، كما لن أبدأ دراسة شاملة لهذا الموضوع هنا لأن المراحل الأولية لأي دراسة من هذا النوع تُظهر سريعاً أفضلية دراستها من جانب آخر¹⁷¹، لكن يمكن طرح عدة أسئلة في هذه المرحلة فسأذكرها، وأقدم نبذة مختصرة عن مداها: (1) ما محتوى، وأصل تلك الأفكار، والعواطف التي تُظهر وجودها من خلال الزلات، والأفعال العرضية الدالة؟ (2) ما الظروف التي تُحفز فكرة أو عاطفة على استخدام هذه الحوادث كوسيلة للتعبير، وما الظروف التي تُمكن الفكرة أو العاطفة من ذلك؟ (3) هل يمكن تتبع الصلات الثابتة، والمؤكدّة بين طبيعة الزلة، وطبيعة ما تعبر عنه؟

• أبدأ بإجابة السؤال الأخير باستخدام المحتوى النفسي، عند مناقشة أمثلة زلات اللسان، وجدنا ضرورة التوجه لما هو وراء محتوى ما قصد المتحدث قوله، والبحث خارج تلك النية عن سبب اضطراب الكلام، كان هذا السبب واضحاً في عدد من الحالات، ومعروفاً لعقل المتحدث الواعي، ضمن أبسط الأمثلة، وأكثرها وضوحاً، كان اضطراب الكلام عبارة عن نسخة أخرى من الفكرة المعنية التي بدت متساوية في المكانة، ولكنها تعرضت للاضطراب في التعبير، بالرغم من عدم قدرة المرء على سبب كبت فكرة معينة، وظهور الأخرى («تلوث كلمة بأخرى» ميرينجر وماير)، ضمن مجموعة ثانية من الحالات، كان كبت مفهوم ما مدفوعاً بشيء ما لم يثبت قوته بما يكفي لإزالة هذا المفهوم تماماً؛ حيث ظل المفهوم المكبوت واضحاً (مثال: كلمة شوينرين - Schweinereien بدلاً من فورشين - Vorschwein) الشيء الوحيد الذي يمكن قوله دون تحفظ حول المجموعة الثالثة يتمثل بأن الفكرة التخريبية في تلك الحالات كانت مختلفة عن الفكرة المقصودة، وهنا يمكننا تمييز اختلاف أساسي، تكون الفكرة التخريبية إما مرتبطة بالفكرة التي تؤثر عليها عن طريق الأفكار المرتبطة بها (الاضطراب من خلال المقاومة الداخلية)، أو تكون مختلفة في طبيعتها فترتبط الكلمة التي تعرضت للتشويش بالفكرة اللاواعية التي تؤثر عليها من خلال ارتباط خارجي مقلق، ضمن

الأمثلة التي ذكرتها من تحليلي النفسي الخاص، يتأثر الخطاب بأكمله بالأفكار التي جرى تنشيطها في الوقت ذاته، ولكنها غير واعية تمامًا، وتكشف وجودها إما من خلال الاضطراب نفسه (مثال: الأفعى الجرسية - كليوباترا) أو من خلال ممارسة تأثير غير مباشر، مما يتيح لأجزاء مختلفة من الخطاب المقصود بالوعي أن تؤثر على بعضها البعض، تعود الأفكار المحجوبة أو اللاواعية التي تتسبب باضطراب الكلام إلى أصول مختلفة، لذا لا تكشف هذه الدراسة عن قاعدة عامة حول ميلها إلى أي اتجاه.

تؤدي الدراسة المقارنة للأمثلة أخطاء القراءة، وزلات القلم إلى ذات النتائج حيث يبدو أن الحالات الفردية تحدث نتيجةً لكبت فكرة ما دون أي دافع آخر كما هو الحال في زلات اللسان، بالرغم من ذلك، سيكون أمراً مشوقاً معرفة إن كان يجب تلبية شروط خاصة لحدوث هذا الكبت الذي يحدث بانتظام في الأحلام، ولكنه يبدو خاطئاً في ذهن الوعي في حالة الصحو، بينما لا تدل الأمثلة وحدها على أي شيء، ولا تقودنا إلى أي مكان، لن أستنتج عدم وجود شروط خاصة بخلاف عدم التركيز الواعي مثلاً لأنني أدرك من مصادر أخرى أن الأنشطة التي تجري تلقائياً تتميز بطبيعتها الصحيحة، والموثوقة، سأؤكد بدلاً من ذلك أن الأشخاص الأصحاء أو شبه الأصحاء أقل فائدة للبحث من الحالات المرضية كما هو الحال غالباً في علم الأحياء، أعتقد بأنه يُمكن تسليط الضوء على الأمور الغامضة في تفسير هذه الاضطرابات الطفيفة جداً من خلال توضيح الاضطرابات الأكثر حدة.

تتوفر أمثلة زلات القراءة، وزلات القلم بشكل كبير مما يُمكننا من تحديد الدوافع الأبعد، والأكثر تعقيداً، يمكن تفسير خطأ قراءة عبارة (في حوض حول أوروبا - Im Fass) بدلاً من العبارة الصحيحة (سيراً على الأقدام حول أوروبا - zu Fuss) بأنها ناتجة عن تأثير فكرة بعيدة، ومختلفة عن العبارة الحقيقية حيث نشأ التأثير عن مشاعر مكبوتة من الحسد والطموح، وعن استخدام «جسر» بين معنيين للكلمة الألمانية الترقية (بيفورديرونغ - Beförderung) كحلقة وصل ذات موضوع محايد، وغير ضار، أما في حالة (بوكر هارد) شكّل الاسم ذاته «جسر».

يبدو جلياً أن اضطرابات وظائف الكلام تنشأ بسهولة أكبر، وتحتاج متطلبات أقل من القوى التخريبية مقارنةً بظواهر نفسية أخرى، يصبح الأمر مختلفاً عندما نأتي لدراسة النسيان بالمعنى الحقيقي أي نسيان التجارب السابقة (يمكن التفريق بين هذا النسيان عن نسيان الأسماء، والكلمات الأجنبية كما هو موضح في القسمين الأول، والثاني بالمعنى الدقيق لكلمة «إغفال»)، ذلك أن الشروط الأساسية التي تؤثر على عملية النسيان العادية غير معروفة¹⁷²، كما يجب الأخذ بعين الاعتبار بأن ليس كل ما يعتقد المرء بأنه نسي قد نسي بالفعل، أنه ليس كل شيء يُعتقد أنه يُنسى في الواقع، يشير شرحي هنا فقط إلى تلك الحالات التي يتفاجأ فيها المرء بأنه نسي أمر ما لأن زلته تتعارض مع القاعدة القائلة بأن الذاكرة تنسى الأمور غير الهامة، وتحفظ بما هو مهم حقاً.

إن تحليل أمثلة النسيان التي يبدو أنها تتطلب شرحاً خاصاً يظهر دائماً أن الدافع وراء النسيان يتمثل برفض تذكر شيء من شأنه إثارة أحاسيس مؤلمة، يفترض المرء أن هذا الدافع يسعى للظهور بشكل عام في الحالة النفسية لكنه مُنع من الظهور بطريقة ما بشكل منتظم من قبل القوى العقلية الأخرى التي تعمل ضده، يبدو أن الدراسة النفسية الدقيقة لمدى، وأهمية النفور من تذكر الانطباعات المؤلمة أمراً مطلوباً حيث لا يمكن للمرء خارج هذا السياق الواسع أن يُحدد الظروف الخاصة التي تجعل هذا الشكل المرغوب من النسيان ممكناً بشكل عام في الحالات الفردية.

عند دراسة نسيان النوايا، يظهر عامل آخر في المقدمة، حيث يصبح الصراع الذي نتوقع تورطه في قمع الذكريات المؤلمة ملموساً ويكشف تحليل الأمثلة بانتظام عن قوة معارضة سلبية، ولكن لا يلغي النية، كما في الزلات التي ناقشناها سابقاً، يمكن مرة أخرى تحديد نوعين من العمليات النفسية حيث تهدف الإرادة المضادة السلبية إلى: (1) التوجه بشكل مباشر نحو النية (عندما تكون ذات أهمية معينة)، (2) أو أن تكون مختلفة عن النية، وتصنع رابط من خلال بعض الارتباطات الخارجية (في نوايا غير هامة نسبياً) يسيطر الصراع ذاته على ظاهرة الأفعال غير المقصودة حيث يكون الدافع الذي يظهر في اختلال الفعل بمثابة دافع مضاد، ولكنه في كثير من الأحيان دافعاً غريباً تماماً يظهر من خلال الإخلال بتنفيذ الفعل، تكون الحالات التي يحدث فيها الاضطراب عبر بعض التناقضات الداخلية أكثر أهمية، وتؤثر على إجراءات أكثر أهمية، يكون الصراع الداخلي أقل أهمية في الأفعال

العرضية الدالة، لا يفكر العقل الواعي كثيرًا في هذه التعبيرات الحركية أو يتجاهلها تمامًا حيث تعمل على التعبير عن أنواع كثيرة من المشاعر اللاواعية أو المكبوتة، وتميل عمومًا إلى أن تكون رمزية للتخيلات أو الرغبات.

• أما بالنسبة للسؤال الأول من أسئلتني حول أصل الأفكار، والعواطف التي تظهر في الزلات، يمكن القول بأنه في عدد كبير من الحالات يظهر أن الأفكار التخريبية تنشأ من المشاعر المكبوتة في الحالة النفسية، تقع المشاعر، والدوافع الأنانية، والعدائية، والمتعلقة بالغيرة لدى الأشخاص العاديين تحت الضغط الشديد للتعاليم الأخلاقية، لذا تستخدم هذه المشاعر، والدوافع الزلات لإيجاد طريقة ما للتعبير عن قوتها، وهي قوى حاضرة بلا شك، ولكن غير معترف بها من سلطة الضمير في الذهن، إن السماح بحدوث هذه الزلات، والأفعال العرضية يعكس إلى حد كبير تسامحًا مفيدًا إلى حد ما مع حالة لأخلاقية، يبرز ضمن هذه المشاعر المكبوتة العديد من التيارات الجنسية مختلفة الأنواع، وقد وجدنا هنا بسبب طبيعة المحتوى عدد قليل من هذه المشاعر بين الأفكار التي كشف عنها التحليل في أمثلي، بما أن الحالات التي حللتها مأخوذة أساسًا من حالتي النفسية الخاصة، يبدو جلياً أن اختياري للمحتوى متحيزًا منذ البداية، ويستبعد الأمور الجنسية في أغلب الأحوال، تبدو الأمور، والاعتبارات البريئة تمامًا في مناسبات أخرى أصل الأفكار التخريبية.

• بالحديث عن السؤال الثاني حول الظروف النفسية التي تفسر بحث الفكرة عن وسيلة للتعبير ليس تعبيراً كاملاً، وإنما بما يمكن تسميته بالشكل الطفيلي حيث يجري ذلك من خلال تعديل، وعرقلة فكرة أخرى، تشير الأمثلة الأكثر وضوحاً على الزلات إلى وجوب البحث عن هذه الظروف فيما يتعلق بقدرتها على الدخول إلى العقل الواعي - بشكلها المكبوت إلى حد ما، بالرغم من ذلك، يساهم اتباع هذه الفكرة من خلال سلسلة الأمثلة في حل هذا الشكل المكبوت في إشارات غامضة بشكل متزايد، يبدو أن الميل لتجاهل شيء ما باعتباره مضيعة للوقت - تقييم فكرة على أنها غير مرتبطة بموضوع معين - يُحفز كبت فكرة ما ستلجأ فيما بعد إلى الظهور عن طريق تعطيل فكرة أخرى، وتلعب نفس دور الإدانة الأخلاقية لمشاعر غير لائقة أو كاشتقاق من تيارات الفكر اللاواعية، لا يمكننا الحصول

على معرفة دقيقة حول الطبيعة العامة للعوامل التي تحدد الزلازل، والأفعال العرضية الدالة بهذه الطريقة، تخرج هذه الدراسات بحقيقة هامة واحدة: كلما كان الدافع وراء الزلّة بسيطاً، وكانت الفكرة التي عبرت عنها الزلّة أقلّ هجوماً وبالتالي أقلّ صعوبة للوصول إلى العقل الواعي، كلما كان شرح الظاهرة أسهل بمجرد الإشارة إليها، وتسلّط الضوء عليها؛ يمكن ملاحظة أبسط حالات زلازل اللسان على الفور، وتصحيحها تلقائياً، يستدعي الدافع المتمثل بالأفكار المكبوتة إيجاد حل عن طريق التحليل الدقيق الذي قد يواجه صعوبات معينة أو يفشل في بعض الأحيان.

يبدو مُبرراً إذن أن نجد نتائج التحقيق الأخير تُشير إلى إمكانية إيجاد تفسير مُقنع للظروف النفسية المصاحبة لحدوث الزلازل، والأفعال العرضية الدالة من خلال التعامل مع الأمر من وجهة نظر مختلفة، ومسار آخر، لذا، قد يرى القارئ في هذه الملاحظات أدلة على بعض الجوانب حيث تمت إزالة الموضوع بشكل تعسفي من سياق أوسع.

7) يجب أن أختتم بكلمات قليلة توضح الطريق نحو هذا السياق الواسع، تتفق آلية الزلازل، والأفعال العرضية الدالة في أساسياتها كما رأينا من خلال التحليل مع آلية تكوين الأحلام كما درستها في القسم الخاص بـ «تشكيل الأحلام» في كتابي حول تفسير الأحلام، تحدثت عمليات الضغط، والتشكيلات الوسطية (تلوث) في كلتا الظاهرتين؛ يكون الوضع مشابه حيث تعبر الأفكار اللاواعية عن نفسها بطرق غير عادية من خلال الارتباطات الخارجية كتعديل الأفكار الأخرى، تحدث التناقضات، والأخطاء، والأمور اللامنتطقية في محتوى الأحلام التي منعت إلى حد كبير اعتبارها نتائج عمليات نفسية بنفس الطريقة التي حدث فيها الزلازل في الحياة اليومية، ولكن باستخدام أكثر حرية للوسائل المتاحة؛ حيث يظهر في كليهما مهمّة غير صحيحة عن طريق التداخل الغريب لعمليتين أو أكثر تؤديان المهام بشكل صحيح؛ قد نستخلص استنتاجاً هاماً من هذه الحالة الطارئة: إن العملية التي تعمل بشكل غريب، وتظهر نتائجها بشكل مذهل في محتوى الحلم، لا يمكن استنتاجها من حقيقة أن الحالة النفسية للحالم نائمة في ذلك الوقت بما أن الزلازل توفّر الكثير من الأدلة على أنها تعمل في حالة اليقظة، يمنعنا السياق ذاته من رؤية التفكك الواسع للنشاط العقلي في حالة مرضية تُمثّل شرط لهذه العمليات النفسية التي تبدو لنا غير طبيعية، وغريبة¹⁷³.

لا يمكن إجراء تقييم صحيح للأنشطة النفسية الغريبة التي تسمح بحدوث الزلازل، والأحلام إلا بعد إدراك أن الأعراض النفسية، والعصابية، وخاصة الأشكال النفسية للهستيريا، والعصاب القهري تُظهر جميع السمات الأساسية الخاصة بآلية عملها، يمكن لتحليلاتنا أن تستمر من هذه النقطة. أعتقد بأن دراسة الزلازل، والأفعال العرضية الدالة في ضوء هذا التشبيه الأخير ستكون أمراً مثيراً للاهتمام، فإذا قارناها مع عمليات الاضطرابات النفسية أي الأعراض العصابية سنجد قدر كبير من المعنى، والدعم للدعاءات القائلة بأن الحد الفاصل بين الحالة العصبية الطبيعية، وغير الطبيعية عبارة عن خط مرّن، وأننا جميعاً عصائون بدرجة ما.

لا يحتاج المرء إلى خبرة طبية ليتذكّر أنواع مختلفة من العصاب التي يُشار إليها كأشكال عصابية: نجد ذلك في الحالات التي تعاني من أعراض قليلة أو تظهر نادراً أو لا تظهر بشكل عنيف، ويُعبر عن تناقصها في عدد الظواهر المرضية، وشدتها، وتكرار حدوثها، إلا أن المرء قد لا يُخمن أي نوع من الحالات يعكس في أغلب الأحيان الانتقال بين الصحة، والمرض، يمكن ملاحظة النوع المعني حيث تُعبر الزلازل، والأفعال العرضية الدالة عن علامات المرض في انتقال أعراضه إلى الإجراءات النفسية الأقل أهمية بينما تظل الأمور القيّمة نفسياً بعيدة عن الاضطراب، إن التكيف العكسي للأعراض عند ظهورها في الوظائف الأكثر أهمية لكل من الأفراد، والمجتمع وعرقلة المهام الأساسية كالأكل، والشرب، والاتصال الجنسي، والعمل المهني، والحياة الاجتماعية يحدث في حالات العصاب الشديدة، وهذا ما يميزها أكثر من تنوع أو حدة علامات المرض.

إن السمة المشتركة بين الحالات الأكثر اعتدالاً، والأكثر شدة، وتظهر من خلال الزلازل، والأفعال العرضية الدالة تكمن في حقيقة إمكانية إرجاع الظواهر إلى مادة نفسية مكبوتة بشكل غير كامل، والتي بالرغم من إزاحتها من العقل الواعي لا تفقد قدرتها على الظهور بشكل كامل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞
(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)
∞ ∞ ∞ ∞ ∞



لينك الانضمام الى الجروب - Group Link

لينك القتاة - Link

الفهرس..

عن الكتاب..

الفصل الأول: نسيان الأسماء

الفصل الثاني: نسيان الكلمات الأجنبية

الفصل الثالث: نسيان الأسماء، وتسلسل الكلمات

الفصل الرابع: ذكريات الطفولة والذكريات الحاجبة

الفصل الخامس: زلات اللسان

الفصل السادس: زلات القراءة وزلات القلم

الفصل السابع: نسيان الانطباعات، والنوايا

الفصل الثامن: الأفعال غير المقصودة

الفصل التاسع: الأفعال العرضية الدالة

الفصل العاشر: ارتكاب الأخطاء

الفصل الحادي عشر: زلات مُركبة

الفصل الثاني عشر: الحتمية - الإيمان بالصدفة والخرافات - بعض وجهات النظر

الفهرس..

Notes

[←1]

تشير الأشياء الأربعة الأخيرة (Four Last Things) في الديانة المسيحية إلى الموت، والحساب، والجنة، والجحيم، وهي المراحل الأربع الأخيرة للروح في الحياة، والحياة الآخرة. (المترجم)

[←2]

إشارة إلى قصة ديدو وأينياس حيث وقعت ديدو في حب أينياس بعد قدومه إلى إفريقيا، ويعزو فيرجيل انتحارها إلى تخليه عنها بأمر من جوبيتر. (المترجم)

[←3]

يُمثل ذلك الطريقة المعتادة لجلب الأفكار الخفية إلى العقل الواعي. أنظر كتاب تفسير الأحلام - Interpretation of Dreams لسيغموند فرويد (الطبعة الثامنة، ص 71)

[←4]

أثار هذا التحليل البسيط اهتمامًا واسعاً في الأبحاث العلمية حول هذا الموضوع، مما أدى إلى ظهور نقاش حيوي. لقد حاول بليور الإشارة إلى المصادقية الواجب إضافتها على تفسير التحليل النفسي في المصطلحات الرياضية باستخدام هذا المثال بالذات وخلص إلى أن لهذا التفسير درجة احتمالية أكبر من آلاف «النتائج الطبية»، المتفق عليها التي تحتل هذه المكانة المختلفة فقط لأننا لم نعتد بعد على أخذ الاحتمالات النفسية بعين الاعتبار في العلم. (كتاب التفكير غير المنضبط للتوحد في الطب والتغلب عليه - Autistically Undisciplined Thinking in Medicine and Overcoming It برلين، 1919).

يؤدي التدقيق الإضافي إلى تقليل الاختلاف بين الذكريات البديلة في تحليل مثال (سينوريلى - Signorelli) ومثال (اليكوس - aliquis) حيث يبدو أن النسيان في الحالتين كان مصحوباً بتكوين بديل. عندما سألت مُحاورى فيما بعد عما إذا كان هناك أي بديل خطر بباله أثناء جهوده لتذكر الكلمة المفقودة، فأخبرني أنه في البداية كان يميل إلى إضافة حرفي (ab أي من) إلى العبارة لتصبح: (nostris ab ossibus) أي من عظامنا - قد يكون ذلك مشتق من الجزء المنفصل (أ - a) و (اليكوس - liquis) - ومن ثم ظهرت كلمة (Exoriare) إلى ذهنه بوضوح ومثابرة. أضاف بطريقة متكررة بأن ذلك واضحاً لأنها كانت الكلمة الأولى في السطر، ولكن عندما طلبت منه التفكير في ارتباطات كلمة (Exoriare) أعطاني كلمة (Exorcism) أي طرد الأرواح الشريرة). أستطيع أن أتخيل أن التركيز على كلمة (Exoriare) في سرده للعبارة يمثل قوة تشكيل البديل الذي كان سيحدث من خلال ارتباط طرد الأرواح الشريرة (Exorcism) بأسماء القديسين، إلا أن هذه تفاصيل لا يحتاج المرء إلى الإسهاب فيها. يُصر بأول ويلسون Paul Wilson في مقاله (الواضح غير المحسوس، Bevista de Psiquitria، يناير، 1922) على أن التركيز المضاف إلى كلمة (Exoriare) مفيد جداً حيث يمكن لكلمة (Exorcism) أي طرد الأرواح الشريرة) أن تمثل أفضل بديل رمزي للفكرة المكبوتة المتمثلة في الإجهاض للتخلص من الطفل غير المرغوب فيه. تجدر الإشارة إلى أنني سعيد بقبول هذا التصحيح الذي لا يبطل قوة التحليل. يبدو أن ظهور نوع من الذاكرة البديلة عند النسيان أمر ثابت وقد تشكل سمة مميزة تكشف عن حالة النسيان المغرض الذي ينشأ بدافع من كبت الأفكار. قد تحدث عملية تكوين البديل أيضاً في حالة عدم ظهور أسماء بديلة غير صحيحة من خلال التركيز على عنصر ما وثيق الصلة بالموضوع المنسي، ففي حالة نسيان (سينوريلى - Signorelli) على سبيل المثال، نسيت اسم الفنان الذي رسم اللوحة بينما كانت ذاكرتي البصرية للوحات الجدارية وصورته الذاتية في زاوية إحدى الصور واضحة جداً أو على الأقل أكثر كثافة بكثير من آثار الذاكرة البصرية عادةً. ذكرت في مقالتي عام 1898 حالة أخرى حيث نسيتُ تمامًا اسم الشارع في عنوان في مدينة غريبة لم أكن أرغب كثيراً في زيارتها، ولكن تبادر لذهني رقم المنزل بأقصى درجات الوضوح كما لو أنه يسخر مني، بالرغم من أنني أجد صعوبة كبيرة في تذكر الأرقام عادةً.

[6←]

لا أود القول بأنني مقتنع تمامًا بعدم وجود رابطة داخلية بين سلسلتي الأفكار في حالة نسيان (سينوريلي - Signorelli) حيث تؤدي الدراسة الدقيقة لأفكاري المكبوتة حول موضوع الموت والجنس إلى إنتاج فكرة قريبة من موضوع لوحات أورفيتو الجدارية.

[←7]

لقد أحدث زميلي تغيير طفيف في صياغة، وتطبيق هذا المقطع الرائع في القصيدة حيث تقول
الفتاة الشبحية لعريسها: لقد أعطيتك قلادتي؛
وسأخذ خصلة شعرك.
أنظر إليها عن كثب،
فغداً سيصبح شعرك رمادياً
وسيبقى بنياً في هذه الخصلة فقط.

[←8]

سيكولوجيا الخرف المبستر - The Psychology of Dementia Praecox، كارل يونغ،
1907، ص. 64

[←9]

الإشارة هنا إلى الكلمة الإنجليزية (نيرفز - nerves) والتي تعني الأعصاب. (المترجم)

[←10]

الإشارة هنا إلى العبارة الإنجليزية (روز هوم - Rose Home) والتي تعني منزل روزا حيث
تُشبه لفظ أسم المحطة (روزنهايم - Rosenheim). (المترجم)

[←11]

سيكولوجيا الخرف المبكر - The Psychology of Dementia Praecox، ص. 52

[←12]

المجلة المركزية للتحليل النفسي، العدد الأول، 9، 1911.

المجلة الدولية للتحليل النفسي، العدد الأول، 1913.

المجلة الدولية للتحليل النفسي، العدد الثاني، 1914.

[15←]

الإشارة هنا إلى ما يُسمى بالإنجليزية (boarding house) ويكون عبارة عن منزل يستأجر فيه النزيل غرفة واحدة أو أكثر كل ليلة ولفترات طويلة أحياناً حيث يتشارك جميع النزلاء بالأجزاء المشتركة من المنزل أي المطبخ والمرافق وقد يتوفر فيه بعض الخدمات مثل غسل الملابس والتنظيف. (المترجم)

[←16]

الطبعة الهولندية لهذا الكتاب بعنوان تأثير اللاوعي في حياتنا اليومية - The Influence of Our Unconscious on Our Daily Life، أمستردام 1916/ نشرته بالألمانية المجلة الدولية للتحليل النفسي، العدد الرابع، 1916.

[←17]

مقال تحليل حالة نسيان - Analysis of a Case of Forgetfulness، المجلة المركزية
للتحليل النفسي، العدد الثاني، 1911

[←18]

ذُهان ربة المنزل: حالة نفسية تعوض فيها الزوجة عن إحباطها في حياتها الزوجية وعدم توافقها العاطفي والنفسي مع زوجها بالإفراط في الاهتمام بالأعمال المنزلية. (المترجم)

[←19]

مقال بعنوان «حول النسيان الجماعي - On Collective Forgetfulness»، المجلة الدولية
للتحليل النفسي العدد السادس، 1920. أيضًا في مقال بعنوان «الإله الخاص بنا وإله الآخرين -
Our Own God and the God of Others»، 1923.

[←20]

مقال «تساؤلات حول الطفولة المبكرة - An Inquiry into Early Childhood - Memories»، المجلة النفسية السنوية، العدد الثالث، 1897.

[←21]

مقال «دراسة الذكريات المبكرة - Study of Early Memories»، مراجعة نفسية، 1901.

[←22]

أصرح بذلك بناءً على العديد من الاستفسارات التي أجريتها.

سيفهم أي شخص مهتم بالعمليات العقلية للطفولة لطلبي العميق لأخي الأكبر، لقد أدركت في سن الثالثة أن شقيقتي المولودة حديثاً نمت في رحم والدتي، ولم أكن مسروراً على الإطلاق بالمولود الجديد فاشتبهت بشكل كئيب أن جسد أمي قد يأوي المزيد من الأطفال، ترمز خزانة الملابس إلى رحم الأم بالنسبة لي؛ لذا طلبت أن أرى ما بداخل الخزانة ولهذه الغاية تقدمت بهذا الطلب إلى أخي الأكبر، تُظهر محتويات نفسية أخرى أن الشقيق الأكبر قد يحل محل الأب كمنافس للصبي الصغير، وبصرف النظر عن شكوكي الراسخة بأن هذا الشقيق كان مسؤولاً عن وضع المربية الغائبة في السجن، كنت أخشى أنه بطريقة ما زرع الطفل حديث الولادة في جسد والدتي، إن إحساسي بخيبة الأمل حين ثبت أن خزانة الملابس فارغة نشأ نتيجة للدافع السطحي لطلبي الطفولي وكان إحساس في غير محله فيما يتعلق بمستوى شعوري الأعمق، لكن لا يمكن فهم ارتياحي الكبير لرؤية شخصية والدتي النحيلة عند عودتها تمامًا إلا على هذا المستوى الأعمق.

[←24]

زلات اللسان وزلات القراءة - Slips of the Tongue and Slips in Reading ، عام
1895.

[←26]

المرجع السابق، ص 160

[←27]

المرجع السابق، ص 162

[←31]

المرجع السابق، ص. 97

تفسير الأحلام، لايبزيغ وفيينا 1900، الطبعة الثامنة، 1930.

[←33]

الصحافة الحرة الجديدة بتاريخ 23 أغسطس 1900: تحت عنوان «كيف تحدث زلات اللسان
«How slips of the tongue occur -

[←34]

علم النفس الشعبي - Völkerpsychologie ، المجلد الأول، الجزء الأول، ص 371 وما يليها، 1900.

[←35]

المرجع السابق، ص. 380 - 381

[36←]

كما اتضح فيما بعد، لقد تأثرت المريضة بالأفكار اللاواعية حول الحمل ومنع الحمل. عندما قالت «أنا أنطوي مثل مشرط» مستخدمةً هذا التعبير بوعي كشكوى قصدت وصف وضع الجنين في رحم الأم. لقد ذكرتها كلمة (إرنست) في تحيتي لها باسم (إس إرنست) لشركة فيينا الشهيرة التي لها مقر في شارع كارنتنر وكانت تُستخدم للإعلان عن وسائل منع الحمل.

[←37]

كلمة ليس لها معنى دُمجت فيها كلمتي (أن ارافقك - begleiten) وكلمة (يُهين - beleidigen) . (المترجم)

[←38]

الأمثلة من (14 إلى 21) مقتبسة من المقال (اعترافات اللاوعي - Unconscious Confessions).

[←40]

راجع التصنيفات في الصفحة الأولى من هذا الفصل.

[←42]

حياة النساء اللطيفات الشجاعات - Lives of Fair and Gallant Ladies، المجلد الثاني،
1614-1527

[←43]

انظر الصفحة الأولى من هذا الفصل.

استمر أحد مرضاي في التعرض لزلّة لسان تُشير إلى أعراض معينة حتى وجدنا أنها مشتقة من نكتة الطفولة التي تستخدم كلمة (يورينين - urinieren) أي التبول بدلاً من كلمة (روينيرن - ruinieren) أي التخريب. يمكن ربط ملاحظات أبراهام حول زلة اللسان «الميل إلى المبالغة في التعويض» (المجلة الدولية للتحليل النفسي، العدد الثامن، 1922) بإغراء الاستخدام الحر للكلمات غير اللائقة والمحظورة من خلال وسائل مصطنعة متمثلة بزلّة اللسان. تميل امرأة مريضة إلى التأناة قليلاً وبالتالي تُكرر المقطع الأول لأسماء العلم فنطقت اسم (بروتاغوراس - Protagoras) على أنه (بروتراغوراس - Protragoras)، وقالت قبل ذلك بقليل (ألكسندروس - Aalexandros) بدلاً من (ألكسندروس - Alexandros). بعد السؤال تبين أنها في طفولتها كانت مولعة بالخدعة الشريرة المتمثلة في تكرار المقاطع الأولية «أيه - a/بو - PO» (لها الصدى الصوتي نفسه لكلمات الحضانة لـ «البراز - faeces» و «الخلف - behind») وهي لعبة يُعرف أنها تحت الأطفال على التلعثم. لقد شعرت بأنها قد لا تلفظ حرف الـ (r) في المقطع الأول من اسم (بروتاغوراس - Protagoras)، لذا تشبّثت بحرف الـ (r) وإضافت مقطع آخر في المقطع الثاني. فعلت الأمر ذاته في مناسبات أخرى، فشوهت كلمتي (بارتير - parterre أي الطابق الأرضي) وكلمة (كوندولينز - Kondolenz أي تعزية) لتجنب الكلمات المرتبطة بهما في ذهنها (باتر - pater أي الوالد / كوندوم - Kondom أي الواقي الذكري). أعترف مريض آخر أبراهام بميله لقول كلمة (أنجورا - angora) بدلاً من كلمة (أنجاينا - angina أي الذبحة الصدرية) في كل مناسبة، لا بد أنه كان يخشى أن يميل إلى استبدال كلمة أنجاينا - angina بكلمة فاجاينا - vagina أي المهبل. إذن تحدث زلات اللسان نتيجةً لسيادة حالة الميل إلى قمع الكلمات أكثر من أنها حال الميل إلى التشويه، ويشير أبراهام بشكل صحيح إلى التشابه بين هذا الإجراء وتطور الأعراض في العصاب القهري

[←45]

انظر الصفحة الأولى من هذا الفصل.

[←46]

المرجع السابق لميرينجر وماير، ص. 50

[←47]

المرجع السابق لميرينجر وماير، ص. 38

المرجع السابق لميرينجر وماير، ص. 28

تشير ملاحظة أخرى إلى ميل الأرستقراطيين بشكل خاص إلى تشويه أسماء الأطباء الذين استشاروهم ونسنتج أنهم لا يحترمونهم بالرغم من أسلوبهم اللطيف المعتاد تجاه هؤلاء الأطباء. سأقتبس هنا بعض الملاحظات حول نسيان الأسماء من مناقشة الدكتور إدوارد جونز لهذا الموضوع باللغة الإنجليزية حيث كان في ذلك الوقت في تورنتو («علم النفس المرضي للحياة اليومية»، المجلة الأمريكية لعلم النفس، أكتوبر، 1911):

«يمكن قلة من الناس تجنب الشعور بالاستياء حين ينسى شخص ما أسمهم خاصةً إن كانوا يأملون أو يتوقعون من هذا الشخص أن يتذكرهم حيث يُدركون غريزيًا أنهم لو تركوا انطباعًا أعمق في ذهن الشخص لكان بالتأكيد سيتذكرهم لأن الاسم جزء لا يتجزأ من الشخصية، وعلى نحو مماثل، فإن ما من شيء أكثر إرضاءً للناس من أن يجدوا شخصية رائعة تخاطبهم باسمهم حيث لم يتوقعوا ذلك من قبل. لقد كان نابليون كمعظم القادة بارعًا في هذا الفن، وقدم دليلًا على ذاكرته الخارقة ضمن هذا المجال في خضم حملة فرنسا الكارثية عام 1814 حيث تذكر حين كان في بلدة بالقرب من كرون بأنه التقى بالعمدة دي بوسي منذ أكثر من عشرين عامًا في فوج لافير، مما جعل العمدة دي بوسي المبتهج أن يضع نفسه فوراً تحت خدمة نابليون بحماس غير اعتيادي. بالمقابل، ما من طريقة أكثر تأكيداً للإهانة من التظاهر بنسيان اسم شخص معين مما يوحي له بأنه غير مهم بالنسبة للمتحدث لدرجة أنه لم يكلف نفسه عناء تذكر اسمه وغالبًا ما تُستخدم هذه الطريقة في الأدب. ترد العبارة الآتية في رواية دخان للكاتب إيفان تورجينيف: «إذن، ما زلت تجد بادن مسلية، سيد ليتفينوف - Litvinov»، كان راتميروف ينطق اسم ليتفينوف بتردد في كل مرة كما لو أنه نسيه ولم يستطع تذكره على الفور حتى يُهين كبريائه بنسيان اسمه وبطريقة تحيته بقبعة. لقد كتب نفس الكاتب في كتابه «آباء وأبناء»: «دعا الحاكم كل من السيد كيرسانوف والسيد بازاروف إلى حفلته، ثم في غضون دقائق ناداهما مرة أخرى كيساروف معتبرهم إخوة»، إن نسيانه لحديثه معهما والخطأ في أسمائهما وعدم القدرة على التمييز بين الشابين تُشكل ذروة الاستخفاف بهما. يشير ارتكاب الخطأ في الاسم هنا إلى الأهمية نفسها التي يشير إليها نسيان الاسم؛ إنها مجرد خطوة نحو النسيان الكامل للاسم.

[←50]

لقد استخدم الكاتب المسرحي أنزنجروبر زلات اللسان هذه لوصف صائد الإرث المنافق في مسرحيته دودة الضمير - The Worm of Conscience.

نُسب خطأ إلى إدوارد جونز في المجلة المركزية للتحليل النفسي

[←52]

وفقاً للقوانين الأمريكية، لا يُمنح الطلاق إلا بوجود دليل على ارتكاب أحد الزوجين للزنا ولا يُمنح الطلاق إلا للطرف البريء»

[←54]

المرجع السابق

المصطلح الألماني والهولندي التاريخي للعملة الذهبية

[←58]

مثال على الاستخدام الأدبي لزلّة اللسان»، المجلة المركزية للتحليل النفسي، العدد الأول، 10.

[←59]

يوجد المزيد من الأمثلة أخرى على زلات اللسان التي قصدها الكاتب لتفصح الشخصية أسرارها في مسرحية ريتشارد الثاني لشكسبير (الفصل الثاني، المشهد 2) ومسرحية دون كارلوس لشييلر (الفصل الثاني، المشهد 8، زلة لسان الأميرة إبولي). لن يكون هناك أي صعوبة في تجميع قائمة أكثر شمولاً بهذه الأمثلة.

[←60]

ما نتخيله بشكل جيد، نتحدث عنه بوضوح وتخرج الكلمات التي تعبر عنه بسهولة» فن الشعر،
بويلو

[←61]

مساهمة في علم النفس المرضي للحياة اليومية، العلاج النفسي، المجلد الثالث، رقم 1، 1909

المجلة الدولية للتحليل النفسي، العدد الأول، 1913.

[←64]

الطبعة الثامنة، ص. 170.

[←65]

العاطفة، الإيحاء، جنون الارتياب - Affectivity, Suggestibility, Paranoia، عام
1906، ص. 121

[←67]

تقارير اجتماعات فيينا، 1867، المجلد. 70، ص 101 وما يليها.

[←69]

دبليو هيمن، قصائد الحرب ورسائل من الجبهة، ص 11: إلى الذاهبون إلى الحرب.

[←71]

المرجع السابق

[←72]

المرجع السابق

انظر الفقرة الآتية في مسرحية يوليوس، الفصل الثالث، المشهد الثالث، كمثال:
سينا: الحق أن اسمي سينا.
مواطن: مزقوه إربًا إربًا؛ إنه متآمر.
سينا: أنا سينا الشاعر، لستُ سينا المتآمر.
مواطن: لا يهم، حسينا أن اسمك سينا، انتزعوا اسمه من قلبه ثم أطلقوه وشأنه.

[←75]

استخدمت هذا الحلم كنموذج في ورقة بحثية قصيرة تحت عنوان «حول الأحلام» (المشاكل الحدية في الحياة العصبية والعقلية، العدد الثامن، لوينفيلد وكوريلا، 1901، المجلد الثالث، الأعمال الكاملة).

[←76]

تعني «دون غضب» (من كولر).

[←77]

الكحول الإيثيلي.

[←79]

طبقة الخلايا العلوية من جلد الحيوان والبشر وأنسجة الغشاء المخاطي (المترجم)

ذكر المثال في المجلة المركزية للتحليل النفسي العدد الأول، 12

[←82]

ضمن مجالات علم النفس والطب النفسي وعلم أمراض النطق واللغة، يشير هذا المصطلح (Perseverations) إلى تكرار استجابة معينة (مثل كلمة أو عبارة أو إيماءة) بغض النظر عن غياب أو توقف الدافع وغالباً ما يحدث ذلك بسبب إصابة في الدماغ أو اضطراب عضوي آخر. (المترجم)

[←83]

كتاب تفسير الأحلام، الطبعة السابعة، الأعمال الكاملة، العدد الثاني والثالث، فصل عمل الأحلام.

ذكر ذلك في المجلة الدولية للتحليل النفسي، العدد الثامن، 1922

[←86]

يشير الموضوع هنا إلى طباعة كتاب فونتان الذي نشره يوليوس سبرينغر عام 1860،
ما وراء تويد، صور ورسائل من إسكتلندا - Beyond the Tweed, Pictures and
Letters from Scotland

[←87]

المرجع السابق، ص 374

[←88]

أود اقتراح تفسيرات مماثلة للعديد من الحوادث العرضية التي تُنسب إلى «موضوع الكره» منذ أن كتب ثيودور فيشر عنها.

إن سألت شخصاً ما حول تعرضه لعدوى الزهري منذ عشرة أو خمسة عشر عاماً، سيكون من السهل نسيان أنه سيفكر في هذا المرض من الناحية النفسية بطريقة مختلفة تماماً عن تفكيره فيما لو سألته عن التهاب المفاصل الحاد على سبيل المثال، ضمن التاريخ المرضي الذي يقدمه أولياء الأمور لبناتهم المصابات بالعصاب، يصعب التمييز على وجه اليقين بين ما ينسوه، وما يخفونه حيث يلغى تلقائياً كل ما قد يقف في طريق زواج الفتاة لاحقاً أي يُكبت من قبل كلا الوالدين، أخبرني رجل توفيت زوجته الحبيبة مؤخراً بسبب عدوى رئوية نتيجةً لمعلومات طبية مضللة تُعزى إلى هذا النوع من النسيان «عندما لم تتحسن حالة التهاب الجنبية (أي البطانة المحيطة بالرئة - المترجم) لدى زوجتي المسكينة بعد عدة أسابيع، طلبنا الدكتور س. للاستشارة، وأثناء تدوينه لتاريخ الحالة طرح الأسئلة المعتادة من بينها سؤال عما إذا كان أي شخص آخر في عائلة زوجتي قد عانى من اضطرابات رئوية، فأجابت زوجتي: «لا، لا أتذكر أي شيء من هذا القبيل» عندما غادر الدكتور تحولت المحادثة بالصدفة إلى الرحلات خارج المدينة، فقالت زوجتي: «نعم، هذا طريق طويل إلى لانجرسدورف حيث دفن أخي المسكين»، لقد توفي هذا الأخ قبل حوالي خمسة عشر عاماً بعد إصابته بمرض السل لعدة سنوات، وكانت زوجتي تحبه كثيراً، وغالباً ما تتحدث عنه أمامي، خطر لي حينها أنها شعرت بالقلق عندما شخصت بالتهاب الجنبية، وفكرت بحزن: «لقد توفي أخي بسبب مشاكل في الرئة أيضاً»، لكنها قمعت هذه الذكرى لدرجة أنها بعد ما قالت له للتو عن الرحلات الاستكشافية إلى لانجرسدورف لم تُفكر بأي سبب يجعلها تُصحح ما أخبرت الطبيب به عن التاريخ الطبي لعائلتها، لقد لاحظت بنفسى عدم تذكرها ذلك في اللحظة التي ذكرت فيها لانجرسدورف.

يصف إدوارد جونز تجربة مماثلة في عمله سبق أن ذكرها عدة مرات أعلاه، كان هناك طبيب تعاني زوجته من اضطراب في أسفل البطن ولم يجدوا أي تشخيص لها، فقال يحاول تهدئتها: «من الجيد أنه لا توجد حالات مرض السل في أسرتك»، فأجابت الزوجة متفاجأة: «هل نسيت أن والدتي ماتت بمرض السل، ولم تتعاف أختي من المرض حتى تخلص منها الأطباء؟»

تعرّضت في الوقت الذي كنت أكتب فيه هذه الصفحات من حالة نسيان لا تُصدق: بتاريخ 1 كانون الثاني (يناير)، كنتُ أبحث في سجلاتي الطبية لأتمكن من إرسال فواتير أتعابي، ووصلت لاسم السيد ميم. لشهر يونيو، ولم أستطع تذكر أي شخص بهذا الاسم، تزايدت دهشتي عندما لاحظت في سجلاتي أنني عالجت هذه الحالة في مصحة، وقد زرتها يومياً لأسابيع، ولا يمكن أن ينسى الطبيب حالة عالجها بمثل هذه الظروف بعد ستة أشهر فقط، تساءلت، هل كان المريض عادي غير مثير للانتباه، ومصاباً بالشلل؟ أعادت إلى ذهني ملاحظة تلقيتها حول تسديد رسومي كل الحقائق التي كانت تهرب من ذاكرتي، كانت الحالة ميم. فتاة في الرابعة عشرة من عمرها، وتعد الحالة الأكثر روعة التي عالجتها في العام السابق وعلمتني شيئاً لن أنساه على الإطلاق فقد كانت نتيجته مؤلمة جداً بالنسبة لي. شعرت هذه الفتاة بأعراض الهستيريا بلا شك، وتحسنت بسرعة تحت علاجي بشكل جذري، لكن بعد هذا التحسن سحبها والدها من رعايتي، لقد كانت لا تزال تشكو من آلام في البطن ظهرت بشكل بارز كعرض من أعراض الهستيريا، وتوفيت بعد شهرين بسبب سرطان الغدد البطنية، لقد نتجت أعراض الهستيريا لدى الفتاة عن تكوّن الورم، وربما أغفلت العلامات الأولى لتطوّر المرض غير القابل للشفاء لتفكيري بالأعراض الهستيرية الواضحة.

جمع إيه بيك مؤخرًا أوراق بحثية كتبها سلسلة من المؤلفين في كتاب (سيكولوجية النسيان لدى المرضى النفسيين والمصابين بالعصاب، أرشيف الأنثروبولوجيا الإجرامية، وعلم الإجرام بقلم هانس جروس) حول تأثير العوامل العاطفية على الذاكرة حيث يؤكد بشكل أو بآخر تأثير مقاومة الأفكار المؤلمة للذاكرة، لم يصف أي منا هذه الظاهرة، وأساسها النفسي بشكل شامل، ومثير للإعجاب مثل نيتشه في أحد أقواله (ما وراء الخير والشر، الجزء الثاني، 68): «تقول ذاكرتي أنني فعلت ذلك، بينما يقول كبريائي مُصرًا أنه من المستحيل أنني فعلت ذلك، لقد أذعنت ذاكرتي لكبريائي في نهاية الأمر.

أنظر علم النفس الجنائي لهانز جروس، 1898.

[←94]

يُشير إرنست جونز إلى الفقرة الآتية في السيرة الذاتية لداروين التي تعكس صراحته العلمية وحدّته النفسية: «كلما نشرت حقيقة ما يخطر ببالي ملاحظة أو فكرة جديدة تتعارض مع النتائج العامة للفكرة الأولى، لذا اتبعت خلال سنوات عديدة قاعدة ذهبية تنص على تدوين هذه الملاحظات في الحال لأنني وجدت بالتجربة أن هذه الأفكار تميل إلى الهروب من ذاكرتي أكثر من تلك الأفكار المواتية للحقائق التي نشرتها.

أرسل لي أحد قرائي قبل فترة أحد إصدارات سلسلة كتب هوفمان لليافعين يحتوي على سرد شامل لمشهد يضم عملية إنقاذ تشبه إلى حد كبير، وقد كنت أتخيل المشهد في باريس، وذهبت المصادفة إلى مدى أبعد حيث ظهرت بعض التعبيرات المتطابقة غير العادية في كلا المشهدين، لا يمكن رفض احتمال أن أكون قد قرأت هذا الكتاب في الواقع كصبي فقد احتوت مكتبة مدرستي الثانوية على سلسلة هوفمان، وكنت دائماً على استعداد لإعارة إصداراتها لتلاميذ المدارس بدلاً من كتب التغذية الفكرية الأخرى، إن الخيال الذي اعتقدت أنني أتذكره في سن الخامسة وأربعين كمشهد حدث لشخص آخر، واضطرت للاعتراف بأنه موقف تعرضت له شخصياً في سن التاسعة والعشرين، كان عبارة عن تذكّر للانطباع الذي كبخته في سن الحادية عشر والثالث عشر، لقد كان خيال الإنقاذ الذي نسبته إلى مسؤول الحسابات العاطل عن العمل في كتاب النبات مجرد تمهيد لخيال إنقاذي الخاص مما يجعل رغبتني في الحصول على شخص راعي، وحامي أمراً مقبولاً بالنسبة لي، لن يفاجأ أي شخص يدرس العقل بسماع أنني شعرت بمقاومة كبيرة لفكرة الاعتماد على أي حامي حتى في حياتي الواعية، ولم أتحمّل المواقف الحقيقية القليلة التي حدث فيها شيء مشابه، لقد أظهر أبراهام الأهمية الأعمق للتخيلات التي تتطوي على مثل هذه الموضوعات مع شرح شامل تقريباً لخصائصها في كتابه إنقاذ، وقتل الأب في التخيلات العصبية المنشور عام 1922 (المصدر: المجلة الدولية للتحليل النفسي، العدد الثامن).

[←96]

يُشير نسيان النوايا (Intenention) إلى نسيان أمر ما ينوي المرء فعله.

[←97]

انظر دراسات جديدة في التنويم المغناطيسي، والإحياء العقلي، وعلم النفس، لبرنهام، 1892.

[98←]

كان قيصر في مسرحية برنارد شو (قيصر وكليوباترا) على وشك مغادرة مصر حين عذب نفسه لبعض الوقت بفكرة أنه كان ينوي فعل شيء ما، ونسي الآن ما كان ذلك، اتضح أخيراً أن قيصر نسي أن يقول وداعاً لكليوباترا! تهدف هذه الحادثة الصغيرة إلى توضيح مدى ضالة تفكير قيصر بالأميرة المصرية، الأمر الذي يُناقض تماماً الحقائق التاريخية. (المصدر: إدوار جونز، مرجع سابق، ص 488).

[99←]

تكون النساء عادةً يفهمهن الدقيق للأعمال العقلية اللاواعية أكثر ميلاً إلى الشعور بالإساءة إن فشل شخص ما بالتعرف عليهن في الشارع، والترحيب بهن بدلاً من التكبير في التفسير الواضح أن هذا الشخص قد يعاني من قصر النظر أو غارق في أفكاره لدرجة أنه لم يراها، تستج النساء من موقف كهذا أن هذا الشخص لو كان يقدر ويحترم المرأة التي أمامه لكان لاحظها.

يقول ساندر و فيرينزي إنه هو نفسه كان «شارد الذهن»، ومعروف بين معارفه بالوتيرة العالية لتعرضه للزلات وخصوصيتها، إلا أن علامات شرود الذهن اختفت تمامًا منذ أن بدأ العلاج التحليلي النفسي لمرضاه، ووجد نفسه مضطراً إلى تحويل انتباهه إلى الآن، يعتقد أنه يمكن التخلص من الزلات إذا تعلم المرء توسيع نطاق مسؤوليته، وبالتالي يؤكد من وجهة نظري أن شرود الذهن يُشكّل شرط تعتمد عليه العقد اللاواعية، ويمكن علاجها عن طريق التحليل النفسي، كان فيرينزي في أحد الأيام يلوم نفسه لارتكابه خطأ مهنيًا في التحليل النفسي لمريض معين فعادت جميع أعراضه السابقة المتعلقة بـ «شرود الذهن»، لقد تعثر عدة مرات أثناء سيره في الشارع (أثناء تفكيره بالأخطاء التي ارتكبها في علاج مريضة)، وترك محفظته في المنزل، ودفع مبلغ قليل جداً لأجرة الترام، ولم يزرر ملابسه بدقة، وهكذا دواليك.

[101←]

يوضح إدوارد جونز حول هذا الموضوع مايلي: « تكون المقاومة غالبًا ذات نظام عام، لذا ينسى الرجل المنشغل أن يرسل الرسائل التي أكلته زوجته بها وشعر بالانزعاج لذلك تمامًا كما «ينسى» شراء قائمة التسوق الخاصة بها».

لغايات الوحدة الموضوعية، سأخترق مخططي في هذا الكتاب، وأضيف إلى ما قلته أعلاه عبر الإشارة إلى أن الذاكرة البشرية انتقائية بشكل استثنائي في الأمور المالية، تكون الذكريات الزائفة حول دفع شيئاً ما مُلحة جداً، عندما يُطلق العنان لنية تحقيق الربح بما يتجاوز المصالح الرئيسية للحياة من أجل المتعة في لعبة الورق على سبيل المثال، نجد أن أكثر الرجال صدقاً يميلون إلى ارتكاب الأخطاء، وينسون الكثير من الأمور ولا يعرفون الحساب بشكل صحيح ويجدون أنفسهم متورطين في عمليات احتيال بسيطة دون معرفة ذلك، تعتمد طبيعة اللعبة الممتعة نفسياً على هذه الحريات جزئياً، يمكننا هنا تأكيد المثل القائل بأن الشخصية الحقيقية لشخص ما تتكشف في الألعاب طالما أن شخصيته الواضحة غير مقصودة، عندما يرتكب النادل أخطاء غير مقصودة في الحساب غالباً ما يُنظر إليه بالطريقة ذاتها، يُظهر رجال الأعمال في كثير من الأحيان تردداً معيناً في تقديم مبالغ من المال، ودفع الفواتير وما إلى ذلك بطريقة لن تجلب لهم أي ربح، ولكن يمكن فهم ذلك من الناحية النفسية على أنه تعبير عن الإرادة المضادة للتخلص من المال، يوضح أبراهام بريل بحجة منطقية: «نحن أكثر استعداداً لإضاعة الرسائل التي تحتوي على الفواتير أكثر من إضاعة الشيكات»، تُظهر النساء على وجه الخصوص نفوراً من الدفع للطبيب حيث يتعلق الأمر بمشاعرهن الأكثر حميمية، والأقل وضوحاً، فعادة ما يتركن حقائبهن في المنزل فلا يستطعن الدفع في غرف الاستشارة ثم لا يتذكرن إرسال الرسوم من المنزل بانتظام، وبالتالي يحققن تأثير العلاج المجاني - مقابل سحرهن، كم لو أنهن يدفعن بنظرة واحدة.

[←103]

Borderline Problems of Nervous and Mental Life

[←104]

أظهر لي عمل آخر قدّمه ميرينجر فيما بعد أنني أخطأت في الحكم على امتلاكه لهذا الفهم للموضوع.

[←105]

ضمن مساهمته في علم النفس المرضي للحياة اليومية، أرشيف علم النفس، العدد السادس،
1906.

المجلد الثاني، ص. 64 من الأعمال الكاملة التي نشرها فيشر

[109←]

أسميها «حلم أوديب» لتقديمها مفتاح لفهم أسطورة الملك أوديب، تُقدّم هذه العلاقة في مسرحية سوفوكليس على لسان جوكاستا. (راجع تفسير الأحلام، ص 182، الأعمال الكاملة، الطبعة الثامنة).

[110←]

إن الرغبة في إيذاء النفس التي لا تصل إلى مستوى الانتحار لا تجد أمامها في مجتمعنا المتحضر سوى إخفاء نفسه وراء حادث أو إظهار نفسها عبر محاكاة بعض الأمراض التي نشأت بشكل عفوي، كان ظهور هذه الرغبات في الماضي يُشكّل علامة تقليدية على الحداد أو يُعبر عن التقوى، والتخلي عن العالم.

[111←]

من حيث الجوهر، تتشابه هذه الحالة مع حالة الاعتداء الجنسي على امرأة حيث لا تنتصر القوة العضلية للمرأة على عنف الرجل حيث أن مشاعر الضحية اللاواعية تشجعه، يُقال إن قوة المرأة في هذه الحالة تكون مشلولة، لذا نحتاج فقط إلى إضافة أسباب لهذا الشلل، نشير هنا إلى أن الحكم المدهش الذي صدر عن سانشو بانثا بصفته حاكم الجزيرة غير دقيق من الناحية النفسية (رواية دون كيشوت، الجزء الثاني، الفصل الخامس والأربعون)، تقف امرأة أمام القاضي، وتجري مدعية أنه سلبها شرفها بالعنف فيُعطيها سانشو تعويضاً بمنحها المحفظة الكاملة التي أخذها من الرجل المتهم، وبمجرد مغادرتها يمنح سانشو الرجل الإذن بمطاردتها، وانتزاع المحفظة مرة أخرى، عادا كلاهما أمام سانشو، وتفتخر المرأة بأن الرجل الشرير لم يكن قادراً على الإمساك بالمحفظة، فيجيبها سانشو: «لو دافعت عن شرفك بنصف قوة دفاعك عن هذه المحفظة لما استطاع هذا الرجل سلبك شرفك».

[112←]

يمكن القول بأن فكرة الذهاب لساحة المعركة تشير بمنطقية إلى وضع يوضح نية واعية للانتحار، والتي لا تقل عن اتخاذ الطريق المباشر نحو الانتحار، راجع كلمات القبطان السويدي في كتاب فالنشتاين حول وفاة ماكس بيكولوميني: «يقولون إنه تمنى الموت».

[113←]

ضمن مقال فان إمدن «العقاب الذاتي للإجهاض» في المجلة المركزية للتحليل النفسي، يكتب أحد المشاركين حول موضوع «العقاب الذاتي بالزلات»: «بمراقبة الطريقة التي يتصرف بها الناس في الشارع، يمكن للمرء ملاحظة كيف يتكرر تعرّض الرجال غالباً لحادث بسيط بعد النظر إلى النساء اللواتي يمشين حيث قد يلوي الرجل كاحله حتى على الأرض المستوية أو يصطدم بعمود الإنارة أو يؤذي نفسه بطريقة أخرى.

[←114](#)

المرجع السابق

يكون التفسير في عدد كبير جداً من حالات الإصابة العرضية أو الوفاة مشكوكاً بأمره، لن يرى البعيدين عن الحادث أي سبب لاعتبار ما حدث أمر خارج عن الصدفة، بينما سيكون لدى الشخص القريب من الضحية، ويعرفه جيداً أسباب وجيهة للشك في النية اللاواعية وراء ما حدث، يرد أدناه قصة شاب تعرضت خطيبته للدهس في الشارع كمثال جيد على معنى المعرفة التي أشرت إليها والظروف التي ينطوي عليها الأمر:

قابلت الآنسة س. البالغة من العمر 34 عاماً في سبتمبر من العام الماضي، لقد عاشت هذه الآنسة في ظروف مريحة، وكانت مخطوبة قبل الحرب لكن خطيبها الجندي في الخدمة توفي عام 1916. لقد تعرفنا على بعضنا، ووقعنا في الحب دون أي فكرة عن الزواج في البداية حيث لم تساعدنا الظروف على ذلك نظراً لفارق السن بيننا فقد كنتُ في السابعة والعشرين من عمري، لقد كنا نسكن مقابل بعضنا البعض في نفس الشارع، ونرى بعضنا كل يوم فأصبحت صداقتنا حميمة في النهاية، أصبحت فكرة الزواج أكثر احتمالاً في هذه المرحلة، واعتقدت أخيراً أنها ستكون فكرة جيدة، كنا على وشك عقد الخطوبة في عيد الفصح في ذلك العام، ولكن أرادت الآنسة س. زيارة أقاربها قبل ذلك، إلا أن إضراب عمال سكة الحديد في الانقلاب منعها من ذلك، وسرعان ما انعكست الآفاق الكئيبة طويلة الأمد لانتصار العمال، وعواقبه على أذهاننا، وخاصة تفكير الآنسة س. التي اعتقدت أنها رأت عقبات جديدة في طريقنا، كانت الآنسة س. يوم السبت 20 مارس في حالة ذهنية مبهجة بشكل استثنائي مما أدهشني تماماً، وانجرفتُ مع الأمر، واعتقدنا أننا نرى الأمور الآن بألوان زهرية، تحدثنا قبل أيام قليلة عن الذهاب إلى الكنيسة معاً دون تحديد موعد محدد، فاتصلت بي عبر الهاتف في صباح اليوم التالي، الأحد 21 مارس حوالي الساعة 9.15 صباحاً، وطلبت مني الذهاب إلى الكنيسة في الحال لكنني رفضت ذلك لأنني لم أكن جاهزاً في الموعد المحدد، وكان لديّ عمل يجب أن أنجزه، شعرت الآنسة س. بخيبة أمل كبيرة، وانطلقت بمفردها، والتقت بأحد معارفها على الدرج أمام منزلها، وذهبت معه في طريق مختصر عبر شارع تاوينتزي إلى شارع رانك في مزاج مبهج دون أن تقول أي شيء عن حديثنا، ودعها السيد المحترم، وألقى نكتة خلال ذلك كما يفعل دائماً، وكان على الآنسة س. عبور شارع كورفورستيندام الذي يتوسع في تلك النقطة مما يكشف عن بقية الطريق، وعندها تعرضت الآنسة س. للدهس بالقرب من الرصيف بواسطة عربة أجرة يجرها حصان (عانت من إصابات في الكبد، وتوفيت بعد بضع ساعات) لقد عبرنا هذا الطريق مئات المرات من قبل حيث كانت الآنسة س. حذرة جداً، وتمنعي من أي خطوة غير حذرة، لم يكن في ذلك الصباح أي عربات تقريباً فجميع عربات الترام، والحافلات العامة في حالة إضراب، لقد كان الهدوء يُخيم على المكان، ولا بد من أن سائق العربة قد سمع صوتها حتى لو لم يستطع رؤيتها، لقد اعتقد الجميع أنها كانت حادثة، كان رد فعلي الأول: هذا مستحيل، كيف يمكن لأي شخص أن يقول إنها فعلت ذلك عن قصد؟ لكنني بحثت عن تفسير نفسي، وأظن أنني وجدته في علم النفس المرضي للحياة اليومية، لقد أعربت الآنسة س. في بعض الأحيان عن ميول انتحارية معينة، وحاولت أيضاً التأثير عليّ بهذه الميول حيث تحدثت معها بما فيه الكفاية عن مثل هذه الأفكار، فمثلاً عادت من نزهة المشي

قبل يومين، وبدأت تتحدث دون سبب عن وفاتها، وإصدار وصية بالرغم من أنها لم تفعل ذلك فعلياً - الأمر الذي يمكن أن يدلّ على عدم جدية ما قالتها، إن كان بإمكانني التعبير عن رأيي المتواضع، سأقول إنني لا أرى هذا الحادث كصدفة أو نتيجة لتشتت انتباه عقلها الواعي، بل أجده انتحاراً متعمداً يُنفذ بنية غير واعية متكرراً في شكل حادث، لقد دعم هذا الرأي ما قالته الأنسة س. عن علاقاتها قبل أن تعرفني، وبعد أن عرفتني حتى أيامها الأخيرة حيث تعتبرها ناشئة عن خسارة خطيبها الأول الذي لا يحل أحد محله في عينيها.

[←116]

المرجع السابق

[←117]

هيرمان هيرمانز، مشاهد تمثيلية، صموئيل فوكلاند، الحزمة الثامنة عشر، أمستردام، 1914.

[←118]

إدوارد جونز، الأفعال العرضية الدّالة، المجلة المركزية للتحليل النفسي، العدد الأول، 3،
1911.

سماعة من أنبوب خشبي له أذن (المترجم)

[←120]

«نظرية الأحلام لفرويد»، المجلة الأمريكية لعلم النفس، أبريل 1910، ص. 301، رقم 7.

[←121]

أنظر قول أولدهام «أرتدي قلمي كما يرتدي الآخريـن سيوفهم»

[←122]

ألفونس مايدر، مساهمات في علم النفس المرضي للحياة اليومية، أرشيف السيكولوجيا، المجلد السادس، 1906.

[←124]

الدهون التي تتراكم حول البطن، والأرداف في منتصف العمر لدى السيدات.

عملة ألمانية قديمة تكاد تكون قيمتها معدومة (المترجم)

[←126]

فقدان شيء ما كإجراء عرضي»، المجلة المركزية للتحليل النفسي 1، 10/11.

[←127]

هناك آراء إضافية حول ذلك في المجلة الدولية للتحليل النفسي، العدد الأول، 1913.

المجلة الدولية للتحليل النفسي، العدد الثالث، 1915.

المجلة الدولية للتحليل النفسي، العدد الأول، 1913، ص. 268

[130←]

تُعرف أيضاً بمناظير المسرح أو مناظير Galilean، وتشير إلى أجهزة تكبير بصري تستخدم لمشاهدة الأداء في المسارح، واسمها مشتق من الاستخدام التقليدي للمناظير في عروض الأوبرا.

[←131]

مخباط (flail) يُشير إلى سلاح عبارة عن مقبض خشبي يتصل به كرة معدنية تتأرجح بحرية.

[←132]

يونج، سيكولوجيا الخرف، ص.62، 1907 (Über die Psychologie der Dementia)
(praecox

مايدر، اتجاه جديد في علم النفس - فرويد ومدرسته، 1909 (Une voie nouvelle en)
(psychologie — Freud et son école', Coenobium, Lugano

الطبعة الثامنة (الأعمال الكاملة، المجلد الثاني / الثالث).

[←134]

لكنني لم أكن مخطئاً تماماً! وفقاً للنسخة الأورفية من الأسطورة، تكرر فعل الإخصاء عندما قام الابن زيوس بإخصاء والده كرونوس. (معجم روشر للأساطير).

أدولف فيشوف: أحد قادة الحركة الثورية لعام 1848

[←137]

مساهمات المخبرين، أرشيف التحليل النفسي، العدد السادس، 1908

[←140]

المرجع السابق، ص 483

[←141]

يمكن التعبير عن هذا العمل المستمر في العقل اللاواعي على شكل حلم بعد حدوث الزلّة أو عن طريق تكرارها أحياناً أو إغفال تصحيحها.

المجلة المركزية للتحليل النفسي، العدد الثاني، 5.

[←144]

المجلة المركزية للتحليل النفسي، العدد الثاني، صفحة 266، والمجلة الدولية للتحليل النفسي،
العدد الثالث، ص. 158

يُعدّ أمراً طبيعياً أن يجري تصحيح زلة مثل فقدان شيء ما أو إضاعته من خلال الحلم حيث يكتشف الحالم مكان الشيء المفقود، ولكن ما من غموض بهذا الشأن طالما أن الحالم هو نفسه الشخص الذي أضاع الشيء، كتبت سيدة شابة: «منذ حوالي أربعة أشهر، وجدت أنني فقدت خاتماً جميلاً جداً بينما كنت البنك، فتشت عن الخاتم في كل ركن من أركان غرفتي لكنني دون جدوى، حلمت قبل أسبوع أن الخاتم وجود بالقرب من الخزانة بجانب المبرد، ضل الحلم يراودني بالطبع، ووجدت الخاتم هناك في الصباح التالي، لقد فوجئت بما حدث، لكنها قالت إنه في كثير من الأحيان تتحقق أفكارها، وأمانيتها بهذه الطريقة، لكنها لم تسأل نفسها عن التغيير الذي حدث في حياتها بين خسارتها للخاتم واستعادته.

المجلة النفسية، والعصية الأسبوعية، العدد الثامن والعشرين، 1905.

[←147]

The Reclam Universal Library Series

[←148]

إشارة إلى عبارة ترددها السحرة الثلاثة في بداية المسرحية، وتأتي بمثابة ملخص للحكاية، يستخدم شكسبير هذه العبارة ليبين أن ما نعتبره جيداً هو سيئ في الحقيقة، وما نعتبره سيئاً هو جيد في الواقع.

[←149]

ألعاب الكلام (Parlour game): لعبة جماعية يلعبها الأشخاص في صالة الاستقبال (الصالون) باستخدام الكلام (المترجم).

[150←]

ضمن شرح النقطة المتعلقة بكون رقم مسرحية ماكبث (17) في المكتبة العالمية، أخبرني الدكتور أدلر أنه حين كان الرجل المعني في عامه السابع عشر، انضم إلى مجتمع الحركة الأناركسية (اللاسلطوية) الذي خطط لاغتيال الملك، لا شك أن ذلك سبب نسيانه قصة ماكبث، لقد تلقى ذلك الشخص رسالة مشفرة استبدلت فيها الأحرف الأبجدية بالأرقام.

[←151]

لغايات تبسيط المثال، أزلت العديد من الأفكار الأخرى المُقنعة التي قدمها المريض.

[←152]

المرجع السابق، ص 478

أثار السيد رودولف شنايدر في ميونيخ اعتراضاً هاماً حول القوة الإثباتية لتحليلات الأرقام (حول دراسة فرويد التحليلية للأفكار العددية، مجلة التحليل النفسي، العدد الأول، 1920)، قام باختيار أرقام معينة (رقم وقع عليه نظره في كتاب تاريخي عندما فتحه على سبيل المثال)، ثم واجه شخصاً آخر بالرقم الذي اختاره، وانتظر ليرى إن كانت الأفكار الحاسمة المتعلقة بهذا الرقم قد خطرت لهذا الشخص الآخر أيضاً، حدث ذلك بالفعل ضمن أحد الأمثلة التي قدمها عن نفسه حيث أنتجت الأفكار خطأ ثرياً، ومثيراً للإعجاب كذلك التي وجدناها ضمن تحليل الأرقام العشوائية، إلا أن الرقم في تجربة شنايدر قادم من الخارج، ولم يكن بحاجة إلى تحديد، ضمن تجربة ثانية مع شخص آخر، سهل المهمة على نفسه من خلال إعطاء الشخص الرقم 2 الذي يرتبط لدى الجميع بعامل أو آخر، يستخلص شنايدر استنتاجين من عمله: أولاً، بأن الحالة النفسية قادرة على الارتباط بسهولة مع الأرقام كما هو الحال مع الكلمات، وثانياً، أن ظهور الأفكار المرتبطة بالأرقام العشوائية لا يُثبت شيئاً عن أصل تلك الأرقام في الأفكار التي وجدها «التحليل»، إن الاستنتاج الأول صحيح بلا شك حيث يمكن للمرء أن يربط بسهولة فكرة مناسبة برقم معين كما هو الحال مع الكلمة، وربما أكثر سهولة لأن الأرقام القليلة المتاحة تؤدي إلى مجموعة واسعة جداً من الارتباطات المحتملة، نحن إذن في صدد مناقشة (تجربة الارتباط) التي درستها مدرسة بليور ويونج في العديد من مظاهرها، يجري ضمن هذه الحالة تحديد الفكرة (أو رد الفعل) من خلال الكلمة (أو التحفيز)، لكن ردود الفعل تكون من أنواع مختلفة، وقد أظهرت تجارب يونغ أنه التمييز لا يُترك لـ «الصدفة»، وإنما لـ «العقد» اللاواعية التي تلعب دوراً في تحديدها إذا تأثرت بالمحفز.

يذهب شنايدر في الاستنتاج الثاني بعيداً حيث يشير إلى أن الأفكار المناسبة تظهر فيما يتعلق بأرقام (أو كلمات) معينة لا تُثبت شيئاً عن اشتقاق الأرقام (أو الكلمات) العشوائية التي لم يكن ممكناً أخذها بعين الاعتبار قبل معرفة هذه الحقيقة، قد تكون هذه الأفكار (اللفظية أو العددية) غير محددة أو تُحددها الأفكار التي تظهر في التحليل أو أفكار أخرى لا تظهر في التحليل، عندها يكون التحليل قد ضلل الدارس، يجب على المرء أن يرفض أي انطباع بأن المشاكل مع الأفكار اللفظية أو العددية مختلفة عن بعضها البعض، تقع الدراسة النقدية للمشكلة، وتبرير أسلوب التحليل النفسي للأفكار خارج نطاق هذا الكتاب، ينطلق المرء في الممارسة التحليلية من الافتراض بأن الاقتراح الثاني صحيح، ويمكن استخدامه في معظم الحالات. أظهرت الدراسات التي أجراها عالم نفس تجريبي أنه الأكثر احتمالاً.

دراسات جمعية التشخيص، العدد الرابع، ص 215.

[157←]

كان بريٲور (praetor) موظفًا قضائيًا في روما القديمة يتمتع بسلطة واسعة في قضايا المساواة، ومارس سلطة واسعة في الحكومة في غياب القناصل (المترجم).

لقد أثمرت هذه الآراء حول التحديد الصارم للأفعال النفسية الاعتبارية ظاهرياً في الكثير لعلم النفس - وربما في إقامة العدل. بهذا الصدد، أتاح يوجين بليولر وكارل يونج لنا فهم رد الفعل فيما يُعرف بتجربة الارتباط حيث يستجيب الشخص الخاضع للدراسة لكلمة تنطق مع أي فكرة تخطر بباله (كرد فعل على كلمة التحفيز) ويُحتسب الوقت الذي يستغرقه للقيام بذلك (وقت رد الفعل). أظهر يونغ في دراسات جمعية التشخيص (1906) ماهية الاختبار الدقيق للظروف النفسية الذي تُجرىه تجربة الارتباط عند تفسيرها بهذه الطريقة. لقد عمِل فير تيمير وكلاين مع جروس المحاضر في القانون الجنائي في براغ على تطوير تقنية «لتشخيص وقائع القضية» وخضعت هذه التقنية لاختبار قبل علماء النفس والمحامين.

[159←]

لقد قام أولئك الذين ينطلقون من وجهة نظر مختلفة بتصنيف هذا الحكم على وسائل التعبير البديهية، والعرضية للآخرين على أنه «أوهام مرجعية».

[160←]

إن الأوهام الناتجة عن التعرض للاعتداء الجنسي والعنف التي تصل إلى وعي المصابين
بالهستيريا تتطابق في كل شيء مع شكاوى الاضطهاد التي يقدمها المصابون بجنون الارتياب.
إن مواجهة المحتوى ذاته في الأنشطة التي ينخرط فيها المنحرفون من أجل إشباع رغباتهم يُعد
أمراً صادمًا لكنّه مفهوم.

أضيف مثال جيد استخدمه نيكولاى أوسيبوف لتوضيح الفرق بين المفهوم المتعلق بالخرافات، والمفهوم المتعلق بالتحليل النفسي، والمفهوم الصوفي («التحليل النفسي، والخرافة»، المجلة الدولية للتحليل النفسي، العدد الثامن، 1922). تزوج أوسيبوف في بلدة روسية إقليمية صغيرة، وسافر بعد ذلك مباشرة إلى موسكو مع زوجته، شعر في محطة ما قبل ساعتين من نهاية رحلتهم برغبة في الخروج من المحطة، وإلقاء نظرة على المدينة، كان يعتقد أن القطار سيتوقف لفترة كافية لكنه حين عاد بعد بضع دقائق وجد أن القطار قد غادر، وزوجته على متنه، عند سماع هذا الحادث، قالت ممرضته العجوز في المنزل، وهي تهز رأسها: «يا إلهي، لن يسير هذا الزواج على ما يرام أبداً» ضحك أوسيبوف على نبوءتها في ذلك الوقت، لكنه لم يستطع منذ انفصاله عن زوجته بعد خمسة أشهر أن يمنع نفسه من تفسير مغادرة القطار على أنها «احتجاج غير واعي» ضد هذا الزواج. اكتسبت المدينة التي ارتكب فيها هذه الزلة أهمية بالغة بعد سنوات حيث كانت موطن شخص آخر سيرتبط به ارتباطاً وثيقاً، لم يكن وجود هذا الشخص معروفاً في ذلك الوقت، لكن التفسير الصوفي لهذا السلوك أنه غادر القطار إلى موسكو مع زوجته، ونزل في تلك المدينة بالذات بسبب هاجس أنه سيدخل في علاقة مع ذلك الشخص الآخر في المستقبل.

الذي بالطبع ليس لديه أي شيء من صفة الإدراك.

إشارة إلى قصة آدم وحواء (المترجم).

الشخصية الرئيسية في مسرحية فيليهم تيل. (المترجم)

[165←]

إدوارد هيتشمان، حول الاستبصار، دراسة فيينا السريرية، 1910، رقم 6. «كاتب ووالده: مساهمة في علم نفس التحول الديني، وظواهر التخاطر، إيماجو، العدد الرابع، 1915/16.

[166←]

سيغموند فرويد، الحلم، والتخاطر، إيماجو، العدد الثامن، 1922. أيضًا في المجلد الثالث عشر من الأعمال الكاملة.

[←168]

حول ظاهرة وهم قول شيء ما مسبقاً (ديجا راكونتي) أثناء العمل التحليلي النفسي، المجلة الدولية للتحليل النفسي، العدد الأول، 1913. أيضاً في المجلد العاشر من الأعمال الكاملة.

المجلة الدولية للتحليل النفسي الكاملة، 1915.

[170←]

يرتبط بذلك بعض المشاكل الهامة ذات الطبيعة الاقتصادية وتتضمن أسئلة تتعلق بحقيقة أن العمليات النفسية تهدف إلى الحصول على المتعة، والقضاء على الشعور بالنفور، كيف يصبح تذكر اسم نساء المرء بسبب النفور عبر استخدام الارتباطات البديلة مشكلة اقتصادية، هناك مقال مميز لتوسك (إلغاء الدافع للكبت بالتعويض) في المجلة الدولية للتحليل النفسي (العدد الأول، 1913) يستشهد بأمثلة جيدة لطريقة تذكر الاسم المنسي إن كان يمكن ربطه بشيء ما، وكيف يُحافظ هذا الارتباط بعد ذلك على التوازن ما بين التذكر، والشعور بالنفور من تذكره.

[171←]

جرى الاحتفاظ بهذا العمل ضمن مستوى معين من الشعبية عن قصد ويهدف فقط إلى تسهيل التّقبّل الضروري للعمليات العقلية اللاواعية، والفعّالة من خلال الاستشهاد بعدد من الأمثلة مع تجنب جميع الافتراضات النظرية حول طبيعة العقل اللاواعي.

يمكنني تقديم بعض الدلائل على آلية النسيان الحقيقي على النحو التالي: يتعرض محتوى الذاكرة بشكل عام لتأثيرين: الكبت والتشويه. يكون التشويه ناتج عن عمليات الميول المسيطرة على الحالة النفسية، ويتحول بشكل رئيسي ضد آثار الذاكرة التي لا تزال تحمل دلالات عاطفية، وأكثر مقاومة للكبت، تقع آثار الذكريات الفاترة ضحية لعملية الكبت دون أي معارضة، لكننا قد نلاحظ أن ميول التشويه ستؤثر على محتوى الذكريات الفاترة إن لم يُلبىها محتوى الذاكرة التي ترغب في الظهور عبرها، قد يعتقد المرء بأن عمليات الكبت، والتشويه تجعل الذكريات غير مؤكدة وغير واضحة مع مرور الوقت نظراً لتأثيرها على تحول محتوى الذاكرة، إلا أن النسيان ليس على الأرجح وظيفة زمنية مباشرة، عند قمع آثار الذاكرة، يمكن إثبات عدم خضوعها لأي تغيير على مدى فترة طويلة، إن اللاوعي لا يتأثر بالزمن على أي حال، تتمثل السمة البارزة، والأكثر إثارة للدهشة للثبات النفسي في أن العقل يحتفظ بجميع الانطباعات تماماً كما تم استيعابها، ويحافظ عليها في جميع الأشكال التي اتخذتها خلال التطورات أخرى، العلاقة التي لا يمكن تفسيرها بأي مقارنة من مجال آخر، ووفقاً لهذه النظرية، تبقى أي مرحلة مبكرة لأي محتوى موجود في الذاكرة متاحة للتذكر، وإن كانت عناصرها قد غيرت دلالاتها الأصلية منذ فترة طويلة إلى دلالات لاحقة.

[←173]

تفسير الأحلام، ص. 362، الطبعة الثامنة، الأعمال الكاملة، المجلد الثاني / الثالث.